

وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ
Ministry of Higher Education and Scientific Research

Ammar Telidji University of Laghouat
Faculty of sciences Islamic and Civilization
Fundamentals of Religion, Language and
Civilization



جَامِعَةُ عَمَّارِ تَلِيدْجِي بِالْأَغْوَاطِ
كَلِيَّةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْحَضَارَةِ
قِسْمُ أَصُولِ الدِّينِ وَاللُّغَةِ وَالْحَضَارَةِ

مُحَاضِرَاتُ فِي مِصَادِرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابِهَا

مَطْبُوعَةٌ بِيَدَاغُوجِيَّةٍ مُوَجَّهَةٌ لِطَلَبَةِ
السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِيَسَانُسِ
شُعْبَةِ اللُّغَةِ وَالْحَضَارَةِ

إِعْدَادُ
د. عَبْد الْقَادِر سَعِيد رَنَّان

1447-1448هـ / 2025-2026م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ يُوسُفَ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

شيخ الإسلام ابن تيمية

” فَإِنَّ نَفْسَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ
الدِّينِ، وَمَعْرِفَتَهَا فَرَضٌ وَاجِبٌ؛
فَإِنَّ فَهْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَرَضٌ،
وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِفَهْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ،
وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ
وَاجِبٌ “

-اقتضاء الصراط المستقيم-

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإسلامية والحضارة
قسم أصول الدين واللغة والحضارة

البرنامج البيداغوجي لنيل شهادة الليسانس

بطاقة تنظيم السداسي الثالث

وحدة التعليم المنهجية

مقياس: مصادر اللغة العربية وآدابها

وحدة التعليم	المقياس	حجم ساعي أسبوعي	المعامل	الرصيد	التقييم
منهجية	مصادر اللغة العربية وآدابها	محاضرة			
الرمز: 2.1 الرصيد: 06 المعامل: 02	وت م 1.2	1.5 سا	01	03	امتحان نهائي (%100)

الفئة المستهدفة: السنة الثانية ليسانس (LMD) شعبة اللغة والحضارة

- أهداف التعليم: - التعرف على المصادر التي يُرجع إليها في اللغة والأدب.
- الارتباط بالكتب المصادر والأهميات في معرفة اللغة وشواهدا.
- الرجوع إلى هذه الكتب في البحوث.

السداسي الثالث: [الثانية ليسانس شعبة اللغة والحضارة]

عنوان المقياس: مصادر اللغة العربية وآدابها

وحدة التعليم: وحدة التعليم المنهجية

الرصيد: 3

المعامل: 1

الحجم الساعي الأسبوعي: 1 سا و 30 د (محاضرة)

الحجم الساعي للسداسي: 22 ساعة ونصف

طريقة التقييم: امتحان نهائي (100%)

أهداف التعليم:

- التعرف على المصادر التي يُرجع إليها في اللغة والأدب.
- الارتباط بالكتب المصادر والأهميات في معرفة اللغة وشواهدا.
- الرجوع إلى هذه الكتب في البحوث.

المعارف المسبقة المطلوبة:

- مكتسبات المرحلة الثانوية.
- مكتسبات السنة الأولى في الجامعة.

محتوى المادة (البرنامج المفصل):

- لمحة تاريخية عن نشأة اللغة العربية وتدوينها.
- رواية اللغة أسبابها ومصادرها وأعلامها.
- كتب ورسائل لغات القبائل واللغات.
- كتب النظائر والفرائد والأماشي والمتضاد والمترادف والمغرب.
- كتب المعاجم والمفردات (التأليف المعجمي ومدارسه).
- كتب عادات العرب في الكلام.
- كتب شواهد علوم اللغة (النحو، والصرف...).
- كتب أسرار اللغة وعلومها.
- كتب تاريخ آداب العرب.
- التعريف بدواوين الأدب: البيان والتبيين للجاحظ، الأماشي لأبي علي القالي.
- التعريف بدواوين الأدب: الكامل للمبرد، أدب الكاتب لابن قتيبة.
- التعريف بدواوين الأدب: خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي.

- التعريف بدواوين الأدب: عيون الأخبار لابن قتيبة، عيار الشعر لابن طباطبا.
- كتب الاختيارات الشعرية: المفضليات والضبليات والأصمعيات والحماسة....
- كتب الأمثال والحكم.

المراجع المعتمدة:

- البلغة في أصول اللغة لمحمد صديق حسن خان القنوجي (1308هـ).
- المدخل إلى مصادر اللغة، لسعيد حسن بحيري.
- المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، لعزالدين اسماعيل.
- البيان والتبيين للجاحظ.
- الكامل للمبرد.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القوي المتين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

تُشكّل مصادر اللغة العربية وآدابها ركيزة أساسية في بناء الصرح الحضاري للأمة؛ فهي المستودع الأمين لتراثٍ يربط الحاضر بجذوره الماضية، ويفتح آفاقاً لفهم المستقبل، وتبرز قيمة هذا التراث في كونه يُمثل خلاصة إنتاج العقل الإنساني عبر تاريخنا المجيد، متجلياً في حضارة عربية إسلامية غنية، رفدها علماء أفذاذ - لا يُحصون - بجهودٍ علمية وفكرية وأدبية ضخمة؛ تراوحت بين الرسائل المُوجزة والموسوعات الشاملة، وقد امتد هذا العطاء من فجر العصر الجاهلي، مروراً ببزوغ شمس الحضارة الإسلامية مع البعثة النبوية - على صاحبها أزكى الصلوات والتسليم - التي كانت المحرك الأكبر لحركة التدوين، وصولاً إلى ذروة النضج العلمي في العصور الزاهية، وحتى مراحل الانحسار والتحوّلات التاريخية الكبرى.

ولمّا كان هذا التراث الضخم بمثابة البحر الزاخر الذي يحتاج مرتاده إلى مهارةٍ في خوضه بحره وأدوات لاستكشاف غوره، جاء مقياس مصادر اللغة العربية وآدابها ليقوم بهذا الدور المحوري؛ وهو يسعى إلى الربط بين السرد التاريخي لأسماء الكتب والمؤلفين، ومنح 'المفتاح المنهجي' والبوصلة العلمية التي تُمكن الطالب من الولوج إلى ردهات هذا الإرث العظيم بوعي وبصيرة، يمثل هذا المقياس القنطرة التي تعبر الطالب من مرحلة التلقي العام إلى مرحلة التخصص الدقيق، حيث يتعرف على المظانّ الأصلية التي استقى منها علماء الأمة معارفهم، مما يبني لديه ملكةً نقدية قادرة على التمييز بين المصادر الأم والمراجع التبعية، ويجعله جديراً بحمل لواء البحث في علوم الشريعة والحضارة مستنداً إلى أصول لغوية رصينة.

أولاً: إشكالية المقياس

تتمحور الإشكالية المركزية لهذا المقياس حول التساؤل الجوهرية الآتي:
كيف يمكن لطالب العلم في العصر الحديث أن يبني جسراً منهجياً يربطه بأمهات المصادر اللغوية والأدبية، بحيث يتحول تعامله مع التراث من مجرد تلقُّ وصفي إلى تفاعل نقدي يُمكنه من امتلاك أدوات التحليل اللساني اللازمة لفهم النص القرآني والسياق الحضاري العربي؟
ويتفرع عن هذه الإشكالية المركزية جملة من التساؤلات الفرعية:

ما هي المعايير المنهجية الدقيقة التي اعتمدها الأقدمون في توثيق اللغة وضبط رواياتها؟
كيف تمايزت المدارس المعجمية والنحوية والأدبية في بناء مدوناتها وتصنيف مصنفاتها؟

ثانيا: أهمية المقياس

- تكمن أهمية مقياس "مصادر اللغة العربية وآدابها" في كونه المقياس "المفتاح" الذي يمنح الطالب:
- يسعى المقياس إلى ترسيخ الهوية العلمية للطالب عبر ربطه مباشرة بالأصول والمظان الأولى التي قامت عليها علوم العربية وآدابها.
- يمثل المقياس أداة تفسيرية أصيلة باعتبار اللغة وعاء الوحي، فلا سبيل لتدبر القرآن الكريم وفهمه حق الفهم إلا بالرجوع إلى مصادر لغة العرب وسننهم في الكلام وشواهدهم الشعرية.
- يهدف المقياس إلى بناء الملكة النقدية لدى الطالب من خلال تدريبه على نقد الروايات والتمييز الدقيق بين المراتب والطبقات العلمية لمختلف الرواة والمؤلفين عبر العصور.
- يعمل المقياس على تحقيق التحصين الحضاري بحماية العقل الطلابي من الشبهات اللغوية المعاصرة، وذلك عبر العودة الواعية إلى المتون الموثقة والمحقة من تراثنا الأصيل.

ثالثا: الأهداف العامة للمقياس:

- نسعى من خلال تدريس هذا المقياس إلى تحقيق الغايات الآتية:
- التعرف الشامل على خارطة أمهات المصادر اللغوية والأدبية، واستيعاب السياقات التاريخية التي رافقت حركة التدوين، بدءاً من عصر الرواية الشفوية وصولاً إلى التأليف الموسوعي.
- اكتساب المهارات المنهجية اللازمة للتعامل المباشر مع المظان التراثية بوعائها الورقي والرقمي، والتدرب على استخراج المادة العلمية وتوثيقها بدقة وموثوقية في البحوث الجامعية.
- تحليل مناهج العلماء في المصنفات اللغوية والأدبية، للوقوف على عادات العرب في كلامها وأسرار لغاتها كأداة ضرورية لتوجيه القراءات والتفسير الدقيق للنص القرآني.
- تقييم الشواهد اللغوية والأخبار الأدبية والاختيارات الشعرية وفق معايير النقد المنهجي القديم، وتمييز مستويات الموثوقية في بناء القاعدة النحوية أو الاستدلال الشرعي.
- توظيف هذه الذخيرة المصدرية في إنتاج مقالات علمية وأوراق بحثية رصينة، تعكس قدرة الطالب على استثمار التراث لخدمة قضايا تخصصه الدقيق في شعبة اللغة والحضارة.

رابعا: الدراسات السابقة

مقياس مصادر اللغة العربية وآدابها أو ما يُعرف في بعض الجامعات بـ "مصادر التراث العربي" أو "المكتبة العربية" هو مقياس كلاسيكي معتمد في جلّ الجامعات العربية والجزائرية، وقد أُلّف فيه مجموعة من الدراسات منها ما هو كتب مرجعية، ومنها ما هو مطبوعات بيداغوجية.

أ- فأما الكتب:

- كتاب "مصادر التراث العربي في اللغة والفقه والأدب والتراجم" للدكتور عمر الدقاق: يُعد من أشهر المقررات الجامعية، ويمتاز بشموله وتقسيمه المنهجي الدقيق للمصادر بحسب الحقول المعرفية.
- كتاب "دراسة في مصادر الأدب" للدكتور الطاهر أحمد مكي: كتاب نفيس جداً، ركز فيه مؤلفه على أمهات كتب الأدب (كالأغاني، والعقد الفريد، والبيان والتبيين) وقدم لها دراسات تحليلية وافية.
- كتاب "البحث الأدبي: طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره" للدكتور شوقي ضيف: خصص فيه فصلاً واسعاً للحديث عن مصادر اللغة والأدب وكيفية توثيقها واستخراج مادتها.

ب- وأما المطبوعات البيداغوجية بحكم أن هذا المقياس مُدرج ضمن نظام (LMD) في الجامعات الجزائرية، فهناك عشرات المطبوعات المعتمدة من المجالس العلمية في مختلف كليات الآداب واللغات (كمطبوعات جامعة الجزائر، باتنة، وهران، وغيرها)، وهي متوفرة بكثرة في المستودعات الرقمية الجامعية (DSpace)، وتغلب على هذه المطبوعات السمة التقريرية والسرد التاريخي للمؤلفات.

وتتجلى القيمة المضافة لهذه المطبوعة في سد فجوة منهجية دقيقة؛ ففي حين انصرفت جل المطبوعات البيداغوجية السابقة لخدمة طلبة الأدب العربي على وجه الخصوص، من خلال تركيزها المطلق على الجوانب الفنية والنقدية البحتة، تأتي هذه المطبوعة لتلبي تطلعات طلبة العلوم الإسلامية والحضارة، وقد انعكست هذه البصمة في تكييف بيداغوجي أصيل لمصادر اللغة، يربطها ارتباطاً عضوياً بالتخصص الدقيق؛ من خلال إبراز دور المعاجم والظواهر الدلالية في خدمة التفسير والنص القرآني، وبيان كيفية توظيف سنن العرب في كلامها لاستنباط الأحكام الشرعية، فضلاً عن مقارنة كتب الأدب كوثائق تاريخية وحضارية تحفظ هوية الأمة ومنظومة قيمها متجاوزة بذلك الغاية الترفيحية، وبهذا التوجيه العميق ترتقي المطبوعة عن مجرد التكرار السردى لما سلف، لتشكل أداة معرفية رصينة مسخرة لخدمة طالب الشريعة والحضارة الإسلامية.

خامساً: المنهجية المتبعة

لتحقيق الأهداف المسطرة لهذا المقياس، وتجاوزاً للسرد النمطي الذي قد يقع فيه تدريس المصادر، اعتمدنا في تصميم هذه المطبوعة على هندسة تنظيمية دقيقة، تمثلت في الخطوات الآتية:

1. التصرف المنهجي في المقرر الوزاري (الكافا):

لم نلتزم بالنقل الحرفي لعناوين المقرر ولا بالترتيب المقترح، إذا كان ذلك يخل بالتراتبية التاريخية أو المعرفية؛ بل عمدنا إلى تعديل بعض العناوين ودمج بعض المحاضرات لتلافي التكرار والتداخل. هذا الضم والفرز سمح لنا بمخلق مساحة أرحب للتركيز على مصادر أكثر أهمية.

2. التجميع الموضوعي والتقابل المعرفي:

هندسنا المحاضرات وفق مبدأ التقابل المنهجي بدلاً من السرد المبعثر، ففي دراسة أمهات الأدب مثلاً، وضعنا مدرسة الجاحظ (النزعة العقلية) في مقابلة مدرسة القالي (النزعة الروائية)، مما يرسخ المعلومة في ذهن الطالب ويُنمي حسه النقدي.

3. التكيف التخصصي مع كلية العلوم الإسلامية:

قمنا بتوجيه مسار المحاضرات هيكلياً لخدمة تخصص الطالب؛ فلم نتعامل مع كتب الأدب واللغة كمدونات فنية محضة، بل أعدنا صياغة محاورها لتبرز وثيقتها الحضارية التي تخدم التفسير والأصول والتاريخ الإسلامي.

4. التصدير بملخص بيداغوجي إشكالي

تم توحيد افتتاحية جميع المحاضرات بملخص مركّز يضع المعالم المنهجية لموضوع الدرس، ويُختتم دائماً بتساؤل إشكالي مفتوح، يهدف هذا التساؤل التمهيدي إلى خلق فجوة معرفية لدى الطالب وتحفيز ذهنه، ودفعه لقراءة المحاضرات بفاعلية بحثاً عن الإجابة، مما ينقله من التلقي السلبي إلى التفكير النقدي النشط.

سادساً: المنهج المتبع

استجابة لطبيعة المادة التراثية وتخصص الطلبة في العلوم الإسلامية والحضارة، بُنيت هندسة هذه المحاضرات على مقارنة منهجية تكاملية تتضافر فيها آليات بحثية متعددة؛ إذ اعتمدت المنهج التاريخي الاستقرائي لتتبع أطوار التأليف اللغوي والأدبي من حقبة المشافهة إلى عصر التصنيف الموسوعي، ليتكامل مع المنهج الوصفي التحليلي الذي يغوص في البنية المعرفية لأمهات المصادر عبر تفكيك شروط مؤلفيها وتحليل مادتهم العلمية، ولتنمية الملكة النقدية لدى الطالب، وظفت المنهج المقارن لبيان الفروق الدقيقة بين مختلف العناصر التي يظهر أنها مختلفة، وتُتوج هذه الآليات جميعاً بالمنهج التكاملي، الذي يمثل البصمة الجوهرية للمطبوعة، حيث يكسر العزلة المعرفية عبر التوظيف المستمر للمعطيات اللغوية والأدبية في خدمة الأحكام الشرعية، كربط الصناعة المعجمية بالتفسير القرآني، وسنن العرب بأصول الفقه، متجاوزاً بذلك السرد التقريري المجرد إلى بناء عقل أكاديمي قادر على استنطاق التراث برؤية علمية وحضارية شاملة.

سابعاً: خطة البحث

تشكلت خطة البحث من مقدمة وخاتمة وأربع عشرة محاضرة، وفق البرنامج المقترح في الوزارة، وجاء عناوين هذه المحاضرات كالآتي:

المحاضرة الأولى: نشأة اللغة العربية وحركة التدوين اللغوي

المحاضرة الثانية: بنية الرواية اللغوية

المحاضرة الثالثة: مصادر لغات القبائل واللهجات العربية ورسائلها

المحاضرة الرابعة: مصادر الظواهر اللغوية: كتب النظائر، الفرائد، والأُمالي.

المحاضرة الخامسة: مصادر الظواهر اللغوية: كتب التضاد والمترادف، والمعرب

المحاضرة السادسة: التأليف المعجمي ومدارسه

المحاضرة السابعة: مصادر عادات العرب وسننها في الكلام

المحاضرة الثامنة: كتب الشواهد اللغوية ودورها في بناء علوم النحو والصرف

المحاضرة التاسعة: مصادر أسرار اللغة وخصائصها

المحاضرة العاشرة: مصادر تدوين تاريخ الأدب العربي

المحاضرة الحادية عشرة: أمهات كتب الأدب (1) دراسة في كتاب "البيان والتبيين" و"الأُمالي"

المحاضرة الثانية عشرة: أمهات كتب الأدب (2) دراسة في كتاب "الكامل" للمبرد و"أدب الكاتب" لابن قتيبة و"خزانة الأدب" للبغدادي

المحاضرة الثالثة عشرة: مصادر النقد والأخبار: "عيون الأخبار" لابن قتيبة و"عيار الشعر" لابن طباطبا

المحاضرة الرابعة عشرة: كتب الاختيارات الشعرية (المفضليات، والضيبيات، الأصمعيات، والحماسة)

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل طلبتنا الفضلاء وأن يوفقنا وإياهم للعمل النافع والعمل الصالح، والله تعالى نسأله التوفيق والسداد.

المناظرة الأولى: نشأة اللغة العربية وحركة التكوين اللغوي

ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى رسم المعالم المنهجية الفاصلة بين المصادر كأصول بكر والمراجع كدراسات شارحة، سنشرع في تدارس الجدليات الفلسفية حول نشأة اللغة، مع دراسة مختلف الرؤى في ذلك، ثم ننتقل لسبر أغوار العصر الجاهلي حيث سادت المشافهة والرواية الفطرية، قبل أن يصير القرآن الكريم الفصحى معياراً موحداً وخلصها بلسان قريش، محرراً عجلة التأليف في التفسير والنحو، ولذا انتقلت العربية من عفوية السليقة إلى انضباط العلم، فهل كانت الحاجة لتيسير بلاغ الوحي هي الباعث الوحيد لنشأة علوم النحو والأصوات؟

أولاً: تعريف المصدر والمرجع في الدراسات اللغوية

تعد المصادر الأس الذي يقوم عليه صرح البحث العلمي، فهي رافده الأول الذي يمد الباحث بالمادة الأصيلة، وبها تقوى الدراسة وتكتمل ملاحظتها؛ والمصادر نافذة الباحث لرؤى السلف ومناهج الخلف، ويقف عبرها على نتائج العقول في شتى العصور.

بيد أنّ الرحلة نحو هذه الأصول- في كثير من الأحيان- قد تبدأ من عتبات المراجع؛ فهي التي ترسم للباحث معالم الطريق بما تكتنزه في ثناياها من علم غزير، وترشده إلى مظان تلك المادة الأصيلة، فجدير بنا منهجياً أن نقف عند حدود كل من المصادر والمراجع، ونستوضح الفرق بينهما.

1. المصدر والمرجع في اللغة والاصطلاح

يقوم المصدر في اللغة على ثلاثة حروف أصول، هي الصاد والذال والراء، قال ابن فارس: إنهما "أصلان صحيحان، أحدهما يدل على خلاف الورد، والآخر صدر الإنسان وغيره... فالأول قولهم: صدر عن الماء، وصدر عن البلاد، إذا كان وردها ثم شَخَصَ عنها"¹، وقال ابن منظور: "الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله، حتى إنهم ليقولون: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف وما أشبه..."²

وأما المرجع في اللغة يقوم على ثلاثة حروف أصول، هي الراء والحيم والعين، قال ابن فارس: إنه "أصل كبير مطرد منقاس، يدل على رد وتكرار، تقول: رجع يرجع رجوعاً، إذا عاد... والمرجوع ما يُرجع إليه من الشيء"³.

¹ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج: 03، ص: 337.

² لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط: 03، 1414 هـ، ج: 04، ص: 445.

³ مقاييس اللغة لابن فارس، مرجع سبق ذكره، ج: 02، ص: 490.

أما في الاصطلاح، إذا ما اعتبرنا أنهما يتحدان في مفهوم واحد، فيمكن حصر ماهيتهما بأنهما كل: "ما يحوي مادة عن موضوع ما"¹ فهما بهذا الاعتبار يمثلان مستودعا فكريا واحدا يستمد منه الباحث قوام دراسته، دون تفريق جوهري بين طبيعة ما يقدمه كل منهما، فالمصدر والمرجع كلاهما يقدمان "كل ما يتعلق بالبحث من دراسات ووثائق قديمة أو حديثة، مخطوطة أو مطبوعة، فالمصادر على هذا هي كل ما يرجع إليه في البحث، والمراجع هي كذلك أيضاً"²

وأما باستقراء أوجه التباين المنهجي بين المفهومين، نجد تيارا علميا يدمج بينهما من حيث جوهرهما، ويفرق بينهما في رتبتهما؛ فيجعل المصادر درجات، أعلاها الأصول الأولية وأدناها المراجع الثانوية، أو يعكس التقسيم يجعل المراجع هي المظلة الكبرى والمصادر هي الفروع، وعلى الضد من ذلك ثمة مسلك آخر يرى الفصل بينهما ضرورة معرفية، إذ يقرر أن "المصدر هو كل كتاب تناول موضوعاً وعالجه معالجة شاملة عميقة، أو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمق، بحيث يصبح أصلاً لا يمكن لباحث في ذلك العلم الاستغناء عنه، كصحيح البخاري وصحيح مسلم؛ فإنهما مصدران في الحديث النبوي، وأما المرجع، فهو الكتاب الذي يستقي من غيره، فيتناول موضوعاً أو جانباً من موضوع، فيبحث في دقائق مسأله ومقاصده."³

فالحاصل أن المصادر في الدرس اللغوي تمثل الركائز الأصلية والمواد الخام الأولى التي يُستقى منها أصل اللغة، وأما المراجع فتتجلى في المؤلفات والدراسات التي استندت إلى تلك المصادر الأولى جمعا وتحليلا وتقعيدا، كالرسائل اللغوية والمعاجم وكتب النحو، وتعد هذه المؤلفات وما تبعها من كتب النحو والاشتقاق مراجع يُستند إليها لفهم المصادر الأصلية وتأطيرها علمياً.

2. أهمية دراسة تاريخ التدوين

تمثل دراسة تاريخ التدوين اللغوي حلقة فكرية مهمة لسبر أغوار المصادر اللغوية، وتمحيص مضامينها؛ إذ ينبغي للناظر في خبايا التراث أن الشعر العربي القديم قد انبثق في مهده الأول مشافهة يُلقى بالألسن قبل أن يجمع في دواوين ومؤلفات خاصة، ولا انتشار المشافهة وقتئذ ظلت أغلب الكنوز الأدبية بعيدة عن التقييد والتدوين حتى مطلع القرن الثامن الميلادي -وهو العصر الذي شهد بزوغ فجر الإسلام- فلم تظهر آنذاك من الكتابة سوى شذرات من النقوش الصخرية والرسوم الجدارية التي خلفتها العصور الغابرة قبيل الإسلام.

¹ البحث العلمي حقيقته ومصادره، عبد العزيز الربيع، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط: 02، 1420هـ/2000م، ج: 01، ص: 91.

² البحوث الأدبية: مناهجها، ومصادرها. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: 02، 1987م، ص: 76

³ البحث العلمي حقيقته ومصادره، مرجع سبق ذكره، ج: 01، ص: 93.

ومن هنا تكتسب حقبة التدوين صبغة مفصلية في الذاكرة اللغوية؛ إذ شيدت جداراً متيناً لحفظ المادة العلمية من الزوال والتبدد، وقد كان التنزيل الحكيم والقرآن العظيم هو المحرك الجوهرى والغاية الأسمى لهذا الانطلاق العلمي الدقيق؛ فالحاجة الملحة لاستيعاب مراي الوحي وتيسير بلاغه هي التي: "أدت إلى وضع كتب التفسير الأولى التي تحولت إلى كتب لغة وقواميس، كما أدت تدريجياً عن طريق التعمق والتخصص إلى كتب نحو متكاملة والعناية بقراءة القرآن قراءة صحيحة أدت إلى وضع أسس العلوم الصوتية والصرفية"¹.

ثانياً: أصل اللغة العربية وجذورها التاريخية

1. موقع اللغة العربية بين اللغات السامية²

تتأصل اللغة العربية تاريخياً ضمن الأرومة السامية³، "حيث تشير الدراسات التاريخية واللغوية إلى أن العالم يحتوي على ثلاث سلالات لغوية كبرى، أولها السلالة السامية: التي تنتسب إلى سام بن نوح، ومنها تفرعت اللغة العربية، والعبرانية، والسريانية، والكلدانية، والنبطية"⁴، وتتفرد العربية بكونها الوريثة الأكثر اتساعاً وحضوراً بين شقيقاتها، إذ استبقت في رحابها خصائص بنيوية عريقة يحكم الباحثون من خلالها بأصالتها وعمق جذورها؛ ذلك لأن اللغات "تتميز بمجموعة من الخصائص الفريدة التي لا توجد في اللغات الأخرى، مثل القدرة على النطق بحروف معينة، مثل: "ح، ع، ق، ص، ض، ط، ظ"، وهي جَرَسٌ صوتي حافظت عليه الفصحى بضبط بليغ.

وتنهض الشواهد اللغوية والتاريخية برهاناً على رسوخ العربية كأقدم اللغات السامية وأمتنها أساساً؛ ومن جليّ تلك البراهين استيعاب اللغة العربية لكافة المفردات والأصول اللغوية، إذ الثابت أنّ "اللغة العربية تحتوي على جميع الأصول والمفردات التي توجد في العبرانية والسريانية، ولكن العكس ليس صحيحاً، كما يتجلى نبوغها في "التزام اللغة العربية بالقياس الصرفي، حيث إنّ هذه اللغة العتيقة "تحتفظ بدرجة كبيرة من النظام اللغوي المتأصل... وتُعد اللغة العربية من أكثر اللغات التزاماً بالقواعد الصرفية، حيث نجد أن الكلمات التي تخالف القياس فيها نادرة جداً، ويُعزز هذا الاستقرار البنيوي أنّ كل كلمة لها أصل وجذر معروف، ويمكن تتبع مشتقاتها بسهولة، هذا يُظهر أن العربية أقدم وأكثر استقراراً من اللغات السامية الأخرى، وهذا ما يبرز

¹ حول تاريخ اللغة العربية، مقابلة أجرتها الأستاذة سلام دياب مع الدكتور جمال كولغلي، أستاذ بالمدرسة العليا لتكوين المعلمين بليون/2007/11/14، ص: 04

² ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبيح إبراهيم الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1379هـ - 1960م، ص: 48.

³ اللسانيات التطبيقية وتعلم اللغة العربية، بنيونس عليوي، شبكة الألوكة، 1439هـ - 2017م، ص: 13.

⁴ اللغة العربية وأصالتها كأقدم اللغات السامية، محمد سعود الأعظمي، مجلة المجتمع، 31 مارس 2026، الثلاثاء، 09:23 صباحاً.

قَدَمَها في نظامها الصوتي المَصُون؛ فبينما اعتري التغيير لغات كالعبرانية والسريانية باستبدال بعض حروفها؛ نجد أنَّ الضاد، وهو حرف لا يُستخدم إلا في اللغة العربية، هو الأصل، وأن الكلمات التي تحتوي عليه عربية الأصل¹.

2. نشأة اللغة بين التوقيف والاصطلاح:

تُمثل قضية نشأة اللغة أحد أعرق المباحث الفلسفية واللغوية التي استبدت بالعقل البشري عبر العصور، وقد تجلت هذه المعضلة في الفكر الإنساني واللغوي العربي ضمن ما يُعرف بجدلالية التوقيف والاصطلاح، وعلى الرغم من تضارب الآراء وتعدد المشارب، فقد بلغت هذه القضية مداها حين قررت الجمعية اللغوية في باريس الكفَّ عن مناقشة هذا الموضوع نهائياً وحظر قبول أي بحث فيه، مما دفع الباحثين إلى الإعراض عن الخوض في غمارها².

فمن أنصار هذا الاتجاه إلى أنَّ "زاوية النظر التوقيفية الإلهية، يُنظر إلى اللغة بوصفها هبة خاصة من الله، لا يد للإنسان فيها؛ إذ يذهب التعقد والتنظيم المنضبط للغات يمكن أن يفسر فقط على أساس أن اللغة منحة مباشرة من الله للإنسان"³.

وفي المقابل، فإن المنظور الاصطلاحي يقرر أنَّ "اللغة مواضعة واتفاق بين الناس، بحيث يصطلحون على كذا وكذا من الألفاظ"⁴؛ وبناءً عليه فإنَّ "اللغة نتاج العرف ما دامت الأسماء لا تنشأ بشكل طبيعي"⁵، فهي محصلة تواضع البشر واتفاقهم على رموز بعينها للتعبير عن أغراضهم.

وفي رحاب التراث اللغوي العربي لم يمرَّ فقهاء اللغة مروراً عابراً على هذه الجدلية، بل وقفوا منها موقف المتأني الفاحص، مستعرضين رؤى تتراوح بين ضفتي التوقيف والاصطلاح، وقدموا منحى ثالثاً يعزو النشأة إلى محاكاة الطبيعة وأصدائها، وفي هذا السياق ينقل الإمام السيوطي في المزهرة⁶ عن أبي الفتح ابن جني قوله: "أن بعضهم ذهب إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوي الرياح وحنين الرعد وخريف الماء

¹ ينظر: المرجع السابق نفسه.

² ينظر: فقه اللغة مفهومه - موضوعاته - قضاياها، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الثانية، 1430هـ - 2009م، ص: 56.

³ موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر. ه. روبنز، تر: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة)، 1418هـ - 1997م، ص: 219.

⁴ فقه اللغة، محمد الحمد، مرجع سابق، ص: 59.

⁵ موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، مرجع سابق، ص: 41.

⁶ ينظر: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م، ج: 01، ص: 14.

وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الخيل ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد"¹، ولم يكن ابن جني ناقلاً مجرداً، بل أعقب هذا القول بلمحة نقدية تُزكي منازع هذا الرأي وتُثبت رُجحانه، مُصرحاً: "وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل"².

ثالثاً: الشفاهية قبل التدوين، وتدوين القرآن الكريم

1. الرواية الشفوية المصدر الأول للغة

خَلَّتِ الساحة العربية في العصور الجاهلية من إرث تدويني منظم أو علوم مسطورة في أسفار؛ إذ طغت حياة الترحال على الاستقرار فشاعت بينهم الأمية، ولم تخلف تلك الفترة من تاريخهم سوى نقوش شحيحة - كما سلف - تقف شواهد ناطقة بما بلغوه من حضارية أولية.

غير أن انعدام التدوين لم يَحُلْ دون امتلاكهم رصيماً من المعارف الفطرية والعلوم البسيطة التي أملتتها عليهم طبيعة بيئتهم القاسية؛ فتفتقت قرائحهم عن علم الأنساب والطب الشعبي والأنواء، وبرعوا في القيافة تتبعاً للأثر، والفراسة استدلالاً بالظواهر على الخوافي، وهي ضروب من المعرفة قامت في جوهرها على الملاحظة الدقيقة والخبرة، بعيدة عن مناهج التحليل والاستقصاء العلمي المنضبط، كما "ذهب عدد غير قليل من الباحثين إلى أن الاعتماد الأول كان على الذاكرة والرواية الشفوية، ولم تدون إلا الصكوك والعهود والأحلاف والمواثيق، أما الأخبار والأنساب والقصص والأمثال والمعارف البسيطة في الطب والأنواء والقيافة والفراسة واللغة والشعر فلم تكن تدون إلا في أحوال نادرة. فلم تكن الكتابة أمراً شائعاً، ولم يكن عدد القادرين على الكتاب إلا نفراً محدوداً آنذاك"³.

2. دور النص القرآني في جمع الألسنة وتوحيد البيان

إن من أبرز غايات النص القرآني هو محاولة جمع تعدد اللهجات والقبائل في بوتقة لغوية منضبطة، وقد اصطلح الرواة واللغويون على أن "لهجة قريش قد تجمع لها من الأسباب ما جعلها تسير نحو الرقي والكمال"⁴، كما تؤكد الحقائق التاريخية أنَّ "القرآن بوصفه الكتاب المقدس للإسلام، وكلام الله الموحى به للنبي صلى الله عليه وسلم كان هو رباط الوحدة على نطاق الأراضي الخاضعة للعرب كلها، ورباط الولاء الإسلامي الشامل منذ القرن السابع فصاعداً"⁵.

¹ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ج: 01، ص: 47.

² المرجع السابق، ج: 01، ص: 48.

³ المدخل إلى مصادر اللغة العربية، سعيد حسن بحيري السيد، دار زهراء الشرق، 1425هـ - 2005م، ص: 08.

⁴ مقرر - الأدب في العصر الجاهلي، عبد الله بن حمد الطلحي، جامعة أم القرى، ص: 20.

⁵ موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، مرجع سابق، ص: 150.

وبهذا التنزيل المعجز "بدأت لغة التنزيل تأخذ طريقها... كونها هي اللغة آليت يفهم من خلالها أصول الدين وفروعه وأحكامه وتعاليمه"¹، فمنح القرآنُ الفصحى صبغة الخلود والسيادة، كونها "هي التي نزل بها القرآن ثم كُتب بعد ذلك بأسلوب فصيح"²، مما كفل لها الحفظ من مخاطر التشتت، وصيَّرها المقياس الأسمى للبيان المعجز.

3. القرآن الكريم النواة الأولى لحركة التدوين

إنَّ الباعث الرئيس الذي أرسى دعائم حركة التدوين اللغوي تمثل في الدفاع عن حمى النص القرآني من بواذر اللحن والتحريف، ولا سيما عقب اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وأقر كثير من الباحثين أنَّ ضرورة تقييد النص القرآني أفضت إلى إصلاح الخط وتزويده بالتنقيط المُعجمي للتفريق بين الحروف المتشابهة في الرسم، وبالرموز الدالة على الحركات والتشديد، وهذا من أجل الضبط الكتابي للغة.

ولم يتوقف التأثير القرآني عند حدود الرسم الإملائي، بل تجاوزها ليؤسس شتى فروع المعرفة اللغوية؛ كال تفسير والمعجم والنحو؛ إذ إنَّ الحاجة المُلحة لبيان مرامي القرآن -لا سيما للوافدين الجدد إلى الإسلام من غير العرب- هي التي ولدت بدايات كتب التفسير التي استحالَت بمرور الزمن إلى مراجع لغوية وقواميس، ثم تطورت عبر مَسار التخصص والتعمق إلى مصنفات نحوية متكاملة.

وعلاوة على ذلك، كان لضبط الأداء القرآني فضل مباشر وموثق في نشأة علوم النطق وتصريف الكلمة؛ إذ يثبت استقراء التاريخ أنَّ العناية بترتيل القرآن قراءة صحيحة هي التي وضعت أسس العلوم الصوتية والصرفية، وبهذا يتضح للمتخصص أنَّ سائر مسارات البحث اللغوي العربي لم تنبثق إلا كأدوات منهجية استدعتها الضرورة القصوى لخدمة كتاب الله، وصيانة آياته، وضبط تلاوته وفهمه جيلاً بعد جيل.

¹ أثر اللغة العربية في نشر الثقافة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، بن سعيد بن ميرة، أفانين الخطاب، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، المجلد: 02، العدد: 01، 2022 م، ص: 99-114.

² مقرر - الأدب في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص: 20.

الماضرة الثانية: بنية الرواية اللغوية

ملخص

تمثل الرواية اللغوية الجسر التاريخي الذي عبرت من خلاله كنوز البيان العربي من صدور الرواة في البوادي إلى بطون الكتب في الحواضر؛ كما أنها تعتبر ركيزة أساسية لبناء المنظومة العلمية المتكاملة التي شيدها العقل العربي من أجل حماية هويته من عوادي الزمن وتداخل الألسنة، فلم تكن مجرد نقل آلي للألفاظ مجردة عن الضوابط والحوافز.

أولاً: مفهوم الرواية اللغوية:

1. الرواية في اللغة

ترجع اللفظة في أصل وضعها اللغوي إلى مادة (روي)، وتدور حول دلالات السقيا والارتواء، حيث "يقال رَوَيْتُ القوم أرويهـم: إذا سقيت لهم، كما يقال رَوَيْت على أهـلي ولأهـلي رَئياً: أتيتهـم بالماء"¹، وقد شهدت هذه اللفظة تحولاً دلالياً لافتاً، ارتقى بها من حيز الاحتياج المادي المباشر إلى فضاء اجتماعي يتسم بالسيادة، إذ قال ابن الأعرابي: يقال لسادة القوم روايا، وهي جمع رواية"²، وبعد ذلك انتقلت اللفظة لتستقر في دائرة التحمل والأداء، فيقال روى الحديث يرويه رواية، وروى الشعر يرويه بمعنى حمله ونقله³، وهذا الانتقال الجوهرى هو الذي شيد الجسر المتين لعبور اللفظة إلى ساحة العلوم الشرعية واللغوية، واضعاً اللبنة الأولى لمنهج التلقي العلمي الرفيع.

2. الرواية في الاصطلاح:

عند تتبع المدلول الاصطلاحي في الدراسات اللغوية، نجد تأطيراً دقيقاً لعملية النقل والأخذ؛ فـ "عرفها الباحثون بأنها: عملية جمع المادة اللغوية من أفواه العرب الفصحاء، بالذهاب إليهم في بواديهم أو بالالتقاء بهم في الحواضر، ثم نقل ذلك للدراسيين من الطلاب"

¹ لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، ج: 14، ص: 346، [مادة: روي]

² تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: جماعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، 1385 - 1422 هـ / 1965 - 2001 م، ج: 38، ص: 198، [مادة: روي]

³ الرواية اللغوية في كتاب العين، منى البشير محمد علي، مجلة العلوم الشرعية، الجامعة الإسلامية، المجلد: 07، العدد: 07، 2020 م، ص: 120.

ويجب التنبيه هنا إلى ضرورة التفريق المنهجي الذي يفرضه التطور التاريخي للمصطلح؛ إذ إن "هذا التعريف اقتصر على نوع من أنواع الرواية، وهي الرواية اللغوية، التي لم تبدأ قبل القرن الأول وبداية القرن الثاني"، أما ما سبق ذلك من مروييات تناقلها العرب، فميزتها المراجع الأكاديمية توضيحاً، منبهة إلى أن "الرواية بشكلها الجاهلي القديم الذي استمر إلى ما بعد الإسلام، والمتمثلة في رواية الشعر وحفظه، ورواية أخبار العرب، وأيامهم، فإنها ليست مما تعنيه الرواية اللغوية اصطلاحاً، وإن كانت تمثل الجذور الأولى لنضج الرواية فيما بعد"، مما يعني أن الرواية اللغوية ذات تقعيد منهجي يختلف في حدوده ومقاصده عن مجرد السرد التاريخي والأدبي القديم¹.

3. الفرق بين الرواية الأدبية والرواية اللغوية

يتجلى التمييز المنهجي الدقيق بين الرواية الأدبية -باعتبارها وعاء لنقل النصوص والآثار- وبين الرواية اللغوية والنحوية -بوصفها مسارا للاستنباط والتقعيد- من خلال سبر طبيعة المادة المنقولة ومسلك العلماء في توضيح مفهومها، ولبيان ذلك نجمل هذه الفروق في النقاط الآتية:

أ- الرواية الأدبية تُشكل الرواية الأدبية؛ وفي طليعتها ديوان الشعر، الهيكل البنيوي الذي شُيدت عليه صروح القواعد، إذ قررت الحقائق المنهجية إلى أن "اعتماد علماء اللغة العربية جميعهم عليه في وضع قواعد اللغة العربية، فكان الأدب الجاهلي وخاصة الشعر هو المرجع الأساسي الذي عادوا إليه بعد القرآن الكريم"²، وما يميز هذه الرواية بالدقة أنها نُقلت في إطار لغوي موحد نقي من شوائب اللهجات المحلية؛ و"لهذا رويت لنا الآثار الأدبية القديمة في لغة موحدة، لا تشتمل على خصائص من تلك التي رويت عن اللهجات العربية القديمة"³. لعل صرامة الأوزان الشعرية كانت هي الحارس الأمين لهذا الثبات اللغوي.

ب- الرواية اللغوية والنحوية: على نقيض النسق الموحد للرواية الأدبية، فقد وقعت الرواية اللغوية والنحوية في إشكالية منهجية حين حاول اللغويون صياغة كليات القواعد العامة؛ "ذلك لأنهم لم يفرقوا بين اللغة الأدبية التي جاء الإسلام فوجدها موحدة، ذات خصائص متميزة، وبين لهجات التخاطب التي اشتملت على الصفات الخاصة للقبائل"⁴ وقد أفضى هذا الخلط بين صفاء اللغة الأدبية وتشعب اللهجات المحلية إلى اضطراب واضح في المعيار اللغوي النحوي؛ إذ يوثق التاريخ العلمي أنه "لو أن الرواة وقفوا في استنباط قواعدهم عند اللغة الأدبية التي جاءتهم موحدة ومثلة في الآداب الجاهلية والقرآن الكريم، لجنبوا أنفسهم

¹ ينظر: الرواية اللغوية في كتاب العين، المرجع السابق، ص: 120.

² دور الشعر الجاهلي في كتابة تاريخ الجزيرة العربية والتعريف بالعرب، دغبار رضا، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، المجلد: 10، العدد: 04، 2022م، ص: 29-48.

³ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثامنة، 1992م، ص: 38.

⁴ المرجع نفسه، ص: 42.

الكثير من المهاترات والجدل حول ما يجوز، وما لا يجوز، ولكنهم حاولوا إقحام تلك الصفات المحلية للهجات العربية، فبدت لهذا لنا القواعد اللغوية مضطربة متعددة الوجوه¹، ورغم هذا الاضطراب فقد بقي المعيار الأساسي للرواية النحوية منضبطاً بالرجوع إلى أمهات القصائد المعتمدة.

ثانياً: أسباب رواية اللغة ودوافعها:

تضافرت مجموعة من الدوافع المنهجية والأسباب التاريخية التي حفزت العلماء على تدوين اللغة وروايتها، وتتنوع هذه الدوافع إلى ثلاثة محاور رئيسية، نستقي تفاصيلها كالاتي:

1. حماية النص القرآني من اللحن وفهم غريبه:

يعد الباعث الديني المحرك الأساس والأهم لجمع اللغة وتقييد مروياتها، فقد ارتبط اللسان العربي بالنص القرآني ارتباطاً وثيقاً، فنشأت علوم الرواية استجابة لضرورة شرعية أملتها اتساع رقعة الدولة واختلاط الألسنة، حيث "لما اختلف الناس في قراءة القرآن وضبط ألفاظه مست الحاجة إلى علم يميز به الصحيح المتواتر والشاذ النادر، ويتقرر به ما يسوغ القراءة به وما لا يسوغ، وقاية لكلماته من التحريف، ودفعاً للخلاف بين أهل القرآن"²، وقد جعل اللغويون والقراء نصب أعينهم غاية عظمى وهي صيانة القرآن عن التحريف والتغيير، ففي مضامير التفسير والفقه اعتمدوا على المروي من كلام العرب، وجعلوه "مرجعاً لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنه في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واستنباط الأحكام الشرعية"³، ومن هذا المنطلق فقد "ربطوا مسألة اللغة العربية بقداسة الإسلام"⁴، جاعلين من علوم اللسان سياجاً يحيط بالوحي ويصون بلاغته من الزلل عبر الأزمنة.

2. الرغبة في حفظ هوية العرب اللسانية:

تتجسد هذه الغاية في السعي الحثيث للأمة نحو توثيق ذاكرتها التاريخية وكيانها الحضاري عبر الشعر الذي كان الهوية الناطقة، وفي هذا السياق يبرز قول ابن عباس رضي الله عنه: "إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب"⁵.

¹ المرجع السابق، ص: 43.

² د. علي البودخاني، القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية.. أبو عمرو البصري: القراءات والتوجيه، الرابطة المحمدية للعلماء.

³ دور الشعر الجاهلي في كتابة تاريخ الجزيرة العربية والتعريف بالعرب، دغبار رضا، مرجع سبق ذكره

⁴ أثر اللغة العربية في نشر الثقافة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، بن سعيد بن ميرة، مرجع سابق.

⁵ انظر تحريجه في كتاب التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1422هـ،

لقد أيقن الرواة والأعلام أنَّ الشعر الجاهلي هو المُستودع الأمين للهوية اللسانية والقومية، لذا انبروا لجمع شتاته وروايته، فالشعر الجاهلي يعد عَلمَ العرب وموروثهم الثقافي، الحضاري، العلمي، الفني، والتاريخي، وتتجلى القيمة الحضارية لهذه الرواية في كونها أرشيفاً موثقاً استنطق فيه الرواة حياة الأمة؛ فالشعر الجاهلي صَوَّر لنا الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية وحتى التاريخية والجغرافية... وبذلك كان سجل دَوْن كل حياة العرب.

أما على الصعيد اللساني والتعديدي، فقد تضافر الدافع القومي مع المنهج العلمي ليكون الشعر الركيزة الأساس في بناء الصرح النحوي؛ إذ يقرر المحققون اعتماد علماء اللغة العربية جميعهم عليه في وضع قواعد علوم العربية، فكان الأدب الجاهلي وخاصة الشعر هو المرجع الأساسي الذي عادوا إليه بعد القرآن الكريم، وبذلك أضحي الشعرُ مصدراً تشريعياً للغة بعد القرآن والسنة، وحارساً لهويتها من الاندثار¹.

3. حاجة الأمصار المفتوحة لتعلم العربية الصحيحة

مع تمدد رقعة الفتوح الإسلامية، برز مقتضى تعليمي يهدف إلى تلقين الشعوب في الأمصار المفتوحة لسان العرب الفصيح؛ رغبة في صهر تلك المكونات ضمن النسيج الثقافي والديني للدولة الجديدة، وفي هذا السبيل سلك الفاتحون عدة طرق لنشر الثقافة الإسلامية من خلال تعليم اللغة العربية وتعاليم الدين، سعياً نحو تأسيس ميلاد ثقافة إسلامية جديدة انتشرت مع انتشار لغة القرآن الكريم ولغة الفاتحين.

ولترجمة هذه الغاية إلى واقع ملموس، تضافرت الجهودُ لنشر قواعد اللغة؛ إذ لم يهمل العرب الجانب التعليمي وقاموا بإقامة كتاتيب بجوار المساجد من أجل تفعيل دورها في تحفيظ القرآن فضلاً عن تعليم اللغة العربية وقواعدها فتأصلت اللغة في القلوب قبل العقول، ولم يكن تدوين اللغة وروايتها إلا استجابةً حتميةً لمتطلبات هذا الانتشار الواسع في أصقاع المعمورة، وقد أثمر هذا الغرس الرصين ظهور طبقة نابهة من المتعلمين الذين لم يكتفوا بإتقان المروي اللغوي، بل تفوقوا في حيازة ناصيته والبحث في دقائقه².

ثالثاً: مصادر الرواية اللغوية

تُعَدُّ قضية مصادر الرواية الركيزة المنهجية التي قام عليها صرح اللغة العربية، فلم يترك أئمة اللغة الأوائل أمر جمع اللسان للصدفة، بل سنّوا لذلك قواعد صارمة، واختاروا لها مظانَّ موثوقة استقوا منها مادتهم الخام، وبناء على ذلك فإن المنهجية التي اتبعتها العلماء الأول في تدوين اللغة تتمحور في التالي:

¹ دور الشعر الجاهلي في كتابة تاريخ الجزيرة العربية والتعريف بالعرب، دغبار رضا، مرجع سابق -بتصرف-

² ينظر: أثر اللغة العربية في نشر الثقافة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، بن سعيد بن ميرة، مرجع سابق -بتصرف-

1. القرآن الكريم والقراءات:

يتبوأ النص القرآني بقراءاته المتواترة والشاذة ذروة هرم الاحتجاج اللغوي؛ فهو الوثيقة الإلهية التي حمت لسان العرب من الاندثار، و"الذي استقر عليه الرأي بين جمهور العلماء من القدماء أن نصوص القرآن الكريم يحتج بها في تقعيد قواعد اللغة"¹، ولا تقتصر لغة التنزيل على لهجة قريش وحدها؛ إذ الثابت "أن نصيب لغة الحجاز في لغة التنزيل قدر وافر [...] وحقيقة الأمر أن في القرآن لغات عدة غير لغة قريش"²، ومن هنا غدت القراءات القرآنية شاهداً لغوياً ولهجياً فريداً، حيث "ما اشتملت عليه القراءات القرآنية، من صفات صوتية فيمكن إرجاعها إلى بعض اللهجات العربية. وتنتمي هذه الصفات الصوتية إلى أشهر القبائل وأوسعها انتشاراً"³.

ومن شواهد هذا التنوع اللهجي في القرآن، ما ورد في قوله تعالى: "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ"، فقد قرئت بالنصب (نشرح) وهي قراءة أبي جعفر تخريجاً على لغة لحيان، قال أبو حيان: "ولهذه القراءة تخريج أحسن من هذا كله، وهو أنه لغة لبعض العرب حكاهم اللحياني في نوادره، وهي الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس"⁴، قد عُرف اللحياني بنوادره التي شذت عن المؤلف من سنن العربية، ومما يُظهر أيضاً أثر اللهجات في القرآن الكريم التنوع في حركة حروف المضارعة في (نستعين) بين الفتح لأهل الحجاز والكسر التميمي.

2. المشافهة والسماع من الأعراب

اعتمد علماء العربية في جمع المادة اللغوية على استقراء كلام قبائل مخصوصة عرفت بصفاء أرومتها وبعدها عن مواطن الاختلاط، وكانوا يفرقون بدقة بين لغة الحضرة المتأثرة بالاختلاط، ولغة البدو الصافية، لذا "آثر الرواة الأخذ عن قريش وقيس وتميم وأسد وهذيل وغيرهم ممن كانت مساكنهم في وسط الجزيرة"⁵، وقد حازت ثلاث قبائل على قَدَم السَّبْق في هذا الميدان وهي: تميم وهذيل وطيء، وكلها من القبائل التي نسب الرواة لها الفصاحة وإجادة القول، واحتجوا بأقوالهم وأخذوا عنهم في رواياتهم عصر تدوين اللغة.

ولم يكتفِ اللغويون بالرواية غير المباشرة، بل تجسد مصدرهم الأهم في اهتمام اللغويين بهذه اللغة والخروج إلى البادية والسماع من العرب ثم عرضها في المجالس على الطلاب وإملائها: للحفاظ عليها من

¹ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مرجع سبق ذكره، ص: 49.

² في اللهجات العربية القديمة، إبراهيم السامرائي، دار الحداثة، الطبعة الأولى، 1994م، ص: 18.

³ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مرجع سبق ذكره، ص: 58.

⁴ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ت: صديقي محمد جميل العطار وآخرون، دار الفكر، 1420هـ - 2000م، ج: 10، ص: 500.

⁵ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مرجع سبق ذكره، ص: 48.

الضياح¹، ولحماية هذا المصدر فقد خضعت الرواية اللغوية لمعايير نقدية صارمة تشبه الجرح والتعديل في الحديث النبوي تحزراً من الكذب والوضع، جاء في الصاحبي لابن فارس: أن الخليل قال: إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعנית، قال ابن فارس: قلنا فليتحزّر آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا...².

3. الشعر العربي القديم

يُمثل ديوان العرب الشاهد اللغوي الأول والسجل الحافل الذي حفظ طرائق النطق وأساليب البيان، وقد أجمع المحققون على أنّه "أما حين نظرنا إلى المروي من الشعر العربي فقد أجمعوا على أنه يحتج بالشعر الجاهلي كشعر زهير وطرفة وامرئ القيس وأمثالهم، كما يحتج بشعر المخضرمين وهم الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام ونظموا شعراً في المرحلتين كحسان بن ثابت وأمثاله. وكذلك يحتج بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثاني الهجري من أمثال جرير والفرزدق والأخطل"³، كما استخرج النحاة من هذا الديوان الزاخر النوادر، واحتفوا بالشواهد اللغوية النادرة من لغات القبائل التي خرجت عن المأثور المتوارث، كما واجهوا عقبة كؤود إذ طرق الوضع الشعر على يد بعض الرواة لغرض إثبات قواعد نحوية، ولما كان الشعر بهذه المنزلة من الحجية؛ فإن الجهابذة من أهل اللغة وقفوا حصناً منيعاً أمامها ومحصوا تلك المرويات، هذا "وقد بلغ رواة الشعر وعلماءه من التحقيق والتمحيص، وتمييز منحوله، والنص على الموضوع منه، منزلة جعلت بعض العلماء يفضلونهم على رواة الحديث، فقد قال محمد بن سلام حدثني يحيى بن سعيد القطان قال: رواة الشعر أعقل من رواة الحديث؛ لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً، ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون: هذا مصنوع"⁴.

¹ ينظر: الرواية اللغوية في كتاب العين، مرجع سبق ذكره، ص: 140.

² الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائله وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م، ص: 48.

³ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مرجع سبق ذكره، ص: 49.

⁴ مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، دار الجليل، الطبعة السابعة، 1988م، ج: 01، ص: 467.

المحاضرة الثالثة: مصادر لغات القبائل واللهجات العربية ورسائلها

ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى تبيان المفارقة المنهجية بين "اللغة" كمظلة جامعة و"اللهجة" كسمات بيئية خاصة، نشرع من خلالها في رصد مظاهر التباين الدلالي والصوتي بين قبائل العرب، وسنبين ظاهرة تشكل "اللغة النموذجية" في مكة، حيث انصهرت اللهجات في بوتقة قريش لتنتج الفصحى التي ارتضاها النحاة معياراً للبيان، كما نقف على المصادر الكبرى التي حفظت هذا التراث اللهجي، مما يكشف أن هذا الثراء اللساني ينم عن حيوية العربية وقدرتها على احتواء التعدد الصوتي والدلالي، فكيف استطاعت لغة قريش تهذيب الألسنة دون محو خصوصياتها؟

أولاً: مفهوم اللغة واللهجة في المنهج اللساني

شهد الدرس اللغوي تطوراً مفاهيمياً دقيقاً أدى إلى ظهور فرق بين اللهجة واللغة، إذ أرسيت قواعد الفصل بينهما على أساس السعة والشمول؛ حيث يقرر الدرس اللغوي أن: "اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة"¹، فبيئة اللهجة على الصعيدين الجغرافي والاجتماعي أوسع وأشمل، ومن خلاله يشترك مجموعة من الظواهر التي تسهل تواصل أفرادها فيما بينهم، وأما اللغة في المنظور الحديث فهي المظلة الكبرى والكيان الجامع؛ إذ إنَّ "البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة"²، ولأهمية هذا التقسيم فقد تخصص فيه من يُعنى بـ "اللهجات التي تتفرع عن اللغة الواحدة والبحث في كيفية نشوئها وتفرعها وتطورها وأسباب ذلك"³، كما لم يجرِ مصطلح اللهجة على ألسنة أئمة اللغة الأوائل بمدلوله المعاصر، بل "قد كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة "اللغة" حيناً فيقولون مثلاً: الصقر بالصاد من الطيور الجارحة، وبالزاي لغة (بضم اللام وكسرها)"⁴؛ فلفظة لغة هنا هي القالب الذي صبوا فيه التنوع اللهجي للقبائل.

ثانياً: مظاهر اللغات عند المتقدمين وشواهدا

لقد كان علماء العربية الأوائل على وعي تام بأن اللغة ليست نسيجاً واحداً متطابقاً في كل بوادي الجزيرة، بل رصدوا تباينات متعددة خضعت لظروف البيئة والمخالطة، وصنفوها ضمن مظاهر دلالية وصوتية، نستعرضها من خلال الشواهد الآتية:

¹ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مرجع سبق ذكره، ص: 16.

² المرجع نفسه

³ فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر، الطبعة السادسة، 1401هـ - 1981م، ص: 23.

⁴ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مرجع سبق ذكره، ص: 16.

1. التباين الدلالي:

حفظت المعاجم والمدونات بعض من الفروق الجوهرية بين القبائل في إطلاق المسميات؛ إذ تروى هذه المعاجم العربية المئات من الكلمات التي تعدد معانيها تبعاً لاختلاف اللهجات، فمثلاً نجد أن الفعل (وثب) فهو بمعنى جلس حميرية، وبمعنى قفز عدنانية، كما تميزت هذيل في دلالة (السرطان والسيد)، إذ إنَّ الشائع في معنى السرطان هو الذئب، ولكن قبيلة هذيل تستعملها بمعنى الأسد¹، ويقول الفراء: أهل الحجاز وطيء يقولون قاظت نفسه، وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه، وأبو عبيدة أن قريشاً تقول كشتت، ولكن قبيلة تميم وأسد وقيس تقول كشتت؛ وفي رواية يعقوب: تميم وأسد يقولون كشتت بالقاف؛ وقيس تقول كشتت²، ومثال النوادر المعجمية التي حفظها لنا النقل، ما ذكره اللحياني في اختلاف أزد شنوءة عن تميم، حيث قال: "أو كان يروى اللحياني: أزد شنوءة يقولون: يتفكهون، وتميم تقول: يتفكنون، أي يتندمون³."

2. التباين الصوتي:

- يُعد هذا المظهر من أهم أبواب الدرس اللساني التراثي، فهو يشمل تغير الحركات، وإبدال الحروف، وطرائق الأداء، مما يكشف لنا عن طبيعة النطق في القبائل قديماً، ومن شواهد ذلك المستقاة من مصادرها:
- الفتح والإمالة: أرسى العلماء حدوداً جغرافية لهذا الأداء؛ إذ أجمع علماء العربية على نسبة الفتح لأهل الحجاز، وعلى أن قبائل نجد قد عرف عنهم الإمالة في كلامهم⁴.
 - الإبدال الصوتي بين الحروف: حفظت لنا اللغة ظواهر تبادلية بين الأصوات لا تزال مدار بحث، ومن أمثلتها: إن (الأثافي) هي عند تميم الأثافي، أو أن (صوام) ينطق به في الحجاز والشام صيام.
 - التباين الحركي: تميل بعض القبائل إلى كسرة الكلمة خلافاً لفتحها المعهود، حيث روى عن تميم وأسد أنهم كانوا ينطقون باطراد كلمات مثل: [بَعِير، شَهِيد، زَيْر] بكسر الحرف الأول⁵.
 - ظاهرة الكشكشة: وهي من الظواهر الصوتية العريقة التي ربطها اللسانيون المحدثون بالأصوات المعاصرة، مستنبطين أن هذا الصوت هو نفس ما سمعه القدماء في تلك الظاهرة التي سموها "الكشكشة"... حين ينطقون بمثل هاتين الكلمتين⁶.

¹ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مرجع سبق ذكره، ص: 136 -بتصرف-

² ينظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، 1975م، ص: 76.

³ ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 60.

⁴ ينظر: من أسرار اللغة، ص: 78، في اللهجات العربية، ص: 98.

⁵ ينظر: في اللهجات العربية، ص 123.

ثالثاً: مفهوم الفصحى بين اللغة النموذجية ولغة من ترضى عربيتهم

تُعد علاقة الفصحى بلسان قريش أحد أدق المباحث اللغوية وأكثرها تداخلاً في الدرس اللغوي، لفهم هذه العلاقة يجب علينا أن ندرك طبيعة التكوين الاجتماعي لمكة قديماً؛ فالمعروف أن مكة كان قبلة تفتد إليها القبائل من شتى البقاع، ويجلبون مع تجارتهم عاداتهم ولهجاتهم ولغاتهم، "ولقد كانت مكة في عصور ما قبل الإسلام مهذاً لتجارة رائجة واسعة النطاق، وكان ينزح إليها قوم من الأعاجم يؤسسون فيها بيوتاً تجارية عظيمة، ويجلبون إليها منتجات من كل الأمم المعروفة حينئذ، ولا نستطيع أن نتصور كيف يمكن أن يتم هذا دون أن يترك أثراً ما في لهجة مكة"¹، فيظهر لنا أن اللغة عموماً لم تكن بمعزل عن حركة السوق وتباين الأجناس، وهذا ما يكس الثراء الاجتماعي والحضاري الذي انصهر في لغة قريش وهذبها، لتصبح لاحقاً الوعاء الأصفى، والبيان الأنقى، ونتيجة لهذا التمازج ومكانة مكة، نشأ ما اصطلح عليه إبراهيم أنيس بـ "اللغة النموذجية"²

وفي مقابل اللغة النموذجية، فإننا نجد أن النحاة واللغويين قد أرسوا قواعد في الاستشهاد اللغوي من خلال الاعتماد على قبائل مخصوصة عُرفت بصفاء ألسنتها وبُعدها عن الاختلاط المفسد للغة، وهو ما اصطلح عليه إمام النحاة "سيبويه" بـ "أصوات من ترضى عربيته"³، وقد حدد العلماء النطاق الجغرافي والقبلي لهذه المصادر بدقة، فاقصروا على أنها: "قريش وقيس وتميم وأسد وهذيل وغيرهم ممن كانت مساكنهم في وسط الجزيرة"⁴

رابعاً: مصادر دراسة لغات القبائل

بدأ تدوين لغات القبائل وجمع مفرداتها في مراحل مبكرة من تاريخ التأليف اللغوي، ولم يأت هذا الجمع شاملاً في بدايته، كعادة كل بداية تأليف، بل اقتصر على رسائل مفردة متخصصة، ولقد حفظت لنا كتب التراجم عناوين بعض هذه الرسائل التي فقدت أصول معظمها، يقول محمد المبارك: "ولو رجعنا إلى كتاب الفهرست لابن النديم لوجدنا في أخبار اللغويين والنحويين عناوين مشابهة لمؤلفين مختلفين مثل كتاب خلق الإنسان والخيال والإبل والأنواء والنبات والشجر والوحوش والغنم والسلاح"⁵، ومن أبرز الأئمة الذين نشطوا في هذا الجمع

¹ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 90.

² ويقول: "فقبل الإسلام استمسكت كل قبيلة بصفات الكلامية... ولكن الخاصة من الناس في تلك القبائل قد لجأوا إلى تلك اللغة النموذجية التي نشأت في مكة، في شؤونهم الجدية يخطبون بها وينظمون الشعر". في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 46.

³ ينظر: الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م، ج: 04، ص: 125.

⁴ في اللهجات العربية، ص: 48.

⁵ فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، مرجع سبق ذكره، ص: 25.

الميداني للغات البوادي فإننا نجد الأصمعي وأبي زيد وقطرب والأخفش والنضر ابن شميل، وتكمن أهمية مثل هذه الرسائل في كونها النواة الأولى للتأليف المعجمي الذي يأتي لاحقاً¹.

هذا لم تحظ كل لغات القبائل بكتب مستقلة يفردها في مصنفات خاصة بها تحمل اسم لهجتها أو لغتها، بل انصهرت واستقرت ضمن أمهات الكتب النحوية والمعجمية الكبرى، وباتت هذه الدواوين العظيمة تمثل اليوم المراجع الضمنية التي لا غنى للباحث اللساني عنها، ومن أبرز تلك المصادر:

1. كتاب سيبويه (ت 180 هـ):

يمثل (الكتاب) لسيبويه أول مدونة نحوية كبرى تضمنت لغات القبائل في مهد التدوين، وقد اتخذ سيبويه من هذا السفر منهجاً وثيقاً لسبر طرائق القبائل الصوتية، معتمداً على طبقة محددة من الأعراب الذين اصطاح عليهم بقوله: "أصوات من ترضى عربيته" كما مر معنا، وما يزال كتاب سيبويه المصدر الأول لجميع الدراسات النحوية والصرفية واللهجات العربية والقراءات والأصوات اللغوية، كما كان مصدر هذه الدراسات منذ أن ظهر وتداوله الدارسون².

2. كتاب "الخصائص" لابن جني:

ارتقى الإمام ابن جني بالبحث اللغوي إلى آفاق التنظير والتحليل العميق، فهو يعد من أعظم من نظر للغات القبائل ودرس تداخلها، حتى وصفه علماءنا بقولهم: "لعل أظهر علماء العربية في بحث هذا، هو "ابن جني" في كتاب "الخصائص" الجزء الأول، إذ عقد فصولاً أربعة سمي الأول: "باب في الفصحح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً"، والثاني "باب في تركيب اللغات"، والباب الثالث "في الأصلين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه"³.

3. المعاجم اللغوية الكبرى:

مثلت هذه الدواوين الخزانة الكبرى التي استودع فيها العلماء تباين اللغات وتعدد وجوه الدلالة للفظ الواحد بين القبائل، فقد نقلت إلينا هذه المعاجم العربية المئات من الكلمات التي اختلفت معانيها تبعاً لاختلاف اللهجات المتباينة، وكان كل همهم هو سرد الكلمات ونسبة بعضها فقط إلى بيئاتها، ورغم أن أصحاب المعاجم لم يرتبوها ترتيباً جغرافياً لهجياً، إلا أنهم همهم كان سرد الكلمات ونسبة بعضها فقط إلى بيئاتها⁴.

¹ ينظر: المرجع السابق نفسه

² من مقدمة أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، 1965م، ص: 15.

³ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: 164.

⁴ ينظر في اللهجات العربية، ص: 157.

الماضرة الرابعة: مصادر الضواهر اللغوية: كتب النخائر، الفرائد، والأمال.

ملخص

إن التأليف اللغوي المتخصص الذي أفرد علماء العربية لظواهر اللغة ودلالاتها، لم ينشأ ترفاً فكرياً، بل استند إلى ضرورة ملحة تمثلت في ضبط دلالات الألفاظ في النصوص، وبخاصة النص القرآني، كما برزت هذه الغاية في مناهج التأليف عند العلماء العرب، حيث وجهوا عنايتهم نحو الدقة، وأفردوا مباحث وكتباً ورسائل مستقلة لتحقيق هذا الغرض.

تمهيد

حرص أئمة اللغة وأمراء البيان على إرساء قواعد وضوابط تتعلق بالعلوم المرتبط باللغة العربية وذات الصلة بالقرآن الكريم، وصون هذا الأخير كان الغاية الأسمى في التأليف اللغوي المتخصص، بحيث يضمن لهم إصابة المعنى المراد من اللفظ بدقة دون الوقوع في مزالق الإفراط أو مغبة التفريط، وإذا نظرنا إلى هذا التراث الثري أو هذه الثروة العظيمة التي تركها العرب وامتلكوها؛ نجد أنها قد تطورت بتطور حياتهم عبر العصور المختلفة حتى يومنا هذا، بدء من العصر الجاهلي الذي أولى العرب فيه الشعر كبير عنايتهم، إلى بزوغ فجر الإسلام الذي واکب فيه الأدب الحياة الجديدة، مروراً بالعصر الحديث الذي شهد نهضة أدبية شاملة.

أولاً: الوجوه والنظائر

إن دراسة الوجوه والنظائر تمثل ركيزة أساسية لا غنى عنها في فهم النص القرآني؛ فهي تفتح للباحث أبواباً واسعة لإدراك المعاني المتعددة للفظ الواحد، وتجدر الإشارة إلى أن أئمة اللغة والتفسير قد منحو هذا العلم عناية فائقة؛ ليقينهم بأن الجهل به قد يؤدي إلى الخطأ في الفهم، خاصة لمن يظن أن الكلمة تحمل معنى ثابتاً أينما وردت في القرآن، أو في كلام العرب، لذا فإن إتقان هذا العلم يُعدّ صمام أمان يضمن دقة الاستنباط، ويحمي الفهم من السطحية في تفسير النصوص.

1. مفهوم الوجوه والنظائر

أ- في اللغة: ورد في القاموس المحيط: "الشَّبُه - بالكسر والتحريك وكأَمِيرٍ -: المِثْلُ، والجمعُ: أشباهٌ"¹، وقال الزَّبيديُّ في شرحه: "التَّظْيِيرُ - كأَمِيرٍ - والمُتَنَاطِرُ: المِثْلُ والشَّيْبَةُ في كلِّ شيءٍ، يقال: فلانٌ نَظِيرُكَ؛ أي: مثلكَ؛

¹ القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ط 8، عام 1426هـ - 2005م، ص: 1247.

لأنه إذا نَظَرَ إليهما النَّاطِرُ رآهما سواءً¹ وقال: "والتَّظَايُرُ: الْأَفْضَلُ وَالْأَمَّاثُلُ؛ لاشتِّبَاهِ بعضهم ببعضٍ في الأخلاقِ والأفعالِ والأقوالِ"².

وأما الوجوه في اللغة فهي جمع وجه، ويطلق على معان متعددة، قال ابن دريد: "وجه الكلام: السبيل التي نقصدها به، وصرفت الشيء عن وجهه أي عن سننه، وكساء موجه: له وجهان، ويجمع وجه على أوجه ووجوه وأجوه"³ ومما يؤيد هذا الاتساع الدلالي ما جاء في لسان العرب لابن منظور: "وفي الحديث "أنه ذكر فتناً كوجوه البقر..." أي ترى له معانٍ يحتملها"⁴، ومن هذا يتبين أنَّ لفظي الأشباه والنظائر يأتيان في اللغة لمعنى واحد، فإنَّ اللغة تُحَكِّمُ في هذا، ويكونُ معنى الأشباه هو معنى التَّظَايُرِ.

ب- في الاصطلاح: عرف العلماء هذا الفن بأنه التمييز بين الألفاظ القرآنية المتكررة والتي تختلف دلالاتها باختلاف سياقها، قال ابن الجوزي: "وأعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فإذاً النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني"⁵، ويمكن تلخيص مفهومهما كالآتي:

الوجوه: المعاني المختلفة للفظ القرآنية في مواضعها من القرآن.
والتَّظَايُرُ: المواضع القرآنية المتعددة للوجه الواحد التي اتفقَ فيها معنى اللَّفْظِ، فيكون معنى اللَّفْظِ في هذه الآية نظيرَ (أي: شبيه ومثيل) معنى اللَّفْظِ في الآية الأخرى⁶.

2. تاريخ التأليف فيه وأبرز من ألف فيه

لقد انتبه علماء الأمة منذ وقت مبكر إلى أهمية هذا الفن في حماية القرآن الكريم من الفهم الخاطئ. والملاحظ أن "علماء المتقدمين والمتأخرين كتبوا في هذا الموضوع -الوجوه والنظائر- وألفوا فيه كتباً كثيرة، مما

¹ تاج العروس، محمد الزبيدي، مرجع سبق ذكره، ج: 14، ص: 249. [مادة: نظر]

² المرجع نفسه، ج: 14، ص: 252

³ جوهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبي، دار العلم للملايين: بيروت، ط1، عام 1987م، ج: 01، ص: 499.

⁴ لسان العرب، ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ج: 13، ص: 555.

⁵ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1، عام 1404هـ - 1984م، ص: 83

⁶ التفسير اللغوي، مساعد الطيار، مرجع سبق ذكره، ص: 94.

يوضح قيمة هذا العلم¹، ومن هذا المنطلق، تصدر للتأليف في هذا الفن الرواد الأوائل وجيل من العلماء المتقدمين الذين أسسوا لهذا الفن العظيم وكتبوا فيه، ويُعدّ مقاتل بن سليمان البلخي (ت 150هـ) من أوائل من كتب في هذا العلم؛ وهو الذي "كان مشهوراً بالتفسير كتاب الله العزيز"، وتجدر الإشارة إلى مكانته الكبيرة التي لخصها الإمام الشافعي بقوله: "الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الكلام"²، ويأتي بعده هارون بن موسى (ت 170هـ)، وهو "هارون بن موسى، أبو عبد الله، وقيل أبو موسى، النحوي، القارئ، العتيكي... ويقال له هارون الأعور"، والملاحظ أن مؤلفاته اعتُبرت مرجعاً أصيلاً اعتمد عليه واستقى منه من جاء بعده من العلماء، واستمر التأليف في هذا الفن بشكل متتابع، حيث صنف فيه كل من: العباس بن الفضل الأنصاري الموصلي (ت 186هـ)، ويحيى بن سلام (ت 200هـ)... وأبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (ت 395هـ)، والدامغاني، وابن الجوزي (ت 597هـ)، والفيروزآبادي (ت 817هـ)، والسيوطي (ت 911هـ). ويُعدّ من أشهر ما أُلّف في هذا الباب كتاب العلامة ابن الجوزي المسمى بـ "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"³.

3. أمثلة تطبيقية من القرآن الكريم⁴

تتعدد الأمثلة التطبيقية في القرآن الكريم التي تبرز حقيقة هذا الفن، وتؤكد كيف يتلون اللفظ الواحد بمعانٍ متباينة تحكمها السياقات المحيطة به، ومن ذلك:

- لفظ (اللباس): لقد "ورد في القرآن الكريم لفظ (اللباس) في آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾... فلو تأملنا لفظ (اللباس) في هذه الآيات لوجدنا أن معناه ليس واحداً فيها، إذ أننا نجد أن معناه في الآيات الثلاث الأولى (الخلط)... ومعناه في الثامنة (العمل الصالح)".
- لفظ (الإثم): تعددت وجوه لفظة (الإثم) عند المفسرين بتعدد سياقاتها القرآنية، فقد ذكر مقاتل وهارون والدامغاني لها وجوهاً عدة، منها: "الوجه الأول: الإثم: يعني الشرك"، ومنها "الوجه الثاني: الإثم: الخمر... واستشهد له بالآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾"، ومنها "الوجه الرابع: الإثم: الذنب".

¹ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، سليمان بن صالح القرعاوي، دار العاصمة: الرياض، ط1، عام 1410هـ، ص: 11.

² المرجع نفسه، ص: 31.

³ ينظر: الوجوه والنظائر، سليمان بن صالح القرعاوي، ص: 28 وما بعدها، التفسير اللغوي، مساعد الطيار، مرجع سبق ذكره، 94-95.

⁴ ينظر: الوجوه والنظائر، سليمان بن صالح القرعاوي، ص: 110، ما بعدها.

- لفظ (الأخ): أورد المفسرون كلمة (الأخ) في القرآن الكريم على معانٍ متعددة تتسق مع دقة التعبير القرآني، ومنها: "الوجه الأول: الأخ من أبيه وأمه، أو من أحدهما. الوجه الثاني: الأخ في النسب وليس من أبيه وأمه ولا على دينه. الوجه الثالث: الأخ في دين الإسلام والولاية. الوجه الرابع: الأخ صاحب".

ثانياً: الفرائد

يُمثل علم الفرائد القرآنية فرعاً دقيقاً وأصيلاً من فروع الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، وهو علم يختص بدراسة المفردات التي لم تَرِد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وهو ما يُطلق عليه أيضاً الكلمات الوحيدة أو الفريدة.

1. مفهوم الفرائد.

أ- الفرائد في اللغة: تدور مادة (فرد) في المعاجم حول الشيء المنقطع الشبيه الذي لا مثيل له ولا نظير، حيث يقول ابن منظور في لسان العرب: "والفرد بالفتح والضم هو منقطع القرين لا مثل له في جودته، واستفرد الشيء: أخرجه من بين أصحابه، وأفرد: جعله فرداً، والفريد والفرائد: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب واحده فريدة... وقيل: الفريد بغير هاء الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها، والفرد صانعها، وذهب مفرد مفصل بالفريد"¹

ب- الفرائد في الاصطلاح: بالقياس على ما ذكره اللغويون، تُعرّف الفريدة القرآنية بأنها "الكلمة التي وردت في القرآن، ولم تتكرر قط على أي صورة من صورها اللفظية كالياقوتة التي هي فريدة العقد وعين القلادة"، فهي بعبارة أخرى: "الألفاظ الفرائد التي ذُكرت مرة واحدة في القرآن لم يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من الصور، من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها"²، وقد حدد الإمام السيوطي في "الإتقان" ضابطها البلاغي قائلاً: "الفرائد مختص بالفصاحة دون البلاغة لأنها الإتيان بلفظة تنزل من الكلمة منزلة الفريدة التي لا نظير لها تدل على عظم فصاحة هذا الكلام، وقوة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالة عربيته بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء"³

¹ لسان العرب، ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ج: 03، ص: 332.

² الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، محمد الأمين الخضري، دار الآفاق العربية: القاهرة، ط1، عام 1420هـ - 1999م، ص: 13

³ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: (د. م)، ط1، عام 1394هـ - 1974م، ج 03، ص: 319.

2. تاريخ التأليف فيه وأبرز من ألف فيه

إن المتتبع لحركة التأليف في هذا الفن يلحظ تفرقة ضرورية بين ورود مصطلح الفرائد في عناوين الكتب القديمة، وبين أفراد هذا العلم بالتأليف المستقل منهجياً وتطبيقياً:

أ- عند المتقدمين: الملاحظ أن هذه اللفظة وردت في عناوين مؤلفات كثيرة ذكرها حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون"؛ ومنها: "الفوائد السنية في حل الفرائد الفنارية لأبي بكر بن عبد الوهاب، والفرائد لابن قيم الجوزية... ونظم الفرائد للشيخ عبد الوهاب بن أحمد"، ومع ذلك، لم يترك العلماء القدماء "مؤلفاً مجرداً مستقلاً تحدث عنها على أي وجه كان، اللهم إلا أقوال مرسلّة لا تتجاوز بضعة أسطر"، وتجدر الإشارة إلى أن كلامهم اقتصر على ملاحظات بيانية عابرة؛ مثل إشارات السيوطي، والحموي في "خزانة الأدب"، وكذلك قول ابن تيمية: "والقرآن نزل بلغة قريش... نحو ذلك من الألفاظ الغريبة في القرآن"¹.

ب- عند المحدثين: بدأ الاهتمام يتبلور بشكل أوضح في دراسات الإعجاز، ومن أبرز من ألف أو أشار إليه:

- مصطفى صادق الرافعي: الذي أبان عن أسرار إثارة بعض الفرائد القرآنية مثل كلمتي (ضيّزى) و(حسوماً).
- د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): وقفت أمام عدد قليل من الفرائد الواردة في قصار السور في كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم"، وفي كتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق".
- محمود يونس: في رسالة (ماجستير) بعنوان "مفاريد الألفاظ في القرآن دراسة لغوية"، وتناولها دراسة صوتية وصرفية ومعجمية بحثية.
- د. عاطف المليجي: ألف كتاباً بعنوان "الألفاظ الوحيدة في القرآن وسر إعجازها" ذكر فيه حوالي (371) فريدة بمعناها المعجمي بإيجاز.
- د. عبد الله عبد الغني سرحان: في كتابه المتخصص "الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية"، والذي سد فراغاً في المكتبة بإفراده لدراسة هذه الألفاظ دراسة بلاغية وبيانية معمقة².

3. أمثلة تطبيقية من القرآن الكريم

لفظة (حَنِيدٌ) وردت هذه الفريدة مرة واحدة في قصة إبراهيم عليه السلام في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾. قال السمين الحلبي: "محمود

¹ ينظر: الأسرار البلاغية، محمد الحصري، مرجع سبق ذكره، ص: 16-17.

² ينظر: المرجع السابق، ص: 18-20.

بمعنى مشوي بالرَّضْف وهي الحجارة المحماة¹. وتتجلى دقة القرآن في إيثار (حنيد) على (مشوي) المذكورة في القرآن بمواضع أخرى؛ لأن الحنيد هو اشتواء اللحم بالحجارة المحماة "دون أن تمسه النار، وهو أنظف وأحسن وأجود أنواع الشَّيِّ، وألذ طعماً"².

لفظة (حَصَّص) وردت هذه الفريدة في قصة يوسف عليه السلام: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾. وقد بين اللغويون أن معناها: "ظهر، وتبلج وذلك بانكشاف ما يَغْمُرُه"³، فإيثار النظم الكريم لهذه الفريدة يكمن في أن حروفها وصيغتها المضعفة "تفيد المبالغة في شدة وضوح الحق، وظهوره بعد خفائه، وكتمانه ردحاً من الزمان فتلك الصيغة تدل بوضوح لا لبس فيه ولا تأول على استبانة الحق وانبلاجه وسطوعه بعد غمره، ولن تنهض لفظة أخرى كـ (ظهر) أو (بان) لتبليغ هذا العمق البياني المتفرد بصيغته ومادته في الذكر الحكيم"⁴.

ثالثاً: مجالس الإملاء وكتب الأمالي

1. مفهوم الأمالي لغة واصطلاحاً:

أ- لغة: أصل الأمالي في اللغة جمع إملاء على غير قياس، وكذلك: جمع (أُمْلِيَّة) كأغاني جمع أغنية وأحاجي جمع أحجية وكذلك أُنْفِيَّة وأُمْسِيَّة تجمع على أثافي وأماسي⁵، وقال صاحب كشف الظنون: الأمالي جمع الإملاء⁶، وقال ابن فارس: "وأُمْلَيْتُ القيدَ للبعير إملاءً، إذا وَسَّعْتَهُ"⁷، وقال السخاوي في فتح المغيـث: "يقال: أُمْلَيْتُ الكتاب إملاءً وَأُمْلَلْتُ إملاً، جاء القرآن بهما جميعاً قال تعالى: ﴿فَلْيَمْلِكْ وَلِيْلُهُ﴾ [البقرة: 282] فهذا من "أَمَلَّ"، وقال تعالى: ﴿فَهِيَ تُمْلِي عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: 5] فهذا من "أَمَلَّى"⁸، والخلاصة أن الأمالي

¹ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم: دمشق، ج: 05، ص: 110.

² ينظر: الأسرار البلاغية، محمد الخضري، مرجع سبق ذكره، ص: 73.

³ ينظر: الدر المصون، مرجع سبق ذكره، ج: 06، ص: 513.

⁴ ينظر: الأسرار البلاغية، الخضري، مرجع سبق ذكره، ص: 105.

⁵ ينظر مقدمة الدكتور محمود محمد الطناحي على الأمالي الشجرية، القاهرة، ط1، عام 1413هـ - 1992م، ص: 187، الحاشية (02).

⁶ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى عبد الله القسطنطيني المعروف بـ (حاجي خليفة) (ت 1067هـ)، تحقيق: إكمال الدين إحسان أوغلي، بشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: لندن، ط1، عام 1443هـ - 2021م، ج: 01، ص: 608.

⁷ مقاييس اللغة، ابن فارس، مرجع سابق، ج: 05، ص: 352. مادة (م ل و)

⁸ فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ)، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة: مصر، ط1، عام 1424هـ / 2003م، ج: 03، ص: 249.

لغة هي جمع إملاء أو أمليّة، وترجع في أصلها إلى معنى التوسعة، وقد استعمل القرآن الكريم لفظي "الإملاء" و"الإملال" للدلالة على أصل مادتها.

ب- اصطلاحاً: ذكر حاجي خليفة في توصيف هذا الفن قائلاً: "وهو أن يقعد عالم، وحوله تلامذته بالمحابر، والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله - سبحانه وتعالى - عليه من العلم، ويكتبه التلامذة، فيصير كتاباً، ويسمونه: الإملاء، والأمالي¹، وقال السخاوي: "فمعنى: أمليت الكتاب على فلان: أطلت قراءتي عليه. قاله النحاس في (صناعة الكتاب) وهو طريقة مسلوكة في القديم والحديث، لا يقوم به إلا أهل المعرفة"²، وكان الهدف العام من هذه المجالس "تحصيل الفوائد، وتوصيل المعارف والمعلومات، وحسم بعض المسائل اللغوية والأدبية مواضع الخلاف مع تقديم الحجة البالغة"³

2. تاريخ التأليف فيه وأبرز من ألف فيه

يُعتبر كتاب مجالس ثعلب، ويُعرف أيضاً بأمالي ثعلب، أول عمل أنشئ في هذا الميدان، وقد عاش ثعلب ما بين (200هـ - 291هـ)؛ حيث يضم كتابه مجموعة من الأمالي التي تشمل ألواناً من الأدب والتاريخ واللغة، وكان للغة النصيب الأكبر فيها.

ويأتي بعده في هذا الميدان أمالي اليزيدي (ت 310هـ)، ثم أمالي الزجاج (ت 311هـ)؛ الذي كان معاصراً لليزيدي وتلميذاً للمبرد، وتلت هذه الأعمال أمالي جحظة البرمكي (ت 324هـ)، واسمه الحقيقي أحمد بن جعفر البرمكي؛ وقد لُقّب بـ "جحظة" لنتوء كان في عينيه فاشتهر به حتى نسي الناس حقيقة اسمه، وكان أديباً ظريفاً وموسيقياً وشاعراً راوية، روى عنه كثيراً أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني.

ثم تلتها من حيث الزمان أمالي أبي بكر بن الأنباري (ت 328هـ)، وهو أحد الأعلام الذين عُرفوا بعلوم الأدب واللغة والنحو والرواية. وفي ذات الفترة، برز العالم والأديب اللغوي أبو بكر بن دريد (ت 321هـ)؛ الذي أملى كتابه الكبير الجمهرة، ويُعدّ من أنفس كتب العربية ومن الأمالي المرموقة، وتجدر الإشارة إلى أن كتاب أمالي القالي (ت 356هـ) جمع ما تشتمت من أمالي ابن دريد وضمنها في كتابه الذي اشتهر باسمه⁴.

¹ كشف الظنون، حاجي خليفة، مرجع سبق ذكره، ج: 01، ص: 608.

² فتح المغيث، شمس الدين السخاوي، مرجع سبق ذكره، ج: 03، ص: 249.

³ جهود أبي علي القالي اللغوية من خلال كتابه الأمالي، رشيدة مصطفى أحمد محمد، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، عام 1422هـ - 2002م،

⁴ ينظر: مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص 277-278، بتصرف

ويلى أمالى القالى من حىث الأهمية والزمن كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحىدى (ت 400هـ)، ثم تأتى أمالى الشرىف المرتضى (355-436هـ). وبعد فترة زمنية، ظهر العالم الجلىل هبة الله بن الشجرى (450-544هـ) الذى أملأ أمالى فىاضة بأنماط العلم، وبها تُختتم كتب الأمالى المشهورة. والملاحظ أن أكثر الأمالى عدداً كانت فى علم الحديث، غير أن ذلك لم يمنع عدداً كبيراً من علماء الأدب واللغة من الجلوس لتلاميذهم وإسماعهم ما فى صدورهم وعقولهم من علم ومعرفة وآداب.

المناقشة الخامسة: مصادر الخواهر اللغوية: كتب التصل والمترادف، والمعرب

ملخص

إن التأليف اللغوي المتخصص الذي أفرد علماء العربية لظواهر اللغة ودلالاتها، لم ينشأ ترفاً فكرياً، بل استند إلى ضرورة ملحة تمثلت في ضبط دلالات الألفاظ في النصوص، وبخاصة النص القرآني، كما برزت هذه الغاية في مناهج التأليف عند العلماء العرب، حيث وجهوا عنايتهم نحو الدقة، وأفردوا مباحث وكتباً ورسائل مستقلة لتحقيق هذا الغرض.

أولاً: الأضداد في العربية

إن ظاهرة التضاد من المسائل اللغوية والقضايا المعجمية الدقيقة التي برع فيها علماء العربية، وقد أفردوا لها مصنفات مستقلة رصدت الألفاظ التي تحمل المعنى وضده في آن واحد، وسنحاول من خلال هذا الفرع أن نوجز الكلام عن الأضداد والتأليف فيه.

1. مفهوم التضاد (الأضداد) لغة واصطلاحاً

أ- لغة: بالرجوع إلى لسان العرب فإن "الضد هو كل شيء ضادٌ شيئاً ليغلبه"¹ وورد التعريف نفسه في "تاج العروس" للزبيدي وأضاف: "السواد ضد البياض، والموت ضد الحياة: قال الليث. ويقال: لقي القوم أضدادهم وأندادهم أي: أقرانهم. وقال الأخفش: الند هو الضد والشبه. وقال ابن السكيت: حكى لنا أبو عمرو: الضد مثل الشيء. وال ضد: خلافة"²، وقد اتفقت المعاجم المتأخرة على هذا الجوهر، حيث جاء في المصباح المنير: الضد هو النظير والكف. والجمع أضداد. والضد خلافة. و (ضاده) (مضادة) إذا باينه مخالفة و (المتضادان) اللذان لا يجتمعان كالليل والنهار"³.

ب- اصطلاحاً: إن التضاد في الاصطلاح يقوم على "إطلاق اللفظ على معنيين متضادين، ومدلولين متناقضين"⁴، وتجدر الإشارة إلى أن المصنفات المتخصصة تعرف ما كتب في هذا الباب بأنها "الكتب

¹ لسان العرب، ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ج: 03، ص: 263. [مادة: ضد]

² تاج العروس، الزبيدي، مرجع سبق ذكره، ج: 08، ص: 310، [مادة: ضد]

³ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو 770هـ)، المكتبة العلمية: بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج: 02، ص: 359، [مادة: ضد]

⁴ ظاهرة التضاد في القرآن الكريم: دراسة إحصائية مع عرض آراء اللغويين ومواقف المفسرين، محمد الفراح، بوابة الرابطة المحمدية للعلماء: المغرب.

التي جمعت ألفاظاً تأخذ معنيين متضادين، بحيث يمكن استخدام كل لفظة منها لمعنيين متنافرين، إذ أن كل لفظة تعني الشيء وضده¹، ويقرر اللغويون أن "التضاد أحد خصائص العربية؛ وهو نوع من العلاقة بين المعاني، ربما كانت أقرب إلى ذهن من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضدّه هذا المعنى إلى الذهن، ولا سيما بين الألوان؛ فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني"².

2. تاريخ التأليف فيه وأبرز من ألف فيه

بدأ التأليف المعجمي في فن الأضداد منذ وقت مبكر؛ غير أن مواقف اللغويين تجاه هذه الظاهرة قد تباينت بوضوح؛ فبينما أثبتها جمهور العلماء، ذهب آخرون إلى إنكارها، وعلى رأسهم ابن درستويه (ت 347هـ) الذي ألف كتابه "إبطال الأضداد" محتجاً بأن "النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد"³، وفي الجهة المقابلة نجد أن المثبتين لهذه الظاهرة قد تصدوا للمنكرين بتقديم استقراءات لغوية واسعة، فبرزت مصنفات مستقلة عديدة؛ استهلها الرواد الأوائل مثل قطرب (ت 206هـ)، والأصمعي (ت 215هـ)، ثم تبعهما ابن السكيت (ت 244هـ)، وأبو حاتم السجستاني (ت 255هـ). وتجدر الإشارة إلى أن هذا التأليف قد بلغ ذروته مع أبي بكر بن الأنباري (ت 328هـ)، الذي يُعدّ كتابه من أوفى وأهم المراجع المطبوعة في هذا الباب؛ إذ دافع فيه بقوة عن هذه الظاهرة اللغوية ضد من وصفهم بـ "أهل البدع والزيف والإزراء بالعرب".

وبناءً عليه، توالى النشاط المعجمي في هذا الميدان، حيث برز أبو الطيب اللغوي (ت 351هـ) بكتابه الذي يمتاز بكونه "أول كتاب في الأضداد" اعتمد في ترتيب كلماته "على حروف المعجم". واستمر هذا التواتر العلمي في العصور اللاحقة، وهو ما نلمسه بوضوح في جهود ابن الدهان (ت 569هـ) وصولاً إلى الصغاني (ت 650هـ)؛ مما يؤكد رسوخ هذا الفن وأصالته في التراث العربي⁴.

3. أمثلة تطبيقية من القرآن الكريم ولغة العرب:

- "وإطلاق كلّ من البيع والشراء على دفع الثمن، وعلى أخذ المُثْمَن، فكل منهما يطلق على الآخر".
- "والتعزيز الذي يطلق على التكريم والتعظيم، وعلى اللوم والتعنيف".

¹ الأضداد في اللغة العربية، نصر الدين البهرة، اتحاد الكتاب العرب (مجلة التراث العربي): دمشق، ع 79، عام 1421هـ - 2000م، ص: 164.

² ظاهرة التضاد في اللغة العربية وأثرها في المعنى: دراسة إحصائية في معجم "جمهرة اللغة" لابن دريد (ت 321هـ)، فيان رمضان عبدي

السليفاني، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، الإمارات، ع 50، مارس 2020م، ص ص 16-35.

³ ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر (ت 1424هـ)، عالم الكتب: القاهرة، ط 5، عام 1419هـ - 1998م، ص 194.

⁴ ينظر: المرجع السابق، ص: 192.

- ومما ورد في الذكر الحكيم لفظ (القرء)، وهو "القرء الذي يطلق على الطهر والحيض"، ويؤكد الثعالبي ذلك بقوله في فقه اللغة: "والقُروء: للأطهار والحيض".
- ومنها لفظ (الجلل)، وهو "الجلل الذي يطلق على الحقيق والعظيم"، ويوجه الثعالبي هذه الدلالة الضدية توجيهاً دقيقاً فيقول: "الجلل اليسير والجلل العظيم؛ لأنّ اليسير قد يكون عظيماً عند ما هو أيسر منه، والعظيم قد يكون صغيراً عند ما هو أعظم منه".
- ولفظ (الصارخ)، حيث يطلق على "المُعِث والصَّارِخ المستغيث سميّاً بذلك؛ لأنّ المعِث يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخ بالاستغاثة فأصلهما من باب واحد"1.

ثانياً: المترادف

1. الترادف لغة واصطلاحاً

- أ- لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن: "الراء والذال والفاء أصل واحد مطرد، يدل على اتباع الشيء، فالترادف: التتابع"2، وقد أكد ابن منظور في لسان العرب هذا المعنى مبيناً أن: "الرَدَف: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً، فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء، فهو الترادف"3، ويلاحظ أن هذا المعنى اللغوي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى الاصطلاحي، إذ "المعنيين قد يترادفان على اللفظ الواحد كما يترادف الراكبان على الدابة الواحدة"4.
- ب- اصطلاحاً: عرفه الشريف الجرجاني بأنه: "عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"5، وعرفه الإمام فخر الدين الرازي بأنه: الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد، باعتبار واحد، في حين اتجه ابن عاشور إلى تعريفه بأسلوب دقيق بأنه: لفظ مفرد دال بالوضع على معنى قد دل عليه بالوضع لفظ آخر مفرد يخالفه في بعض حروفه الموضوع عليها6.

¹ ينظر: ظاهرة التضاد في القرآن الكريم: دراسة إحصائية مع عرض آراء اللغويين ومواقف المفسرين، محمد الفراح، بوابة الرابطة المحمدية للعلماء: المغرب.

² مقاييس اللغة، ابن فارس، مرجع سبق ذكره، ج: 02، ص: 503. [مادة: ردف]

³ لسان العرب، ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ج: 01، ص: 114 [مادة: ردف]

⁴ الترادف وعلاقته بتوجيه مشكل القرآن، ياسر بن حامد المطيري، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

⁵ كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت 816هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث: القاهرة، ط1، عام 1405هـ - 1985م، ص: 77.

⁶ ينظر: الترادف في القرآن الكريم بين المثبتين والمنكرين وأثره في التفسير، عثمان محمد غريب، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة بغداد، ع12، 2015م، ص 181-222.

2. الخلاف اللغوي حول وجود الترادف التام:

أثارت قضية الترادف التام جدلاً علمياً واسعاً في مباحث الدرس اللغوي العربي، حيث انقسم أئمة اللغة حيال وقوعه في لسان العرب إلى اتجاهين متباينين، لكل منهما مرتكزاته المنهجية¹:

أ- الاتجاه الأول: المثبتون لوقوع الترادف

ذهب جمهور العلماء إلى إثبات وقوع الترادف في اللغة، والملاحظ أن هذا الفريق ضم أسماء لامعة في تاريخ العربية؛ كأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، وسيبويه، وابن خالويه، وابن جني، والفيروزآبادي. وتجدر الإشارة إلى أن ابن جني جعل من الترادف ميزةً وخصيصةً تعكس سعة العربية وشرفها، واصفاً إياه بأنه: "فضل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة"²، كما علل هذا الفريق نشأة الظاهرة بعوامل تاريخية واجتماعية، في طبيعتها تداخل لغات القبائل وتباين اللهجات؛ حيث كانت كل قبيلة تضع اسماً معيناً للمسمى الواحد، ومع تمازج هذه اللغات، اجتمعت الألفاظ المتعددة للمسمى الواحد في الاستعمال العام.

ب- الاتجاه الثاني: المنكرون (القائلون بالفروق اللغوية)

وفي المقابل، سار فريق من اللغويين نحو إنكار الترادف التام ورفضه رفضاً قاطعاً، مؤكدين أن لكل لفظة خصوصية دلالية تميزها عن غيرها. وغني عن البيان أن ابن الأعرابي كان من رواد هذا المذهب، حيث قعد لهذه الرؤية بقوله: "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله"، وقد عضد هذا الرأي تلميذه ثعلب الذي اعتبر الألفاظ متباينة بتباين صفاتها، بينما وقف ابن درستويه موقفاً حازماً تجاه هذه القضية بقوله: "فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين"³، والملاحظ أن هذا الاتجاه قد بلغ نضجه وذروته المنهجية مع أبي هلال العسكري في كتابه الشهير "الفروق اللغوية"، الذي تخصص في تتبع الدقائق الدلالية التي تفصل بين الكلمات المتقاربة.

وقد سجل لنا التاريخ الإسلامي بعض الشواهد التاريخية التي تُجلي عمق هذا الخلاف اللغوي بين اللغويين في كثير من القضايا العلمية، ومنها تلك المناظرة العلمية التي احتضنها مجلس سيف الدولة بحلب؛ إذ يُروى

¹ ينظر: الترادف في القرآن الكريم بين المثبتين والمنكرين وأثره في التفسير، عثمان محمد غريب، مرجع سبق ذكره، ص: 19.

² الخصائص، ابن جني، مرجع سبق ذكره، ج: 02، ص: 115.

³ المزهري في علوم اللغة، السيوطي، مرجع سبق ذكره، ج: 01، ص: 303.

أن ابن خالويه استعرض سعة محفوظه اللغوي مفتخراً، فدار بينه وبين أبي علي الفارسي حواراً كشف عن تباين المناهج، حيث قال ابن خالويه: "أحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين المهنّد والصّارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات، وكأن الشيخ لا يفرّق بين الاسم والصفة"¹

والملاحظ أن هذا الأثر يفصل بوضوح مذهب "أصحاب الفروق" الذين لا يرون في تعدد الألفاظ مجرد ترادف محض، بل يردون تلك الكثرة إلى تنوع الأوصاف ودقائق الدلالات.

3. تاريخ التأليف فيه وأبرز من ألف فيه:

لقد استحوذت ظاهرة الترادف على اهتمام علماء اللغة قديماً وحديثاً، حيث أفردوا لها حيزاً واسعاً في مدوناتهم ودراساتهم المعجمية. وغني عن البيان أن سيبويه كان من أوائل الذين وضعوا اللبنة الأولى لتصنيف هذه الظاهرة ضمن رؤيته للعلاقة بين اللفظ والمعنى، حيث قسّمها بقوله: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحداً، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"، والملاحظ أن فكرة الترادف قد تبلورت عند الرواد الأوائل بتعبيرات ومسميات مقاربة قبل أن يستقر المصطلح الفني الترادف في المعجم اللغوي؛ حيث اجتهدوا في حصر الألفاظ الدالة على المعنى الواحد وجمعها في مؤلفات مستقلة، وتجدر الإشارة إلى أن مسيرة التأليف في هذا الباب قد شهدت أسماء لامعة، استهلها الأصمعي (ت 216هـ) بكتابه الموسوم بـ "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه"، وتلاه أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) في كتابه "الغريب المصنف"، الذي عُرف أيضاً بـ "كتاب الأسماء المختلفة للشيء الواحد".

ومواصلة لهذه الجهود استمر هذا الزخم العلمي مع ابن خالويه (ت 370هـ) الذي عُرف بتبحره وحفظه للمتراكبات، وصنّف في ذلك مؤلفات خاصة بكتابه في أسماء الأسد وأسماء الحية، ولعل المحطة الفاصلة في استقرار المصطلح كانت مع علي بن عيسى الرماني (ت 384هـ)، الذي يُعد أول من ذكر مصطلح الترادف صراحة وجعله عنواناً لكتابه "الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى"، وصولاً إلى مجد الدين الفيروزآبادي (ت 817هـ) الذي بلغ بهذا الفن ذروته في كتابه "الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألف"؛ مما يؤكد عمق التراكم المعرفي وأصالة البحث اللغوي في هذا الميدان.

¹ المرجع السابق، ج: 01، ص: 313.

ثالثاً: المعرب

1. مفهوم المعرب لغة واصطلاحاً

- أ- في اللغة المعرب اسم مفعول من الفعل "عَرَّبَ، يَعْرِبُ، والمصدر تعريباً. والمُعَرَّب: هو الذي جُعِلَ عربياً".
والتعريب والإعراب في اللغة معناهما واحد، وهو الإبانة والإفصاح، كما "يطلق الإعراب على التزوج بالمرأة العروب... وكذلك تعرب استعرب أي صار أعرابياً ودخيلاً فيهم وجعل نفسه منهم".¹
- ب- في الاصطلاح: عرّفه الإمام السيوطي بأنه: "ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعانٍ في غير لغتها"²، وقال الجوهري في الصحاح: "تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول عربته العرب وأعربته"³.

ج- الفرق بين المعرب والمولد والدخيل:

إن تتبع الدقيق للألفاظ يحتم علينا ضرورة التفريق بين مصطلحات المعرب، والدخيل، والمولد؛ وهي مفاهيم محورية في فقه اللغة العربية، وقد عني بها الدكتور علي عبد الواحد وافي مبيناً الفوارق الجوهرية التي استقر عليها المحدثون⁴، وخلاصة ما توصل إليه كالاتي: أن مصطلح "الدخيل" يمثل المظلة الكبرى والقاعدة العامة التي تندرج تحتها بقية الأنواع؛ إذ "يراد بالدخيل الأجنبي ما دخل العربية من مفردات أجنبية سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين"، كما قرر أن المعيار الزمني بما يسمى بعصور الاحتجاج يعد الحاكم في هذا التصنيف، حيث حددها المحدثون بـ "عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري". وبناءً على هذا الضابط، تم تقسيم الألفاظ الأجنبية إلى قسمين:

- المعرب: وهو ما استعمله فصحاء العرب" من الألفاظ الأجنبية خلال عصور الاحتجاج.
- الأعجمي المولد: وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعربها فصحاء العرب.

¹ ينظر: قضية المعرب في القرآن الكريم، كساوي عبد القادر، مجلة البدر: جامعة بشار، مج11، ع8، سبتمبر 2018م، ص 1002-1012.

² المزهر في علوم اللغة، السيوطي، مرجع سبق ذكره، ج: 01، ص: 211.

³ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت، ط4، عام 1407هـ - 1987م، ج: 01، ص: 179.

⁴ ينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي (ت 1411هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر: القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص: 153-154.

2. قضية الخلاف في وقوع المعرب في القرآن الكريم وتوجيهها اللغوي والعقدي¹

تُمثّل قضية وقوع الألفاظ المعربة في القرآن الكريم واحدةً من أدق المسائل العلمية التي تداخل فيها الجانب اللغوي بالبعد العقدي، وقد تباينت حيالها أنظار العلماء وتعددت توجيهاتهم إلى ثلاثة أقوال رئيسة:

أ- مذهب المانعين لوقوعه (المنكرون): ذهب فريق من أئمة العلم، وفي مقدمتهم الإمام الشافعي، وأبو عبيدة، وابن جرير الطبري، وابن فارس، إلى القول بخلو القرآن الكريم من أي لفظ غير عربي، وذلك استناداً إلى صريح القرآن، كقوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾، وتجدر الإشارة إلى أن توجيههم لهذا الرأي نبع من حرصهم على صيانة إعجاز القرآن.

ب- مذهب القائلين بوقوعه (المثبتون): وفي المقابل ذهب فريق آخر من الصحابة والتابعين وعلماء اللغة، ومنهم ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وصولاً إلى السيوطي، إلى إثبات وقوع كلمات معربة في النص القرآني، وقد أجاب هؤلاء عن أدلة المانعين بتوجيه لغوي دقيق مفاده: "أن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، وأن القصيدة بالفارسية لا تخرج عنها بلفظة عربية تكون فيها"، وكان توجيههم نابعاً من استحضار عموم الرسالة المحمدية.

ج- مذهب الجمع والتوفيق: مال هذا الفريق إلى مسلك الجمع والتوفيق بين الرأيين، وهو المذهب الذي انتصر له أبو عبيد القاسم بن سلام، والجواليقي، وابن الجوزي، ونظرتهم اتسمت لكونها تحليلية لواقع اللغة واستعمالاتها، حيث قرر أبو عبيد رؤيته التوفيقية بقوله: "والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعاً؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب؛ فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها؛ فصارت عربية، ثم نزل القرآن... فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: أعجمية فصادق".

3. تاريخ التأليف فيه وأبرز من ألف فيه

نستعرض في هذا العنوان جانباً من جهود علماء الأمة في التأليف في مسألة المعرب؛ وقد سار التأليف فيه على نمطين، تصنيفه ضمن مؤلفات مستقلة أو تضمين مباحثه في ثنايا أمهات كتبهم.

فأما مسيرة المصنفات المفردة في هذا الفن فقد استهلّت بكتاب "المُعَرَّب" لأبي منصور الجواليقي (ت 450هـ)، الذي يُعدّ أقدم وأشهر مؤلف في هذا الباب. وكان الغرض من تأليفه جمع الألفاظ المعربة؛ حيث ساق فيه مؤلفه جملة من الألفاظ التي يرى أنها معربة، وتحدث في المقدمة عن الخلاف في المعرب، وعن مذاهب

¹ ينظر تفصيل ذلك في كتاب: فقه اللغة: مفهومه، موضوعاته، قضاياه، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة: الرياض، ط1، عام 1426هـ

العرب فيه، وعن العلامات التي يعرف بها الأعجمي من الألفاظ". وقد نال هذا الكتاب حظوة عظيمة وثناء كبيراً، قال عنه السيوطي: "وهو حسن مفيد"، وقد أبان الجواليقي في هذا الكتاب عن المنهج التطبيقي في التعامل مع اللفظ الأعجمي، واستمرت حركة التأليف المستقل فظهرت حاشية ابن برّي الموسومة بـ "في التعريب والمغرب"، وهو "مصنف صغير عَرَض فيه ابن بري لكتاب (المغرب) للجواليقي، فتعقب أقواله، فأورد حواشيه عليه منسوقة على حروف المعجم؛ حيث درج فيها على إيراد قول الجواليقي، ثم يعقبها مصححاً تارة، ومضيفاً تارة أخرى". كما برز الإمام السيوطي بجهود استثنائية، منها كتابه "المهذب فيما وقع في القرآن من المغرب"، الذي "رتب فيه الكلمات القرآنية المعربة على حروف المعجم".

وفي سياق المصنفات التي استوعبت المغرب ضمن موضوعات كبرى، نجد كتاب "الصاحبي" لابن فارس، حيث "تكلم على المغرب في عدة أبواب خصوصاً في (باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن)". كما اعتنى السيوطي بهذا الفن في موسوعتيه؛ إذ "أفرد النوع التاسع عشر من المزهري (معرفة المغرب). وعقد باباً من كتابه (الإتقان في علوم القرآن): وهو (الباب الثامن والثلاثون: فيما وقع بغير لغة العرب)".

وقد قدم السيوطي في "الإتقان" نماذج تطبيقية كالسندس والإستبرق والزنجبيل؛ بل وضمّن كتابه منظومة شعرية تجمع هذه الكلمات.

هذا، لم تتوقف عجلة التأليف عند المتقدمين، بل امتدت لتشمل جهود المحدثين في تقنين أصول التعريب، ومن أبرزهم عبد القادر المغربي في "كتاب الاشتقاق والتعريب"، وطاهر الجزائري في "كتاب التقريب لأصول التعريب"¹.

¹ ينظر: فقه اللغة، محمد بن إبراهيم الحمد، مرجع سبق ذكره، ص: 161.

المناضرة السالمة: التأليف المعجمي وممارسه

ملخص

تهدف هذه المناضرة إلى بيان مفهوم "المعجم" كوسيلة لإزالة الإبهام، وتوضح المقصود من مصطلح "القاموس"، وسنشرع في تتبع حركة التدوين في المعاجم، كما سنستعرض أنواع المعاجم وأهم مدارسهم، لقد شكل هذا الجهد العلمي ركيزة لحماية الثروة اللفظية العربية وضبط استعمالاتها الصرفية والدلالية بما يضمن الفهم السليم للنصوص الشرعية والأدبية، فهل كان الدافع الديني هو المحرك الوحيد لابتكار هذه الأنظمة المعقدة؟ وكيف استطاع المعجم العربي الجمع بين سعة المادة ودقة المنهج؟

تمهيد:

حرص العرب على الاهتمام بلغتهم العربية، وحرصوا على إبراز مواطن الجمال في فصاحتها وبلاغتها، مع تقديم وصف دقيق وشامل لمختلف مستوياتها؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الجهد العلمي لم يكن ترفاً، بل جاء إسهاماً رصيناً في الحفاظ على الاستعمال الصحيح للسان العربي، وضمان الفهم السليم لنصوص القرآن الكريم.

والجدير بالذكر أن هذا الاعتناء قد استغرق العصور الجاهلي والإسلامي، إلا أنه شهد طفرة واضحة مع بزوغ فجر الإسلام واتساع رقعة الفتوحات؛ إذ غدت العربية لغة الوحي والحديث الشريف، والركيزة الأساسية للدين والدولة. وبناءً عليه، اتجهت جهود العلماء نحو تدوين التراث اللغوي وحمايته، والذود عن حيائه برّد الدخيل الوافد من لغات الشعوب التي انضوت تحت لواء الدولة الإسلامية الجديدة، ضماناً لصفاء اللغة وسلامة مخرجاتها العلمية.

أولاً تعريف المعجم والقاموس لغة واصطلاحاً:

أ- لغة: مادة (عجم) في لغة العرب تفيد الإبهام والغموض، ففي لسان العرب: "الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه"، ويقال للصبي ما دام لا يتكلم ولا يفصح: صبي أعجم، فإذا أدخلت الهمزة على الفعل (عجم) ليصير أعجم، اكتسب الفعل معنىً جديداً يفيد السلب والنفي والإزالة؛ فيصير معنى "أعجم": أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام¹، يقول ابن جني: "ثم إنهم قالوا أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته، فهو إذن لسلب معنى الاستبهام لا لإثباته"².

¹ لسان العرب، ابن منظور، ج: 14، ص: 387.

² الخصائص، ابن جني، ج: 03، ص: 78.

ب- الاصطلاح: فالمعجم هو: "كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة، ويرتبها على نمط معين، ويثبت هجاءها والنطق ويشرحها شرحاً يزيل إبهامها، ويضيف إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث"¹، فهو الكتاب المرجعي الذي يضم كلمات اللغة ويثبت هجاءها ونطقها ودلالاتها واستخدامها ومرادفاتها واشتقاقها².

أما كلمة "القاموس" كانت في لسان العرب تدل على مكنون الطبيعة الواسع؛ إذ إن القاموس في أصله اللغوي هو "قعر البحر، وقيل: وسطه ومعظمه... وأصل القَمْس الغوس"³، وتجدر الإشارة إلى أن هذا اللفظ لم يكن مستخدماً في الاصطلاح للدلالة على المعاجم اللغوية حتى جاء الفيروزآبادي وأطلقه على كتابه الشهير "القاموس المحيط"، قاصداً بذلك أنه البحر المحيط باللغة، وهذا الإطلاق قد غلب على العرف العلمي لاحقاً؛ حيث يرى صاحب معجم الوسيط أن القاموس هو: "البحر العظيم وهو عِلْمٌ على معجم الفيروزآبادي"، وبناءً عليه تعارف الناس على تسمية كل معجم يُعنى بشرح مفردات اللغة العربية "قاموساً"، وصارت الكلمة تُجمع على "قواميس"⁴.

لا يُعلم بالتحديد الزمن الدقيق الذي أُطلق فيه لفظ "المعجم" بهذا المعنى الاصطلاحي، غير أن الثابت تاريخياً أن رجال الحديث كانوا هم السّباقين لاستعمال هذه الكلمة، وتحديدًا في القرن الثالث الهجري، وإذ ورد في صحيح البخاري ما يحمل أولى الإشارات لهذا الاستعمال في قوله: "باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم"؛ كما اعتمد البخاري الترتيب الأبجدي أيضاً في كتابه "التاريخ الكبير" مبتدئاً بالمحمدين، وأما أول مصنف حمل اسم "المعجم" صراحةً هو كتاب "معجم الصحابة" لأبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصل (210هـ-307هـ)، ومن ثم تتابع المحدثون على هذا النمط التأليفي، ليتلقفه عنهم اللغويون لاحقاً، وبناءً على هذا فإن سبب إطلاق "المعجم" على الفهارس اللغوية المرتبة يرجع إلى علل عدة، أقربها أن الإعجام يزيل اللبس ويوضح المبهم من الكلام، فضلاً عن كون مفردات اللغة تتألف أساساً من حروف المعجم التي يُبنى عليها الترتيب والتصنيف.

¹ ينظر: محمد أحمد الغرب، اللغة والأدب والنقد، رؤية تاريخية ورؤية فنية، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، / صناعة المعجم اللغوي (دراسة وتأليف)، جيهان رفيق قاسم، مجلة أوراق ثقافية (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية)، لبنان، ع 18، يوليو 2023م.
² الصناعة المعجمية في الدرس اللساني الحديث، عبد الرحيم بن داود، مجلة العلامة: المركز الجامعي لميلة - الجزائر، مج 3، ع 1، جوان 2018م، ص 173-190.

³ لسان العرب، ابن منظور، ج: 06، ص: 183.

⁴ ينظر: الصناعة المعجمية، عبد الرحيم بن داود، ص: 177.

ثانيا: دواعي التأليف المعجمي

لم تعرف الأمة العربية التصنيف المعجمي في جاهليتها أو صدر إسلامها، إلا أن هذا المسلك بدأ بالتشكل حين شرع العرب في تدوين نتاجهم الفكري واللغوي لحماية لسان القرآن الكريم، وتجدر الإشارة إلى أنه بعيد الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة، ويؤكد ابن خلدون هذه الضرورة التاريخية بقوله: "فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الاندثار، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث"¹.

وقد تدرجت حركة تدوين اللغة عبر مراحل منهجية متتابعة²:

أ- المرحلة الأولى الجمع المشتت: اتسمت بكونها مرحلة جمع غير منظم، حيث كان العالم "يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في الإبل، ويسمع في اسم الأسد وما إلى ذلك، فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع"، مع الحرص على مشافهة فصحاء الأعراب لضمان السلامة اللغوية، كما كان الدافع من الدراسة المعجمية العربية عناية المسلمين بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لذا تعددت الكتب التي تحمل عنوان غريب القرآن أو غريب الحديث وفي هذه المرحلة (المرحلة الأولى) لم تستخدم كلمة معجم لوصف تلك الأعمال المعجمية.

ب- المرحلة الثانية رسائل المعاني والموضوعات: وفيها انتقل اللغويون إلى جمع المفردات المتعلقة بموضوع واحد في صعيد واحد، ككتب المطر واللبن لأبي زيد الأنصاري، وكتب النخل والإبل وأسماء الوحوش للأصمعي؛ وهي رسائل معجمية متخصصة تنحصر في حقل دلالي معين، وهذه الكتب أشبه بالمعاجم المختصة يصنفها عدد غير قليل من أئمة اللغة في ذلك العصر، كالكسائي (ت 216هـ) ولم تحمل معاجم الموضوعات تلك كلمة معجم في عناوينها وإنما كلمة "كتاب".

ج- المرحلة الثالثة المعجم الشامل بمحصر الألفاظ: وهي المرحلة الناضجة التي شهدت صياغة المعاجم الجامعة وفق ترتيب مخصوص. وتجدر الإشارة إلى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان الرائد الأول في هذا الميدان بكتابه "العين"؛ حيث استهدف من ورائه "استيعاب كلام العرب وحصر الثروة اللفظية حصراً شاملاً"، وتلاه "كتاب الحميم" لأبي عمرو الشيباني (ت 306هـ)، وكتاب "البارع" في اللغة لأبي الفضل الضبي (ت 290هـ)، و"جمهرة اللغة" لابن دريد (ت 321هـ)، وفي هذه المرحلة وما تلاها من مراحل تطور المعجم العربي، إذ نجد أن المعجميين العرب يفضلون إطلاق اسم علم على معاجمهم مثل: "المحيط" و"المحكم"، و"العباب"،

¹ المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط 4، عام 1418هـ - 1997م، ص 548.

² ينظر: دراسة معجمية: نشأتها ونظرياتها ومدارسها، ر. توفيق الرحمن، مجلة الاتجاه، إندونيسيا، مج 1، ع 2، عام 2009م، ص ص 173-188/ بناء المعاجم القديمة دراسة تطبيقية في مدرسة التقليل الصوتية، بوشوشة إيمان، مجلة دراسات: جامعة عمار ثلجي بالأغواط، مج 8، ع 1، جوان 2019م،

"القاموس"، ولا نجد أثراً للكلمة "معجم" في عناوين هذه التصانيف إلا في أواخر القرن الرابع الهجري، في "المعجم في بقية الأشياء" لأبي هلال العسكري.

ويظهر أن بعض علماء العربية القدماء الذين حاولوا جمع اللغة، كانوا يطلقون على مؤلفاتهم أسماء من أسماء البحر أو صفة من صفاته، فأطلق صاحب بن عباد (ت 385هـ) على معجمه اسم "المحيط" وأطلق ابن سيده (ت 458هـ) على معجمه اسم "المحكم" و"المحيط الأعظم"، وسمى الصاغاني (ت 605هـ) معجمه "العباب" إلى أن جاء الفيروز أبادي (ت 817هـ) فأطلق على معجمه اسم "القاموس المحيط"، حيث استعمل هذه اللفظة عنواناً لمعجمه ليدل بذلك على سعته وغزارة مادته، وقد جمع فيه محاسن أفضل العاجم التي سبقته كالمحكم والعباب، وجعله في حجم يسهل تداوله وحمله، فذاع صيته في كل مكان وشاع ذكره على كل لسان، ونال ثقة العلماء وطلاب العربية لما امتاز به من ضبط وإيجاز، ودقة، وبعد طبعه في القرن الماضي شاعت هذه اللفظة (القاموس) لشيوع هذا المعجم وانتشاره حتى أصبحت فيما بعد مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمبدول المعجم، ومتداولة بهذا المبدول، وانتقلت من معناها الخاص "القاموس المحيط" إلى معنى عام وهو أي معجم آخر¹.

ثالثاً: أنواع المعاجم العربية ومدارسهم

ما إن فرغ الخليل بن أحمد الفراهيدي من تدوين كتابه العين حتى تسارع أئمة اللغة والمهتمون بها إلى التصنيف المعجمي، فظهرت المعاجم الخاصة والعامة، وتنوعت بين المطولات والمختصرات، وتجدر الإشارة إلى أنه منذ وفاة الخليل (175هـ) وحتى أواخر القرن الرابع الهجري، بلغت حركة التأليف المعجمي ذروتها؛ حيث سلك فريق من العلماء منهج الخليل، بينما اجتهد آخرون في ابتكار طرق منهجية مغايرة.

وبناء عليه يمكن تصنيف مدارس التأليف المعجمي ومنهجياتها، والوقوف على من سار على خطى الخليل ومن نهج سبيلاً غيره، وفق الآتي:

1. معاجم الألفاظ:

يطلق مصطلح المعجم في الاستعمال العام غالباً على معاجم الألفاظ، وتعرف بالمعجمات المجنسة؛ نظراً لسعيها الحثيث لاستيعاب كافة جذور اللغة، لذا فإن منهج الترتيب فيها يحتكم إلى شكل اللفظ وبنيتها الصرفية وليس إلى دلالاته؛ فهي تنطلق من الخاص (اللفظ) لتصل في نهاية المطاف إلى العام (المعنى)، ويمكن القول أن الباحث يجد ضالته في هذه المعاجم حينما يمتلك اللفظ بوضوح لكنه يفتقر إلى إدراك معناه الدقيق، وكمثال

¹ نشأة المعجم العربي الحديث ومراحل تطوره، إمبراز عويشة، مجلة التعليمية: جامعة سيدي بلعباس - الجزائر، مج 13، ع 1، مارس 2023م، ص 443-454.

تطبيقي على ذلك إذا أراد وقف الباحث أمام مصطلح مثل التعزير؛ فهو يدرك صورته اللفظية ومكوناته، ولكنه يجهل مدلوله، فيعتمد إلى البحث عنه في مادة (عزر) حتى يستبين له المعنى المجهول لديه.

وقد انقسمت المعاجم التي رتبت حسب الألفاظ إلى خمس مدارس معجمية رئيسة¹، وهي:

أ- مدرسة الترتيب الصوتي

تعد هذه المدرسة اللبنة الأولى في المعجمية العربية وهي تعتمد على مبدأ الأبنية والتقليبات، ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي رائدها في كتابه العين، اعتمد الخليل في ترتيبه على مخارج الحروف، مبتدئاً بأعمقها مخرجاً من الحلق وهو حرف (العين)، وصولاً إلى حروف الشفتين وحروف العلة، وتعتمد هذه الطريقة وضع الكلمة تحت أقصى حروفها مخرجاً بغض النظر عن ترتيب الحرف داخل الكلمة؛ فمادة (لعب) مثلاً توجد في حرف العين لأنها الأبعد مخرجاً بين حروف المادة، كما وظف الخليل نظام "الأبنية" (الثنائي، الثلاثي، الرباعي، الخماسي) ونظام "التقليبات" لخصر كافة الصور الرياضية الممكنة للمادة اللغوية، والتمييز بين المستعمل والمهمل منها في لسان العرب.

ب- مدرسة الترتيب الألفبائي الخاص

وتسمى مدرسة الجمهرة والتي برز ابن دريد في معجمه "الجمهرة" محاولاً تلافي صعوبة المنهج الصوتي، فمزج بين الترتيب الألفبائي ونظام التقليبات الخليلية، إذ جعل ابن دريد تقسيم الأبنية هو المرتكز الأساسي، ثم رتب المواد داخل كل بناء وفق الترتيب الألفبائي المعتاد، مع إبقاء نظام تقليب الألفاظ المندرجة تحت كل حرف.

ج- مدرسة التقفية

يقوم هذا النظام على ترتيب الكلمات ألفبائياً بالنظر إلى الحرف الأخير من الجذر الأصلي وتسميته (باباً)، ثم الحرف الأول وتسميته (فصلاً)، جاء هذا المنهج تلبيةً لاحتياجات الشعراء في ضبط القوافي، ولأن الحرف الأخير من المادة اللغوية المجردة يتسم بالثبات والاستقرار مقارنةً بتغير حركات أوائل الكلمات، ومن أشهر آثار هذه المدرسة: "الصحاح" للجوهري، و"لسان العرب" لابن منظور، و"القاموس المحيط" للفيروزآبادي.

د- مدرسة الترتيب الألفبائي العام

تعتمد هذه المدرسة المنهج المؤلف اليوم؛ حيث تُرتب الكلمات بعد تجريدتها من حروف الزوائد حسب الحرف الأول ثم الثاني فالثالث وفق الترتيب الهجائي (أ، ب، ت...). ويعد معجم "أساس البلاغة" للزمخشري النموذج الأبرز والأوائل لهذه المدرسة التي تمتاز بالسهولة والمباشرة.

¹ ينظر: دراسة معجمية: نشأتها ونظرياتها ومدارسها، ر. توفيق الرحمن، مجلة الاتجاه، إندونيسيا، مج1، ع2، عام 2009م، ص ص 173-188

هـ - مدرسة الترتيب النطقي

استهدفت هذه المدرسة تيسير البحث على المبتدئين والطلاب، فرتبت الكلمات حسب صورتها النطقية والخطية الظاهرة دون الحاجة لتجريدتها إلى جذورها الأصلية. وفي هذا النظام، نجد كلمة (كتاب) في فصل الكاف، وكلمة (مكتوب) في فصل الميم، وكلمة (استكتب) في فصل الهمزة، مما يرفع عن الباحث عناء البحث عن الجذر الصرفي.

2. معاجم المعاني أو الموضوعات¹

تُعرف هذه المعاجم أيضاً بالمعجمات المبوبة أو معجمات الموضوعات؛ لكونها تقوم على تقسيم الألفاظ وتوزيعها في أبواب مستقلة بحسب دلالاتها وموضوعاتها، والمنهج المتبع فيها ينطلق من "المعنى العام" وصولاً إلى "اللفظ الخاص"، إذ لا يُعتد فيها بشكل الكلمة أو ترتيب حروفها، وإنما بمدلولها ومحتواها.

هذا النوع من المعاجم هو المقصد الأول للباحث الذي يستحضر المعنى في ذهنه بوضوح، لكنه يفتقر إلى اللفظ الدقيق الذي يعبر عنه؛ كأن يدرك المعنى الدال على الصبي في سن العاشرة ولا يعرف اسمه الخاص، أو يتمثل صورة السيف في حال كونه طويلاً أو حاداً ويجهل اللفظ الموضوع له، فيجد بغيته في الأبواب المختصة بموضوع "السيف".

تعود جذور هذا الفن في التراث اللغوي إلى مرحلة مبكرة، تجلت في رسائل لغوية صغيرة تخصصت في حقل دلالي واحد؛ ومن أمثلتها الأصيلية: رسائل خلق الإنسان، وكتاب الإبل للأصمعي، وكتاب المطر لأبي زيد الأنصاري، وكتاب اللب، وكتاب الخيل لأبي عبيدة. ومع تطور البحث اللغوي، انصهرت هذه الرسائل المفردة لتشكّل لبنات أساسية في المعجمات المبوبة الشاملة.

ومن أبرز هذه المصنفات الشاملة في التراث العربي:

- "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ): يُمثل أول معجم عربي شامل رُتب وفق المعاني، وقد خصصه مؤلفه للألفاظ الغريبة، وقسمه إلى خمسة وعشرين كتاباً استوعبت شتى المجالات ككتاب النساء، واللباس، والأطعمة، والأمراض، والسلاح، والنبات، والسحاب والأمطار.
- "الألفاظ الكتابية" لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (ت 320هـ): يضم أكثر من ثلاثمائة باب، استقل كل منها بموضوع معين، وانتقى فيه مؤلفه عيون الألفاظ والعبارات الجليلة والأساليب البارة المتداولة بين مشاهير الأدباء.

¹ ينظر: معجمات المعاني والألفاظ (المحاضرة الرابعة ضمن مقرر المعجم العربي والأصوات)، علي حلو حواس، قسم اللغة العربية، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 15 يناير 2021م.

- "فقه اللغة وسر العربية" لأبي منصور الشعالبي (ت 429هـ): اشتهر هذا المعجم بدقة الترتيب وجمال التبويب، حيث توزعت مادته العلمية على ثلاثين باباً رئيسياً، يتناول كل منها معنىً جوهرياً، ويندرج تحتها نحو ستمائة فصل تستقصي المعاني المتفرعة والدقائق الدلالية.
- "المخصص" لابن سيده الأندلسي (ت 458هـ): يُعدّ أضخم وأغزر معجم عربي صُنّف بحسب المعاني والحقول الدلالية في التراث، وقد استوعب مؤلفه فيه مضامين الرسائل اللغوية السابقة، ورتبها وفق أولويات منطقية؛ فبدأ بخلق الإنسان، ثم الغرائز والنساء، واللباس والطعام، وصولاً إلى الأمراض والمنازل والسلاح، مع تقسيم كل كتاب منها إلى أبواب فرعية دقيقة تستوعب تشعبات المعنى.

المحاضرة السابعة: مصطلح علامات العرب وسننها في الكلام

ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى تحرير مصطلح "سنن العرب"، ومن خلاله وسنشرع في بيان كيف أضحى فقه هذه السنن ضرورة شرعية ومسؤولية معرفية لاستنباط الأحكام وصيانة النص من مزلق التأويل، ثم نستعرض أبرز هذه العادات اللسانية التي عرفها العرب، ونختم بالوقوف على الجهود الريادية لعلماء الأمة في تدوين هذه الخصائص.

فبأي آليات استطاع العرب صياغة المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة؟

أولا تحرير مصطلح عادات العرب وسنن العرب:

يبرز عند استقراء المباحث اللغوية تداخلٌ دقيق بين مفهومي "العادات" و"السنن"، وهو تمايزٌ يبدأ من البعد المعجمي؛ حيث إن "السنن جمع سنة وهي الطريقة والمثال والعادة"، وقد تطلق السنة على العادة؛ إذ "السنن هي العادة التي تعود بها العرب في حديثهم وحواراتهم وأشعارهم وخطبهم"¹.

وعليه، تُمثل "سنن العرب" في الكلام الأنساق التعبيرية المتوارثة والطرائق البلاغية التي تُصاغ بها المعاني، وقد استعمل المتقدمون مصطلحاتٍ من قبيل "معاني الكلام" أو "الأسلوب" لتوصيف "الطريقة التي تصاغ بها الجملة لتؤدي معناها العام، وهذه الطريقة تحمل إضافة إلى المعنى المفرد المعجمي، ومعنى العلاقة التركيبية فيما بين كل متطالبين نحويًا معنى تركيبيا عاماً هو نتيجة اختلاط هذه المعاني كلها ليخرج منها المعنى العام الذي يقف بإزاء أغراض الكلام، وقصدية المتكلم"².

وفي مسلكٍ يعكس عبقرية اللسان العربي، اعتمد العرب في جملةٍ من خطاباتهم على الإيجاز واللمحة الدالة والإشارة؛ وهو مذهب قد يتراءى للناظر السطحي كضرب من التوسع غير المطلوب، غير أن كنهه يحمل نظاما إبداعيا محكما، "وقد سماه علماءنا (سنن العرب)، وعقد الثعالبي على أمثلة منه القسم الثاني من كتابه (فقه اللغة)، وسماه (سر العربية)"³. ومن هذا المنطلق، ندرك يقيناً أن "البلاغة من سنن العرب المعروفة معهم"⁴، وهي الخصيصة التي تجلت بوضوح في قدرتهم الفائقة على تخيير الكلام وإحكام أقسامه.

¹ اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد بن محمد الضبيبي، مكتبة العبيكان: السعودية، (د. ط)، عام 2001م.

² أساليب الكلام العربي بين الدرس التراثي وعلم اللغة الحديث، عمر محمد صديق وسليم تكين، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مج 4، ع 12، ديسمبر 2023 .

³ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي (ت 1356هـ)، دار الكتاب العربي: بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج: 01، ص: 149.

⁴ خصائص اللغة العربية وسنن العرب، خالد بن محمد بن سعيد الشبيبي، مجلة اللغة، الكتاب الخامس، العدد الأول، 7 يونيو 2020م.

ثانياً الدافع الشرعي لتدوين سنن العرب وعاداتهم

أدرك العلماء يقيناً أن استنطاق النص القرآني واستجلاء دلالاته يستوجب إتقاناً تاماً لآلة الفهم المتمثلة في لسان العرب وسنن خطابهم؛ فقد ذهبوا إلى أن في الذكر الحكيم "آيات تحتاج تفسيرها إلى أسباب نزولها، وفيه آيات العبادة والتشريع والمعاملات. وفي الآيات من الألفاظ ما يحتاج فيه إلى معرفة اللغة وإتقان فهمها والإلمام بعلومها"¹، وانطلاقاً من هذا الوعي، "اعتنى المفسرون بألفاظه، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد، ولفظاً يدل على أكثر... وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين أو المعاني، وأعمل كل منهم فكره"².

كما برزت الحاجة الماسة لدى الأصوليين لضبط القواعد اللغوية وسنن التعبير؛ تقعيدياً لاستنباط الأحكام ودفعاً للإشكالات والتعارض الظاهري؛ إذ "اعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية، فاستنبطوا بما اقتضاه نظره... وتأملت طائفة منهم معاني خطابه، فرأت منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء، وسموا هذا الفن: أصول الفقه"³، ولتحقيق هذه الغاية المنهجية، عكف هؤلاء العلماء على تحليل أساليب الكلام، حيث "استنبطوا من ذلك أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا في النص والظاهر والمجمل والمتشابه والأمر والنهي، والنسخ، والتخصيص والإخبار؛ صيانةً لعملية الاستنباط من الزلل.

ثم إن خطورة إهمال هذه المرتكزات اللغوية وسنن العرب في فهم مقاصد الشريعة يظهر من خلال التحذير المبكر الذي أطلقه الإمام عبد القاهر الجرجاني؛ حيث عدّ التهاون بآلة النحو مسلكاً شنيعاً يحول دون استكشاف أسرار التنزيل، قائلاً: "وأما زهدهم في النحو، واحتقارهم له، وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك شنيع، وأشبه بأن يكون صدّاً عن كتاب الله وعن معرفة معانيه"⁴، وبذلك يرتفع قدر اللسان العربي من مجرد آلة تواصلية إلى ضرورة شرعية ومسؤولية معرفية لصيانة النص من الفهم القاصر ومزالق التأويل.

تجلت ظهرت الصلة بين علوم الشريعة وعلوم الآلة في أبهى صورها؛ إذ استقر لدى أئمة الدين أن الفتيا والاجتهاد باتت "مفتقرة إلى الأصلين: الكتاب والسنة، وأقسام العربية؛ فلا انفكاك بين استنباط الحكم الشرعي والضبط اللغوي الرصين، ومن الشروط التي أقرها الإمام الشافعي أن الذي جعل فقه اللسان شرطاً لازماً للمجتهد؛ يقول الرافعي "وجعلوا المهارة في الشريعة والحذق بالفقه والبراعة في العرب، مروياً بسنده أو

¹ منهاج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص 39.

² تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج: 02، ص: 79.

³ المرجع والصفحة نفسها.

⁴ دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني (القاهرة) ودار المدني (جدة)، ط3، عام 1413هـ - 1992م، ج: 01، ص: 28.

مأخوذاً عن يسنده... حتى إن الشافعي رحمه الله، قال: إنه طلب اللغة والأدب عشرين سنة لا يريد بذلك إلا الاستعانة على الفقه¹، وهذا ما يمثل الركيزة الكبرى في بيان هيمنة الدافع الشرعي على جهود العلماء في تدوين سنن العرب.

ثالثاً: أبرز عادات العرب وسننهم في الكلام

بعد أن استقر لنا بيان المنطلقات النظرية والضرورة المنهجية لفقه اللسان العربي وعبقريته، سنحاول أن نتعرف على تلك السنن التي تجسد واقع الخطاب العرب العربي، وتبني أسسه، سواء في صياغة المعنى أو في توجيه الدلالة، هذه العادات التي لم يتخذها اللسان العربي زينة لفظية يجاري بها غيره من الأقوام، بل نجدها ركائز في بناء اللغة العربية، ومن بين أساليب العرب التي تعد مكن الإبداع ما يأتي:

1. سنن الحذف والإيجاز:

تعتبر ظاهرة الإيجاز والحذف في صدارة السنن التعبيرية وأبرز العادات اللسانية لدى العرب؛ والإيجاز "من أهم السمات والخصائص التي تميز اللغة العربية ويختصر الكلام الكثير في المفردات القليلة كما يختصر الجهد والوقت"، والمقصود بذلك هو "وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح". ويعزى الأمر في هذه السنة التعبيرية إلى اعتماد العرب على فطنة السامع وسياق الحال، "وذلك لأن الإيجاز في الحقيقة حذف ما يستغنى عن الكلام أو يفهم المعنى بدونه"²، وفي هذا الصدد نجد أن القاضي الجرجاني قد أفرد باباً مستقلاً سماه "باب الحذف ونكته"؛ مبيناً طريقة العرب في ذلك إذ "يقصد به حذف كلمة في الجملة وليس حذف حرف في الكلمة، ويكون سبب الحذف لغرض يريده المتكلم؛ كأن يريد الإيجاز أو الإخفاء أو الخوف مما يقول، أو تبجيل المحذوف أو احتقاره"³.

ومن النماذج التطبيقية لهذه السنة التعبيرية⁴ ما يلي:

أ- من القرآن

- الإيجاز الجامع: يتجلى في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾؛ فبالرغم من قصر مبناها، فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها.

¹ تاريخ آداب العرب، الرافي، ج: 01، ص: 188.

² ينظر: خَصَائِصُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسُنَنُ الْعَرَبِ، خالد بن محمد بن سعيد الشيباني، مجلة اللغة، الكتاب الخامس، العدد الأول، 7 يونيو 2020م.

³ تشكل علم المعاني بين تنظير الجرجاني وتطبيق الزمخشري، حمرا العين عبد الهادي، مجلة آفاق علمية: المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف (ميلة) - الجزائر، مج 17، ع 2، نوفمبر 2025م، ص 691-706.

⁴ ينظر هذه النماذج وغيرها في: خَصَائِصُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسُنَنُ الْعَرَبِ، خالد بن محمد بن سعيد الشيباني.

- حذف الحرف: ويظهر ذلك بالموازاة مع قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، حيث "أُكُ أصلها أكن".
- حذف الكلمة (للإيجاز أو الاحتقار): حري بنا التطرق إلى حذف الكلمة بدافع الإيجاز في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أي "عمل عملاً صالحاً، فحذفت كلمة عملاً". ومن القرائن الكاشفة عن الحذف لغرض الاحتقار قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾؛ إذ أضمر القرآن اسم أمية بن خلف، "ولم يذكر اسمه احتقاراً لما له جرّاء سوء أعماله واكتفى بالإشارة إليه بالظالم وفلاناً وهنا نجد الحذف احتقاراً للمحذوف".
- حذف الجملة (الفقرة): ولا مناص من القول إن حذف الجملة يعتمد كلياً على فطنة المخاطب، كقوله تعالى: ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾؛ حيث حُذفت الجملة المفسرة لسياق الحال، والتقدير: "انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكم الله أنتم وشركاءكم".

ب- من الحديث الشريف:

على صعيد آخر، أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، فكان كلامه في الاتجاه نفسه من الإيجاز الدال على أوسع المعاني، وهو ما يتضح بجلاء في قوله عليه الصلاة والسلام: "إنما الأعمال بالنيات".

ج- من الشعر العربي¹:

الحذف للخوف والإخفاء: فقد وظف الشعراء الحذف اعتماداً على سياق الحال والمخاطب، كما في قول بشار بن برد:

أبا جعفر ما طول عيش بدائم *** ولا سالم عما قليل بسالم

حيث "حذف الشاعر خبر (سالم) في البيت الأول خوفاً من الخليفة الذي قد يتهمه بإرادة قتله... فجعل الخبر محذوفاً ويحتمل تأويلات عدة، وفي قصيدة أخرى له يقول فيها:

فما زلت حتى استنصر الدين أهله *** فعادوا بالسيوف الصوارم

فقد حذف خبر ما زلت وتقدير الكلام، فما زلت تهين الدين.

2. سنن التكرار والتوكيد:

بالموازاة مع ظاهرة الإيجاز، درج العرب في سنن كلامهم على توظيف "الإطناب والتكرار لغرض التوكيد وتقرير المعاني"؛ إذ يُعرف الإطناب بأنه "عكس الإيجاز ويعني الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو

¹ ينظر: تشكّل علم المعاني بين تنظير الجرجاني وتطبيق الزمخشري، حمرا العين عبد الهادي، ص 691-706.

تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده¹، وتكمن الغاية البلاغية من هذا المسلك "تحقيقاً وإبانة ومبالغة توكيداً للتكرار وتحسين اللفظية"².

ومن التطبيقات هذه العادة العربية، نستعرض النماذج الآتية:

- التوكيد اللفظي المتكرر: يتجلى بوضوح في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.
- ذكر الخاص بعد العام لبيان الخصوصية: ومن القرائن الكاشفة عن هذا الغرض قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾؛ وفائدة هذا الزيادة اللفظية تكمن في "بيان خصوصية وفضل الصلاة الوسطى على بقية الصلوات".

- الإطناب بالحشو في الشعر: على صعيد آخر، يبرز الإطناب في النظم كما في قول زهير بن أبي سلمى: وأعلم علم اليوم والأمس قبله *** ولكنني عن علم ما في غد عمي

حيث عُذَّ لفظ (قبله) "من الحشوف حيث من الطبيعي أن يعلم خبر اليوم الذي فيه واليوم الذي مضى".

3. سنن الاتساع والمجاز

يُعَدُّ المجاز من الخصائص الجوهرية التي تمايزت بها اللغة العربية؛ وهو باب المجاز واسع جداً ويقصد به استعمال كلمة في غير معناها الحقيقي الذي وضعت له، وقد أبرز السيوطي سبب لجوء العرب إلى هذا المسلك التعبيري إلى مآرب ثلاثة: "وإنما يقع المجاز ويُعدَّل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عدمت الثلاثة تعيَّنت الحقيقة"³؛ فالمجاز في جوهره قائم على "التوسع في المثال الحسي إذا ضاقت به الحقيقة المألوفة في التعبير"⁴.

ومن القرائن الكاشفة عن هذا الاتساع وتسمية الأشياء بغير أسمائها المباشرة ما نلمسه في "التذرع إلى الوضع فيما لم يوضع له لفظ من المحسوسات، كتسمية البياض في العين بالكوكب..."، أو في إطلاق أجزاء على غيرها بالموازاة مع قولهم: "إبط الشجرة، وساق الإبريق، وعنق الزجاجة"⁵.

¹ ينظر: خصائص اللغة العربية وسُنُّ العرب، خالد بن محمد بن سعيد الشيباني.

² تاريخ آداب العرب، الرافعي، ج: 02، ص: 130.

³ المزهري، السيوطي، ج: 01، ص: 282.

⁴ تاريخ آداب العرب، الرافعي، ج: 01، ص: 119.

⁵ المصدر نفسه، ج: 01، ص: 120.

من الشواهد التي تبرز مكانة هذه العادة في لسان العرب الشواهد الآتية¹:

- الشاهد القرآني: يتجلى اجتماع معاني المجاز الثلاثة (الاتساع والتوكيد والتشبيه) في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ إذ "في الآية مجاز وفيها تحققت المعاني الثلاثة".
- علاقة السببية (المجاز المرسل): ويظهر ذلك في قولهم "رعت الماشية الغيث"؛ إذ إن "العلاقة هنا ليست المشابهة وذلك لأن العلاقة بين الغيث والنبات هي السببية".
- علاقة المشابهة (الاستعارة): على صعيد آخر، يبرز المجاز القائم على التشبيه في نحو قولنا: "رأيت أسداً يعلم الناس فنون الحرب"؛ "فإن العلاقة بين الأسد بمفهومه المجازي والسبع بمفهومه الحقيقي هي المشابهة في الإقدام وهذا ما يسمى بالاستعارة وهي من المجاز".

4. سنن التقديم والتأخير²:

يُعد التقديم والتأخير ركناً جوهرياً في علم المعاني، كونه مبحثاً "تتصل بالجملة وما يطرأ عليه من تقديم وتأخير... له فوائد كثيرة ... وذاك لعله بيانية ولفضل بالغى؛ إما من إسناد إلى إسناد، أو من حالة إلى حالة، إذ يتغير المعنى حين تقدم الكلام أو تؤخر جهة المعنى".

ومن الشواهد القرآنية في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾؛ حيث يكمن السر البلاغي في تقديم المفعول به على الفاعل لأن النص "هنا تقدم ذكر سيدنا إبراهيم على ربه لأنه استخلفه على الناس ... ثم قدم الناس على الإمام لأن الناس حين يتوالم الإمام يصبحون أولى منه بالرعاية من حيث المسؤولية -الذي يتقدمهم- والإمام يتقدم الناس لقيادتهم".

5. الالتفات³:

يُمثل الالتفات إحدى أدق سنن العرب وعاداتهم البديعة في الخطاب، ومبناه الجوهري على "الرجوع من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب بدون تغيير في المعنى". وبالموازاة مع ذلك، فإنه يشمل "أن تخاطب الشاهد ثم تحوله إلى الغائب، وهو الالتفات المعروف في البديع"؛ استهدافاً لتنشيط ذهن السامع وتلوين الخطاب.

¹ ينظر: خَصَائِصُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسُنَنُ الْعَرَبِ، خالد بن محمد بن سعيد الشيباني

² ينظر: تشكل علم المعاني بين تنظير الجرجاني وتطبيق الزمخشري، حمرايعن عبد الهادي، ص 691-706.

³ ينظر نماذج ذلك في: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، مصطفى شريقن، دار الخلدونية للنشر والتوزيع: الجزائر، (د. ط)، عام

ومن القرائن الكاشفة عن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنْزِلَ بَعْلَمُ اللَّهِ﴾، حيث "رجع من الخطاب إلى الغيبة". وعلى صعيد آخر، يتجلى التحول من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾، إذ "أراد بكم"، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾، دون أن ننسى براعة الشعراء في توظيف هذا الفن، كأن "تخاطب الشتاء وقميصي أخلاق"، تدليلاً على التمكن من ناصية الالتفات بين الضمائر.

رابعاً: أبرز المصادر والمصنفات في الباب

نبرز في هذا السياق جهود ثلة من كبار علماء الأمة الذين أسسوا لمنهجية التعامل مع لسان العرب وسننه التعبيرية، سواء في التفسير اللغوي، أو التأصيل العام لفقه اللغة، فأما الريادة التفسيرية واللغوية فقد جسدها كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى؛ إذ يُعد رائد التأليف في المعاني اللغوية للقرآن الكريم، فإنه يرجع الفضل، وكان منهج أبي عبيدة يقوم على اعتماد الدفاع عن أساليب النظم القرآني بالرجوع المباشر لكلام العرب، إذ "عُني بالناحية اللغوية في القرآن وأكثر من الاستشهاد على الآيات بالشعر العربي"، مع التنبيه المنهجي إلى أن "المجاز القرآني عنده لا يعدو أن يكون تفسيراً لألفاظ القرآن ومعجماً لمعانيه"؛ فهو "يستعمل كلمة (مجازة) غالباً بديلاً عن كلمة معناه"، ومن القرائن الكاشفة عن ذلك اتباعه طريقة ابن عباس في الاستدلال بالشعر لدفع الإشكال عن اللفظ؛ كاستشهاده بقول ساعدة بن جؤية في تفسير ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وتوظيفه لقول أبي الأسود الدؤلي لبيان معنى قوله تعالى: ﴿فَبَدَّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ بأنها تعني عدم الالتفات¹.

وعلى صعيد آخر، يبرز التأصيل اللغوي الجامع في كتاب "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" لابن فارس، والذي يمثل العمدة الكبرى والركيزة الأساسية في بيان منهجية العرب في النطق والتعبير، وقد شكل هذا السفر "طفرة في استقرار خصائص اللغة وسننها"، مؤصلاً لكون "علم العربية إلى الحاجة هو الفارق بين المعاني". ويعزى الأمر في عظمة هذا الكتاب إلى دفاع ابن فارس المستميت عن أصالة اللغة، مصرحاً بأن "علم العربية إلى الحاجة هو الفارق بين المعاني"²، وبناءً على هذا التأصيل نظر إلى سنن العرب كـ "التضاد" بوصفها من صميم الخصائص لا من قبيل العبث اللغوي، وبالموازاة مع ذلك نال كتابه مكانة سامقة في التراث اللغوي حتى قيل فيه: "وهو كتاب جليل، لم يصنّف مثله".

¹ ينظر: مناهج التأليف المعجمي عند العرب: معاجم المعاني والمفردات، عبد الكريم مجاهد مرداوي، دار الثقافة للنشر والتوزيع: عمان - الأردن، ط1، عام 2010م، ص: 37.

² الصاحبي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس، ص 43.

المحاضرة الثامنة: كتب الشواهد اللغوية وحوارها في بناء علوم النحو والصرف

ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى تبين مفهوم "الشاهد اللغوي" بوصفه الحجة والركيزة الأصلية التي قام عليها صرح القواعد العربية، حيث سنشرح في الحديث عن هرمية الشواهد التي يتصدرها القرآن الكريم، يليه الشعر العربي -ديوان العرب-، ثم تدارس الجدل العلمي حول الاحتجاج بالحديث الشريف، كما سنقف عند الضوابط الصارمة التي وضعها النحاة لتحديد عصور الاحتجاج زمنياً ومكانياً، وختاماً سنعرض لأبرز المدونات التي حفظت هذا الإرث، من "كتاب سيبويه" التأسيسي إلى شروح المتأخرين ومعاجم المحدثين المتخصصة. فإلى أي مدى استطاع هذا التقييد الزمني والمكاني صيانة هوية اللغة؟

تمهيد:

الشاهد هو الحجة في إثبات صحة القضايا أو خطئها، ولهذا كان الرواة يحفظون الشواهد، فهذا محمد بن القاسم الأنباري (ت 172هـ) كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من الشعر شاهدة في القرآن، وكان يملئ من حفظه لا من كتاب¹، وكان أبو مسحل الأعرجي قد حضر من البادية إلى بغداد، وأخذ النحو والقرآن عن الكسائي، وروى عن علي بن المبارك أربعين ألف بيت شاهد على النحو²، وتدل هذه الروايات - رغم المبالغة - على اهتمام العلماء بالشواهد خاصة الشعرية منها.

وكانت الشواهد البلاغية قد نالت اهتماماً مبكراً فقد ألق ابن أبي العون (ت 322هـ) كتاب التشبيهات عرض فيه جملة من تشبيهات العرب في موضوعات مختلفة... والكتاب ليس دراسة، وإنما هو شواهد فيها تشبيهات اختارها من عدة شعراء اهتموا بالتشبيهات، ولا سيما شعراء العصر العباسي.

ووضع أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب (ت بعد 400هـ) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ذكر فيه تشبيهات مختلفة. أخذت صورها من الطبيعة والحياة، وألق علي بن ظافر الأزدي (ت 623هـ) كتاب غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، وهو ككتاب الكتاني مختارات شعرية تتضمن تشبيهات في كثير من الأغراض³.

¹ رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث (أو الاستشهاد والاحتجاج باللغة)، محمد عيد (ت 1419هـ)، عالم الكتب: القاهرة، ط2، عام 1408هـ - 1988م، ص 116.

² بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: صيدا - لبنان، (د. ط)، (د. ت)، ص 123.

³ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب (ت 1439هـ)، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، ط1، عام 2007م، ص: 6-7

واهتم المعاصرون بدراسة الشواهد؛ فقد أَلَفَ الأستاذ عبد السلام محمد هارون معجم شواهد العربية، وصنف الدكتور علي القاسمي معجم الاستشهادات ضمنه شواهد مختلفة ورتبه ترتيباً ألفبائياً، وضعه ليكون معيناً للكتاب والشعراء، ووضع الدكتور أحمد مطلوب معجم شواهد البلاغة الشعرية رتبه ترتيباً ألفبائياً، قدّمه ليكون "هدية للباحثين والدارسين"، ولمن يريد التمتع بالشعر¹.

أولاً: تعريف الشاهد اللغوي

1. الشاهد في اللغة

هو اسم فاعل مشتق من الفعل الثلاثي "شَهِدَ"، ومدلوله الأصلي يتمحور حول "الحضور والعلم والإعلام"، جاء في لسان العرب أن "الشاهد اللسان من قولهم لفلان شاهد حسن أي عبارة جميلة"²، وعند ابن فارس: "الشين والهاء والdal أصل يدل على حضور وعلم، وإعلام لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه"³، وتتفرع عنه معانٍ متعددة في لسان العرب، منها: العاقل: وهو "الذي يخبر القاضي ونحوه بما رأى أو علم"، ويُجمع على (شهود، وأشهاد، وشهداء)، ومنها العالم الذي يُبين ما يعلمه، ومنها الدليل والحجة: ويُقصد به المعنى غير العاقل، وجمعه "الشواهد"، ومنها الخبر القاطع، ومنها اللسان: ومنه قولهم: "لفلان شاهد حسن"، أي عبارة جميلة⁴.

2. الشاهد في الاصطلاح

الشاهد هو قول عربي، ونص موثوق، يرد للاحتجاج به على قول أو رأي، ويُستند إليه لتأكيد صحة لفظ أو سلامة تركيب أو بناء، وهو في اصطلاح أهل الصناعة "كلام يوثق بفصاحة قائله يؤتي به لإثبات القاعدة، ويكون إما من القرآن وإما من الحديث الشريف الذي صح إسناده، وإما من قبائل العرب"⁵ ويمكن إجمال حدوده الاصطلاحية في كونه:

- النص الذي يُستدل به على صحة استخدام أو تركيب لغوي معين.

¹ المصدر نفسه، ص 10

² لسان العرب، ابن منظور، ج: 03، ص: 243.

³ مقاييس اللغة، ابن فارس، ج: 03، ص: 221.

⁴ ينظر: الشواهد في الدرس اللغوي العربي أهميتها أنواعها ووظيفتها، مليكة بن عطاء الله، مجلة الذاكرة: مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة - الأغواط، ع 6، جانفي 2018م، ص 272-280 / الشاهد القرآني في شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب لابن الحاجب (دراسة نحوية- تحليلية)، فكر الدين سيد، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية (HNSJ)، مج 3، ع 12، ديسمبر 2022م، ص 664-679.

⁵ المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي وراجي الأسمر، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية: بيروت، ط 1، عام 2001م، ص 346.

- كل قول عربي فصيح، سواء تمثل في القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو كلام العرب منظوماً ومنثوراً.

- الجزء الذي يُستشهد به في إثبات القاعدة.

- ما يُذكر لإثبات قاعدة نحوية، سواء كان "آية من التنزيل، أو قولاً من أقوال العرب الموثوق بعريبتهم، أو حديثاً صحيح السند"¹.

وتتجسد القيمة العلمية للشاهد في كونه الركيزة الأساسية للاحتجاج في ثلاثة علوم كبرى: علم اللغة المعجمية، وعلم النحو، وعلم الصرف.

3. الفرق بين الشاهد والمثال

يوضح الإمام التهانوي هذا التباين مقررّاً قاعدة أصولية في هذا الباب، بقوله: "الشاهد هو الذي يستشهد به في إثبات القاعدة... أما المثال فهو الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم المستفيد"، ويضيف مؤكداً: "أن كل شاهد مثال وليس العكس لأن كل شيء يصلح للإثبات يصلح للإيضاح بدون العكس"، فالمثال ليس سوى "أمثلة توضيحية أو تمثيلية، وهي مجرد بيان وتوضيح عن طريق أمثلة صناعية من الدارس نفسه أو ممن لا يحتج بكلامهم"².

وهناك فروق جوهرية ودقيقة بين الشاهد والمثال التوضيحي، بينما يتداخل مفهوم الدليل مع وظيفة الشاهد:

وجه المقارنة	الشاهد اللغوي	المثال التوضيحي	الدليل/الحجة
المفهوم الأساسي	النص الأصيل الموثوق الذي يُنقل عن العرب الفصحاء للاحتجاج به.	عبارة أو جملة تُصنع لغرض الشرح أو التقعيد التعليمي.	البرهان القاطع الذي يستدل به على صحة القاعدة النحوية.
الغاية والوظيفة	الاحتجاج والاستدلال والبرهنة.	إيضاح القاعدة أو توضيح استعمال الكلمة أو القاعدة.	تأكيد القول وزيادة صرامته وصحته.
زمن الورد/النشأة	ينتمي إلى زمن الاحتجاج (ما قبل اختلاط الألسنة).	وظيفته اقتضرت على زمن ما بعد الاحتجاج.	عام، ولكن الشاهد هو البرهان الأقوى.

¹ ينظر: الشاهد القرآني في المعاجم المتخصصة وأثره في التنوع الدلالي معجم ألفاظ القرآن الكريم نموذجاً، بوججو عمر، مجلة جسور المعرفة: جامعة حسنية بن بوعلي (الشلف) - الجزائر، مج 7، ع 3، سبتمبر 2021م، ص 387-398.

² ينظر: الاستشهاد النحوي في شرح ابن زاكور الفاسي لحامسة أبي تمام، بوطاهر بوسدر، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات (IJRSP)، مج 4، ع 43، ماي 2023م، ص 312.

أما العلاقة بين الشاهد والدليل فغالبا ما يكون الشاهد هو الدليل (أو الحجة) الذي يُعتمد عليه في إثبات صحة قاعدة النحوية، فالشاهد هو أداة الإثبات اللغوي، وقد استعمل النحاة الأوائل؛ مثل سيبويه عبارة "والدليل على ذلك" بدلاً من "الشاهد" في أغلب المواضع التي استشهد فيها بكلام العرب¹.

ثانيا: الحدود الزمانية والمكانية للاحتجاج

تعد مباحث الاحتجاج اللغوي من القضايا المنهجية الدقيقة شكلت صُلب الدرس اللغوي والنحوي، إذ إن استقرار لغة العرب خضع لمعايير صارمة حرص من خلالها أئمة اللغة على أخذها صافية من منابعها قبل أن تكدرها عجمة أو يطالها لحن.

1. الحد الزماني:

ونقصد بها عصور الاحتجاج التي استقر عمل أئمة اللغة على حصرها في إطار زماني محدد، ويرتبط بمدى سلامة السليقة العربية، لذا نجد أن "العلماء قسّموا الشعراء الذين يُحتجّ بشعرهم ويُستشهد به في اللغة والنحو على أربع طبقات"² وتفصيل هذه الطبقات كالآتي:

أ- الطبقة الأولى: عصر الجاهلية (الشعراء الجاهليون): وهم من عاش في الجاهلية ولم يدركوا الإسلام؛ كأمريئ القيس، والأعشى وهؤلاء يُستشهد بشعرهم إجماعاً لأنهم أصل الفصاحة ومنبعها الصافي.

ب- الطبقة الثانية: عصر المخضرمين: وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام؛ كلبيد، وحسان واصطلحوا على تسميتهم بالمخضرمين، قال ابن بري: "أكثر أهل اللغة على أنه مخضرم - بكسر الراء - لأن الجاهلية لما دخلوا في الإسلام خضرموا آذان إبلهم: قطعوا أطرافها... لتكون علامة لإسلامهم إن أُغبر عليهم أو حوربوا"³ وشعر هؤلاء حجة بالإجماع كسابقه.

ج- الطبقة الثالثة: عصر الإسلاميين (المتقدمون): وهم الذين كانوا في صدر الإسلام؛ كجرير، والفرزدق، والصحيح هو صحة الاستشهاد بشعرهم، إلا أن بعض كبار اللغويين غالى في رفضه، مثل أبي عمرو بن العلاء الذي أخرجهم من عصور الاحتجاج وعدّهم مولّدين! وقد أورد السيوطي حادثة تعكس هذا التشدد، إذ نقل أن أبا عمرو "كان يقول: لقد حَسُنَ هذا المولد حتى هممت أن أمر صبياننا بروايته، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولّداً قياساً بشعر الجاهلية والمُخضرمين، وكان لا يَعُدّ الشعر

¹ الشاهد القرآني بين سيبويه والمبرد، حسين أحمد بو عباس، منشورات جامعة الكويت: الكويت، (د. ط)، (د. ت)، ص: 02

² الشواهد الشعرية في شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه جمعاً ودراسة، منيرة نايف حواس الشمري، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية

(HNSJ)، مج 3، ع 7، جويلية 2022م، ص 164-183

³ تاريخ آداب العرب، الرافي، ج: 03، ص: 43.

إلا ما كان للمتقدمين "...ويؤكد الأصمعي هذا المنهج المتشدد لأستاذه بقوله: "جلستُ إليه عشر حجج، فما سمعته يحتجُ بيت إسلامي"¹

د- الطبقة الرابعة: عصر المولدين (المُحدثون): وهم من جاؤوا بعدهم؛ كبشَّار بن برد، وأبي نواس، وهؤلاء لا يُحتج بشعرهم في إثبات قواعد اللغة.

وقد توخى العلماء من هذا التقييد الزمني ضمان أخذ اللغة من مصادرها الأصلية الصافية قبل أن تتسرب إليها العجمة نتيجة اختلاط العرب بغيرهم، وبناءً على هذا المعيار، توقف الاستشهاد في بناء القواعد النحوية والصرفية عند شعراء العصر الأموي، ولم يُعتدّ بكلام المولدين (المحدثين) من الطبقة الرابعة وما تلاها، لفساد سليقتهم اللغوية وتأثرها باللحن، مهما بلغوا من الفصاحة والبلاغة

متى توقف عصر الاحتجاج؟

هنا يتفرع الحكم بناءً على الحاضرة والبادية؛ ففي الحواضر انتهى الاحتجاج مبكراً بسبب تفشي اللحن، و"زمن الاحتجاج عند بعضهم منتصف القرن الثاني أو نهايته في الحواضر، ويزيدون على ذلك قرنين فيما يخص البادية، ويشهد لامتداد عصر الاحتجاج في البادية "صنيع أبي منصور الأزهري (ت 370هـ) في التهذيب ونقله عن أعراب نجد الذين وقع في أسرهم، وكذلك صنيع الجوهري (ت 392هـ) إذ ذكر في مقدمة الصحاح أنّ من مصادره مشافهته العرب العاربة في ديارهم بالبادية².

ومما قد يعمل لنا هذا الضياع النسبي لبعض الشواهد أو تأخر جمعها ما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في قوله: "إن الشعر كان علم القوم ولم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت العرب عنه بالجهاد وغزو الفرس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب في الأمصار راجعوا رواية الشعر... وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم كثيره"³

2. الحد المكاني:

ونقصد بهم القبائل الموثوق بعربيتهم، فلم يكتفِ اللغويون بالشرط الزماني فقط بل أضافوا إليه شرط العزلة الجغرافية التي تضمن نقاء اللسان العربي من لوثة الأعاجم، ولذلك فقد اعتمدوا على قلب الجزيرة العربية، ورفضوا الأخذ من القبائل التي جاورت الأمم الأخرى أو سكنت حواضر الاختلاط، فقرروا استبعادا مكانيا

¹ المزهر، السيوطي، ج: 02، ص: 414.

² ينظر: عصور الاحتجاج عند اللغويين.. رأي مختلف، عبد الرزاق الصاعدي، صحيفة الجزيرة: السعودية، ع 17925، 4 فبراير 2022م.

³ البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر (ت 1424هـ)، عالم الكتب: القاهرة، ط 8، عام 2003م، ص 139.

لمناطق محددة بوضوح قاطع؛ إذ لم يؤخذ السماع اللغوي: لا من أزد عمان؛ لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلاً؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف، وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم¹. وبهذا يتضح لنا أن المدارس اللغوية (وخاصة مدرسة البصرة التي عُرفت بالتشدد والتحقيق) كانت تبني قواعدها على "ما هو جادة كلام العرب مما هو مشهور معروف في كلام العرب" مبتعدة عن كل بيئة زمانية أو مكانية تسرب إليها اللحن أو العجمة.

ثانياً: مراتب الشواهد اللغوية والنحوية

يشكل صرح النحو العربي بنياناً متماسكاً استند فيه النحاة إلى شواهد وأدلة نقلية رتبوها وفق هرمية منهجية صارمة، وانطلاقاً مما سبق، حرّى بنا التطرق إلى مراتب هذه الشواهد، وتبيان آليات التعامل معها استنباطاً وتقعيداً.

1. القرآن الكريم:

والثابت والمؤكد أن القرآن الكريم هو النص الأوثق والصورة العليا للفصاحة، وقد اتفق العلماء على أنه "فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواتراً، أو آحاداً، أم شاذاً"²، والمقصود بذلك أن كل قراءة قرآنية صحيحة السند تُعد حجة بذاتها لا ترتقي إليها حجة، لأن الغاية هي إثبات فصاحة التركيب³.

والسؤال المطروح: كيف تعاملت المدارس النحوية مع النصوص القرآنية التي تعارضت مع قواعدها المطردة؟ من خلال البحث عن ذلك نجد أن المواقف قد تباينت؛ فالبصريون غلبوا القياس، مقررّين أنه متى ما اصطدمت القاعدة بأية قرآنية لجؤوا إلى التأويل والتقدير لتطويع القرآن للقاعدة، أو حكموا على القراءة بالشذوذ دفاعاً عن اطراد أقيستهم⁴، فعلى سبيل المثال اختلفوا في توجيه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾، فوضعوا تقديرات عدة للكاف في (كما) لتستقيم مع قواعدهم⁵.

¹ ينظر: المزهر، السيوطي، ج: 01، ص: 168/ الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق وشرح: د. محمود فجال (الإصباح في شرح الاقتراح)، دار القلم: دمشق، ط1، عام 1409هـ - 1989م، ص: 91.

² الاقتراح، السيوطي، ص: 68.

³ الاستشهاد والاحتجاج باللغة، محمد عيد، مرجع سبق ذكره، ص: 102 -بتصرف-

⁴ ينظر: المصدر السابق، ص: 106.

⁵ الضوابط اللغوية في التعامل مع النصوص الشرعية، عبد الرحمن عبد الله رجو، مجلة رواء، ع 2، شعبان 1441هـ - أبريل 2020م.

وعلى عكس هذه الرأي فقد توسع الكوفيون في السماع، فجعلوا القرآن حاكماً والمثال الواحد أصلاً يُقاس عليه، بل قال إمامهم الفراء: "اتباع المصحف -إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب- أحب إلي من خلافه"، مستدلاً بقراءة رفع "إن هذان لساحران" التي تهيب منها أبو عمرو بن العلاء البصري¹.

2. الشعر العربي

إن الشعر هو "ديوان العرب" الذي حفظ لغتهم ومآثرهم، ولقد حظي بالنصيب الأوفر في التقعيد النحوي، بل وتُقدم شواهد تطبيقاً على غيره في مصنفات النحاة؛ ويعود السبب إلى الاعتماد الكثيف عليه لسهولة حفظه وروايته وتناقله²، لذا فإن مدونة البصريين الكبرى (كتاب سيويه) اعتمدت الشعر أساساً للاستقراء، حيث حوى أكثر من ألف وخمسين بيتاً من الشعر³، لذا فهو يعد الميدان التطبيقي الأوسع في التقعيد النحوي، وقد سبق التوضيح في الحدود الزمانية الصالحة للاحتجاج اللغوي، وعامة أهل اللغة يمنعون الاحتجاج بشعر المولدين من الشعراء، باستثناء قلة من العلماء كالزمخشري والرضي، الذين أجازوا الاحتجاج بشعر بعض المولدين كأبي تمام، تحت حجة أنه "من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه"⁴.

3. الحديث النبوي الشريف

يُعد النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب بلا خلاف، غير أن النحاة لهم رأي آخر فيما يروى عنه إذ اختلفوا في الاحتجاج بحديثه الشريف على ثلاثة مذاهب⁵:

أ- مذهب المنع المطلق: تبناه أئمة البصرة المتقدمون كسيبويه، وابن الضائع، وأبو حيان الأندلسي؛ والسبب هو أن الحديث "مروي بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها"، مما يوقع الشك في لفظه ويعرضه للحن⁶، ويؤكد ابن الضائع هذا بقوله: "تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك

¹ الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص: 18.

² مكانة النثر العربي في الاحتجاج اللغوي ومقارنته بالشعر، محمد رضا عياض وأحمد جلايلي، مجلة الأثر: جامعة قاصدي مرباح (ورقلة) - الجزائر، ع 22، جوان 2015م، ص 111-122.

³ الاستشهاد والاحتجاج باللغة، محمد عيد، مرجع سبق ذكره، ص: 161.

⁴ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، (د. ط)، عام 1997م، ج: 01، ص 6-7.

⁵ الحديث النبوي الشريف في تقعيد النحو العربي، إيكاريزال، مجلة فؤادنا: معهد بوكيتنجي الإسلامي الحكومي، مج 1، ع 1، يونيو 2017م، ص: 71-83.

⁶ الاستشهاد النحوي في شرح ابن زكور الفاسي لحماسة أبي تمام، ياسين سحنوني ومحمد لحياي، المجلة الدولية للدراسات البحثية والعلمية: (IJRSP) عمان - الأردن، مج 4، ع 43، نوفمبر 2022م، ص: 315.

الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ولولا تصريح العلماء بمجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي لأنه أفصح العرب¹.

ب- مذهب الجواز المطلق: ويمثله ابن مالك الذي أكثر من الاستشهاد بالحديث لتأسيس القواعد الكلية، ومن القرائن الكاشفة عن ذلك إثباته لغة (أكلوني البراغيث) بحديث "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار"².

ج- مذهب التوسط: كالشاطبي، الذي أجاز الاحتجاج بالأحاديث القصار التي يُغلب على الظن أنها نُقلت بلفظها ومعناها دون تغيير، "ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حجر، والأمثال النبوية فهذا يصح الاستشهاد به في العربية"³.

4. كلام العرب المنثور

بالرغم من أن النثر (كالخطب والأمثال وأقوال الأعراب) يمثل لغة العرب اليومية الخالية من قيود الضرورة الشعرية، إلا أن النحاة لم يكتفوا من الاحتجاج به مقارنة بالشعر، ويعود السبب إلى الاعتماد الكثيف على الحفظ، حيث كان الشعر هو الأسهل تداولاً وتناقلًا⁴، بيد أن "الأمثال" حظيت بمكانة خاصة؛ لأن العرب لا تستجيز روايتها بالمعنى، بل تنقلها كما قيلت أول مرة، مثلاً، يقال: "الصيف ضيعت اللبن" بكسر التاء دائماً، سواء أكان المخاطب رجلاً أم امرأة، استناداً إلى أصل الحادثة التي قيلت فيها لامرأة، مما يؤكد صرامة حفظها من التغيير⁵.

ومحصلة الكلام، أن النحاة نسجوا قواعدهم بتباين منهجي واضح؛ فبينما أحكم البصريون طوق القياس وضيّقوا السماع، فتح الكوفيون آفاق الاستشهاد والنقل، لتشكل هذه الشواهد مجتمعةً الروح التي تسري في جسد اللغة العربية وتحفظ أصالتها.

¹ حزانة الأدب، البغدادي، ج: 01، ص: 10.

² الحديث النبوي الشريف في تععيد النحو العربي، إيكاريزال، مجلة فؤادونا، معهد بوكيتينيغني الإسلامي الحكومي - إندونيسيا، مج 1، ع 1، جوان 2017م، ص: 38.

³ المرجع السابق نفسه.

⁴ مكانة النثر العربي في الاحتجاج اللغوي، محمد رضا عياض وأحمد جاليلي.

⁵ الشاهد الشعري ومكانته في علوم اللغة العربية، موقع أكاديمية الشنقيطي

ثالثاً: تصنيف الشواهد

تنوعت تصنيفات الشواهد اللغوية والنحوية في المدارس اللغوية وفق معايير استقرائية دقيقة، ودونك أبرز هذه التصنيفات وبيان أقسامها:

1. التصنيف الزمني

والثابت، أن العلماء قسموا الشعراء الذين يُستشهد بشعرهم إلى أربع طبقات زمنية متعاقبة؛ كما مر معنا، الجاهليون، ثم المخضرمون، يليهم المتقدمون أو الإسلاميون، وختاماً المولدون أو المحدثون، وعلى العموم يمكن القول إن القسم الأخير يُمنع الاحتجاج بشعرهم في إثبات قواعد النحو واللغة، إنما يُستشهد بهم في علوم البلاغة (كالمعاني والبيان والبدیع) لأنها "راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، إذ هو أمر راجع إلى العقل"¹.

2. التصنيف الموضوعي والمصدري

وعلاوة على ذلك، صُنف الشاهد باعتبار الحقل المعرفي؛ فيكون شاهداً نحوياً، أو صرفياً، أو معجمياً، أو عروضياً، أو بلاغياً²، وتفسيراً لذلك، فإن الشاهد يُحتج به على صحة لفظ في علم اللغة المعجمية، وعلى صحة بناء في علم الصرف، وعلى صحة تركيب في علم النحو³، بالإضافة إلى ذلك، صُنف الشاهد باعتبار المصدر المستقى منه؛ فإذا أُخذ من القرآن سُمي شاهداً قرآنياً، وشبيه بذلك الشاهد الحديثي النبوي، والشاهد الشعري، والشاهد النثري⁴.

3. التصنيف الوظيفي والبنوي

وفي السياق نفسه، تنوعت الشواهد باعتبار وظيفتها النصية؛ فمنها شاهد إثبات وشاهد نفي بحسب ما يقتضيه السياق، كما انقسمت باعتبار استقلاليتها إلى "شاهد مستقل، وهو ما استقل عن غيره من الشواهد المختلفة"، وشاهد معية أو مؤازر، وهو ما كان القصد منه "بيان لفظ أو معنى موجود في الشاهد قبله"⁵، وقياساً على ذلك، فقد صنف النقاد كابن الأثير الشاهد الشعري من حيث بنيته وحجمه، فمن القرائن الكاشفة عن

¹ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، ص: 06

² الشواهد في الدرس اللغوي العربي: أهميتها، أنواعها، ووظيفتها، مليكة بن عطاء الله، مجلة الذاكرة: جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر، ع 10 (جانفي 2018م)، ص: 84.

³ الشاهد الشعري ومكانته في علوم اللغة العربية، موقع أكاديمية الشنقيطي.

⁴ الشواهد في الدرس اللغوي العربي، مليكة بن عطاء الله، ص: 85.

⁵ المصدر السابق ص: 85.

ذلك: "الشاهد الشطر" المجتزأ من البيت، و"الشاهد المفرد" المقتصر على بيت واحد، و"الشاهد القطعة" المكون من عدة أبيات متتالية لتعزيز الإقناع، وصولاً إلى "الشاهد المجل" الذي يُشير إلى قصيدة أو معنى دون إيراد النص حرفياً¹

لذا يمكن القول بأن تصنيف الشواهد خضع لترسانة من الضوابط التي حاكمتها عبقرية النحاة؛ صوناً للغة العرب، وتأسيساً لقواعدها على متون صافية دقيقة وموثقة.

رابعاً: أبرز المصادر والمصنفات في الشواهد

حظيت الشواهد اللغوية بعناية فائقة في المدونات العربية، وتطورت حركة التأليف فيها من مجرد الجمع الضمني داخل بطون الكتب، إلى الأفراد والتصنيف المستقل، ويمكن تقسيم المصادر والمصنفات التي وثقت الشواهد إلى ثلاثة مراتب كما يلي:

1. مدونات التأسيس:

وتعني هذه المدونات بالجمع الضمني للشواهد يبرز في طليعتها كتاب سيبويه بوصفه أعظم وأول مدونة نحوية استوعبت الشواهد، إذ إنه يلقب بدستور النحو العربي، وقد مر معنا أن هذا السفر العظيم قد حوى أكثر من أربعمئة آية قرآنية، وما يزيد عن ألف وخمسين بيتاً من الشعر².

2. مصنفات التنظير والتأصيل:

وتعني هذا المصنفات بقواعد الاستشهاد، وقد صنف فيها العلماء كتباً صب جل اهتمامها بتنظير قواعد الاحتجاج بالشواهد، ومن تلك المصنفات (الاقتراح في أصول النحو وجدله) للإمام السيوطي، الذي دشن به "التناول المباشر والواضح لقضية الاستشهاد"، يليه في هذه الأهمية النظرية والتطبيقية كتاب "خزانة الأدب" لعبد القادر البغدادي³.

3. مصنفات شروح الشواهد

أدرك المتأخرون ضرورة إفراء شواهد أمهات الكتب النحوية بشروح مستقلة لبيان غوامضها، وعلى سبيل الذكر لا الحصر نورد الآتي⁴:

¹ منهج ابن الأثير في تناول الشاهد الشعري المثل السائر أنموذجاً، عبد الرحمن رجاء الله السلمي، مجلة كلية الآداب واللغات: جامعة محمد

خضير بسكرة، ع 19، جوان 2016م، ص 248-252

² الشواهد الشعرية في شعر عبد الله بن رواحة، ص 44

³ الاستشهاد النحوي في شرح ابن زاكور الفاسي لحماسة أبي تمام، ص: 09

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص 09-10.

- شروح شواهد سيبويه: نهض بشرحها كلاً من أبي جعفر النحاس، وأبي سعيد السيرافي، في كتابيهما اللذين يحملان العنوان ذاته "شرح أبيات سيبويه".
- شروح شواهد الألفية (لابن مالك): صنف فيها الإمام العيني مدونته الكبرى "المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى"، وبالمقابل شرح محمد قطة العدوي السكندري شواهد ابن عقيل في مصنفه "فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل".
- شروح شواهد متون ابن هشام: خصص السيوطي لشواهد المغني كتابه "شرح شواهد المغني"، وكذلك فعل عبد القادر البغدادي في "شرح أبيات مغني اللبيب"، بينما انبرى محمد علي الفيومي لشرح كتاب "شرح شواهد شذور الذهب".
- شروح شواهد متفرقة: قس على ذلك ما فعله ابن السيد البطليوسي في شرح شواهد الزجاجي عبر كتابه "الحلل في شرح أبيات الجمل"، وما قدمه البغدادي من شرح لشواهد "شرح الرضي على الكافية" ضمن موسوعته خزانة الأدب.

4. المعاجم المعاصرة المتخصصة في الشواهد

وأما في العصر الحديث فقد اتجه الباحثون إلى استقراء هذه الشواهد ورصدها في معاجم دقيقة الترتيب، ومما ألفه المحدثون في هذا الباب نجد: "معجم شواهد العربية" لعبد السلام هارون، و"معجم الاستشهادات" لعلي القاسمي، بالإضافة إلى ذلك، وضع حنا جميل حداد "معجم شواهد النحو الشعرية"، وجمع محمد محمد حسن شراب كتابه الموسوم بـ "الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية".

فخلاصة الكلام في هذا أن حركة التأليف في الشواهد بدأت بتدوين متناثر في بطون أمهات الكتب، وتدرجت لتبلغ قمة النضج عبر شروح مستقلة ومعاجم متخصصة، والغاية من ذلك كله هي خدمة النص اللغوي وضبط مساراته.

الماضرة التاسعة: مصادر أسرار اللغة وخصائصها

ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى سبر أغوار "فلسفة اللغة" وتجاوز القواعد الجافة نحو استكشاف المنطق الداخلي والارتباط العميق بين اللفظ والمعنى، نبين من خلالها الفرق المنهجي بين تقعيد البنية وبين البحث في "الأسرار" التي جسدها ابن جني في رفع العلل إلى رتبة الفلسفة، ونعرج على دقة التسميات والمسميات التي بلغت ذروتها في اللغة العربية، لنصل إلى حقيقة مفادها أن الوصول إلى كنه العربية يقتضي تجاوز سطح القاعدة إلى عمق العبقرية اللغوية، فهل تُعد العربية لغة تواصلية فحسب أم أنها نظام كوني متكامل؟

تمهيد:

تمثل اللغة العربية ظاهرة حضارية وفلسفية تتجاوز كونها مجرد أداة تواصلية؛ إذ إنها وعاء فكري تشكل عبر آلاف السنين ليعكس أدق تفاصيل العقل العربي ورؤيته للكون، لذا فإن البحث في أسرارها يقتضي الغوص في تراث لغوي هائل، وضعه أئمة سعوا إلى رصد الظواهر المتعلقة بها ثم تحليلها واستنباط القوانين الكامنة وراءها.

أولاً: أسرار اللغة

المقصود بها هو تجاوز القواعد النحوية الجافة نحو فهم الفلسفة اللغوية، والمنطق الداخلي المتناسك لها، والتناسب الدقيق بين الألفاظ والمعاني، ومن القرائن الكاشفة عن ذلك، ما أسسه الإمام عبد القاهر الجرجاني في نظرية "النظم"، حيث بين أن البلاغة تكمن حصراً في تآلف الكلمات وتوخي معاني النحو؛ إذ يقرر قائلاً: "واعلم أن معاني الكلم لا تتصور إلا فيما بين شيئين الأول هو الخبر"¹، ومن خلال هذا فقد برزت عناية العلماء بالربط بين أصل اللغة وخصائصها التعبيرية الفائقة على أداء أدق المعاني، وهو ما يُعزى إلى التناسب العميق بين اللفظ والمعنى.

فعلى سبيل المثال، بحث ابن جني في المناسبة بين اللفظ وحروفه، أي استخدام الحروف الشديدة للتعبير عن المعاني الثقيلة، كما برز مصطلح "فقه اللغة" عند ابن فارس والثعالبي للربط بين أصل اللغة وخصائصها التعبيرية، ومن الدلائل أيضاً نذكر قدرة العربية الفائقة على التعبير عن أدق المعاني بأوجز الألفاظ، وهو ما أسماه الثعالبي بعبقرية لغة الضاد وسرها في كتابته فقه اللغة وسر العربية.

¹ دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: 01، ص: 526.

ثانياً: الفرق الدقيق بين التأليف في النحو والصرف والتأليف في خصائص العربية وأسرارها

يبرز الفرق المنهجي الدقيق بين التأليف في "النحو والصرف" والتأليف في "خصائص العربية وأسرارها"، في أن التأليف النحوي والصرفي معني بضبط القواعد الظاهرية وهيكل الكلمة، بينما يبحث التأليف في الخصائص في جوهر اللغة وعللها الفلسفية العميقة، ويعتبر كتاب "الخصائص" لابن جني نموذجاً فريداً في هذا المقام؛ لكونه خرج عن مفهوم التأليف من أجل التقعيد النحوي والصرفي إلى بعد آخر يتمثل في الرؤية الفلسفية المتكاملة، وهذا هو الهدف المنشود من تأليف الكتاب "ورفعُ العلل النحوية التي كانت مضرب المثل في الضعف إلى مرتبة العلل الكلامية"¹.

ومن أجل التوضيح أكثر، فقد أدرك أئمة العربية أن قواعد الإعراب والاشتقاق ليست مجرد حركات شكلية، فابن جني علل ذلك بقوله: "والإعراب ليست حليةً لفظيةً أو علاماتٍ لا تفيد معنى، إذ هناك ارتباطٌ وثيقٌ بين الإعراب والمعنى"²، لهذا حذر عبد القاهر الجرجاني بصرامة من إهمال هذا العمق النحوي والفلسفي للغة، معتبراً التخلي عنه جناية علمية، حيث قال: "وأما زهدهم في النحو، واحتقارهم له، وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك شنيع، وأشبه بأن يكون صدّاً عن كتاب الله وعن معرفة معانيه"³، وعليه فإن اللغة العربية تتوازن بين قوتين متعاكستين بحثهما علماء اللغة بدقة بالغة، وهما: "قوة التقلص المتأتية من قيود الاستعمال الجماعي، وقوة الانتشار الناتجة عن مرونة القياس"⁴، وكنتيجة لذلك فإن النفاذ إلى أسرار العربية يقتضي تجاوز سطح القاعدة إلى عمق الفلسفة وعبقورية الوضع اللغوي.

ثانياً: أبرز المباحث في كتب أسرار اللغة

أدرك اللغويون أن للعربية منطقاً داخلياً متماسكاً يتجاوز القواعد السطحية، ولهذا أفردوا مباحث متخصصة لاستنطاق هذا الإعجاز، لذا فإن من أبرز المباحث الدقيقة المتعلقة بهذا الشأن ما يلي:

1. مناسبة الحروف لمعانيها (الرمزية الصوتية)

من المؤكد أن العرب لم تضع ألفاظها عبثاً، بل راعت التناسب الدقيق بين جرس الحرف وطبيعة المعنى المراد التعبير عنه؛ وقد خصص أبو الفتح عثمان ابن جني في كتابه أبواباً لهذا الغرض، مبيناً أنه بالرغم من أن الحروف

¹ قراءة في فكر ابن جني من خلال الخصائص على ضوء علم اللغة الحديث، محمد وليد حافظ، مجلة التراث العربي: اتحاد الكتاب العرب - دمشق، ع 25-26، أكتوبر 1986م، ص 30-43.

² المرجع نفسه

³ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ج: 01، ص: 18

⁴ قراءة في فكر ابن جني، محمد وليد حافظ.

واحدة غير متجاوزة، لكن من وراء هذا ضرب غيره، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني، ومن الأمثلة على ذلك استدلاله بالآية الكريمة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرْزًا﴾؛ إذ بين سر اختيار حرف الهمزة القوي على حرف الهاء الأضعف، قائلاً: كأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة وتقلقهم فهذا لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، والأمر نفسه ينسحب على مبدأ مراعاة صفات الرخاوة والصلابة في الحروف، نحو التفريق بين "خضم" و"قضم"؛ حيث علل ابن جني ذلك بقوله: "فاخضم لأكل الرطب كالبطيخ وما كان نحوه من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: (...) فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس"².

2. الاشتقاق الأكبر

يليه مبحث الاشتقاق الأكبر الذي يمثل ذروة التحليل الصرفي والدلالي، وهو مبحث أقر ابن جني بفضل أستاذه أبي علي الفارسي في لفت الانتباه إليه، والمقصود بذلك "أن تأخذ أصلاً من الأصول فتقعد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً يجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه"³، على سبيل المثال، استنبط ابن جني من تقاليب المادة الثلاثية (ق و ل)، وهي: (قول، قلو، لوق، لقو، ولق، وقل)، رابطاً دلاليّاً واحداً، حيث أدار "تقاليب القول الستة على الإسراع والخفة"⁴، بيد أن ابن جني أقر بأنه لا يطرد في جميع كلام العرب، قائلاً: "واعلم أنا لاندعى أن هذا مستمر في جميع اللغة"

3. دقة التسميات والمسميات

تجدر الإشارة إلى قدرة اللغة العربية المعجزة على تسمية المسميات وتدقيق دلالاتها، فالعرب "فاقوا في ذلك سائر أمم الأرض، ففي لغتهم للسنة 24 اسماً، وللنور 21 اسماً، وللظلام 52 اسماً، وللشمس 29 اسماً، وللشباب 50، وللنور 64، وللبر 88، وللماء 170 اسماً، وللبن 13 اسماً، وللعلل نحو ذلك، وللخمر مئة اسم، وللأسد 350 اسماً، وللحبة مئة اسم ومثل ذلك للجمل، أما الناقة فأسمائها 255 اسماً، وقس على ذلك أسماء الثور والفرس والحمار وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوفة عند العرب، وأسماء الأسلحة كالسيف والرمح وغيرها"⁵.

¹ ينظر: الخصائص، ابن جني، ج: 02، ص: 147.

² فاعلية الاشتقاق اللغوي في وضع المصطلح: الاشتقاق الإبدي نموذجاً، ممدوح محمد خسارة، مجمع اللغة العربية بدمشق، (ضمن أعمال المؤتمر السنوي الثالث: واقع اللغة العربية في العصر الحديث)، دمشق - سوريا، عام 1425هـ - 2004م، ص: 20

³ الخصائص، ابن جني، ج: 02، ص: 136.

⁴ دراسة الاشتقاق الأكبر في اللغة العربية، سائره كل وحفصه بيبكم، مجلة تهذيب الأفكار، جامعة عبد الولي خان مردان - باكستان، مج 3، ع 1، جانفي - جوان 2016م، ص: 167-178.

⁵ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان (ت 1914م)، دار الهلال: القاهرة، ط1، عام 2026م، ص: 45

وللتوضيح، نذكر دقة العرب في تمييز أصوات المريض وتدرجها؛ إذ "إذا أخرج المكروبُ أو المريض صوتاً رقيقاً فهو الرّنين، فإذا أخفاه فهو الهتين، فإذا أظهره فخرج خافياً فهو الحنين، فإذا زاد فيه فهو الأنين، فإذا زاد فيه فهو الحنين"¹، كما تفننوا في تسمية مراتب الحب العاطفية صعوداً بحسب تمكنه من النفس الإنسانية؛ فبدأوا بـ "العلاقة، وهي الحب اللازم للقلب؛ ثم الكلف، وهو شدة الحب؛ ثم العشق... ثم الشغف، وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب؛ ثم الجوى... ثم التيم، وهو أن يستعبده الحب؛ ثم التبل، وهو أن يسقمه الهوى؛ ثم الهيوم، وهو ذهاب العقل من الهوى"²، إن هذه المباحث مجتمعة تبرهن بلا تحفظ على أن اللغة العربية نظام فلسفي متكامل يحكم سياسة الألفاظ، وليست مجرد أداة تواصلية، كما أنها تزوج بين دقة الملاحظة الحسية وعمق الرؤية النفسية والكونية.

ثالثاً: أمهات المصادر التي قعدت لأسرار اللغة العربية

1. ابن جني وكتابه الخصائص

يمثل كتاب "الخصائص" لأبي الفتح عثمان بن جني ذروة النضج الفلسفي في التراث اللغوي، إذ يعد من أهم الكتب العربية التي ناقشت مسائل في بنية اللغة وفقهاها، فأن ابن جني لم يكتفِ بجمع المادة اللغوية، بل "ألف ابن جني كتاب الخصائص لبحث النظام العام للغة... وأوضح أن هدفه تأسيس أصول للنحو على غرار أصول الفقه، ورفعُ العِلل النحوية التي كانت مضرب المثل في الضعف إلى مرتبة العِلل الكلامية"، كما أثار ابن جني قضايا فلسفية عميقة، ومنها مسألة نشأة اللغة؛ حيث "تطرق إلى أصل اللغة أوجي هي أم اصطلاح، ولم يجزم بوحدة منهما تماماً، وقيل بنظرية ثالثة هي نظرية الأصل الطبيعي"، وفيما يخص أغلاط العرب وتطور الاستعمال، فإنه "يحذّر ابن جني من أن الخطأ إذا تكرر توّطد" كما أفرد مساحة واسعة لبيان مرونة التعبير العربي، حيث أكد الباحثون أنه "ولا بد أن نضيف إلى ما سبق باباً واسعاً في الخصائص سماه المؤلف "شجاعة العربية" يعني بها الحذف والفصل والتفريق والتقديم والتأخير"، أما فيما يتعلق بارتباط هذا السّفر العظيم بالدراسات القرآنية، فإن ابن جني وظف هذه القوانين اللغوية لخدمة النص القرآني وتوجيه قراءاته، من خلال "توظيفه للقراءات القرآنية الشاذة في كتابه "المحتسب" لأن هذه القراءات لهجاتٌ تكلمت بها مجموعات بشرية... وأكمل بهذا صنيع أستاذه أبي علي الفارسي الذي وجّه القراءات السبع في كتابه: الحجة"³، وبذلك يمكن القول بأنه يعد بحق إماماً فذا يحتاج إلى من يمضي وراءه، ويبني على أبحاثه.

¹ فاعلية الاشتقاق اللغوي، ممدوح محمد خسارة، ص: 11

² تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج: 01، ص: 148.

³ ينظر: قراءة في فكر ابن جني، وليد حافظ

2. الثعالبي وكتابه فقه اللغة وسر العربية

برز أبو منصور الثعالبي بمصنفه الذي تجاوز حدود الجمع المعجمي، إذ أقر مختلف الباحثين بأن كتابه "تضمن قسماً ثانياً هو (سر اللغة) تناول فيه عدداً من الموضوعات الخاصة ببناء الجملة"¹، ومما لا شك فيه أن هذا القسم هو الذي أضفى على الكتاب قيمته الفلسفية، وقد تجلّى منهجه في إبراز عبقرية التعبير العربي من خلال رصد أساليب العرب في الكناية والمبالغة، وعلى وجه الخصوص ظاهرة النحت.

3. ابن سنان الخفاجي وكتابه سر الفصاحة

ظهر ابن سنان الخفاجي لينتقل من البحث في أسرار اللغة بالخصوص دائرة فقه اللغة والمعجم، إلى آفاق النقد والبلاغة، وقد تجلّى هذا التحول المنهجي عندما بدأ العلماء بتأسيس معايير دقيقة لجماليات النص، ومنه ظهر الكتاب الشهير "سر الفصاحة" ومما لا غرو فيه أن تأليفه جاء في مرحلة فاصلة، إذ وحتى هذا التاريخ لم يفرق علماء اللغة بين البيان والبديع والبراعة والفصاحة، ويعتبرون هذه المصطلحات شيئاً واحداً، ولقد اعتمد الخفاجي ومن سار على نهجه معياراً دقيقاً للفصاحة ينطلق من التحليل الصوتي ومخارج الحروف، حيث إن الائتلاف الصوتي الذي يقصد به حسن توظيف الحروف في التأليف وانتقائها بما يناسب المعنى².

¹ الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة (أو فقه اللغة)، حاتم صالح الضامن (ت 1434هـ - 2013م)، دار ابن كثير: بيروت/دمشق، ط1، عام 2016م، ص: 15.

² تشكل علم المعاني بين تنظير الجرجاني وتطبيق الزمخشري، حمرا العين عبد الهادي.

المحاضرة العاشرة: مصطلح تكوين تاريخ الأدب العربي

ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى تتبع المسار الدلالي لمصطلح "الأدب" من مأدبة الطعام الجاهلية إلى صبغته التعليمية والفنية المعاصرة، وفيها نسعى للتمييز المنهجي بين تدوين اللغة لحفظ الوحي، وتدوين الأدب لصقل الذوق، نوضح مناهج القدماء في التصنيف، ثم نعرض على التدوين الحديث الذي استلهم من المستشرقين المنهج التاريخي، ورغم دقة هذا التوثيق الأكاديمي، إلا أنه يطرح إشكالية تغليب السياق التاريخي على الجماليات الفنية الخالصة للنصوص، فهل جنى التقسيم السياسي للأدب على قيمته الفنية والجمالية؟

أولاً: تحرير المصطلحات وتطورها

1. تطور دلالة مصطلح الأدب:

إن المفاهيم تتطور بالتزامن مع تطور المجتمعات، ومثله مثل مصطلح الأدب، الذي يظهر من خلال تتبع مساره الدلالي، أنه دلالاته لم تكن ثابتة، بل تنقلت من معان شتى، أما دلالاته الثابتة في بدايته الأولى فقد ارتبطت بالسلوك الاجتماعي، ثم أخذ المعنى في التطور تدريجياً، "ارتبطت كلمة الأدب في الجاهلية بالدعوة للطعام، وفي الإسلام ارتبطت بالدعوة لتهديب الأخلاق وتقويمها. واستمر هذا المعنى مع ظهور معنى جديداً هو المعنى التعليمي حيث ارتبطت الكلمة بالمؤدبين والمعلمين للأخلاق والشعر والأخبار والأيام"، وقد أثمر هذا المعنى التعليمي التهذيبي مصنفات عديدة، منها كتب كالأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع (ت 142 هـ) وأدب الكاتب لابن قتيبة (ت 276 هـ) وأدب النديم، ثم "توسعت كلمة أدب لتشمل مجموعة من العلوم والمعارف فأصبحت تدل على الشعر والنثر والأخبار والأيام والأخذ من كل علم بطرف¹ لتصبح في الأخير كلمة الأدب تطلق بشكل صريح على الشعر والنثر.

2. الفرق بين التدوين اللغوي والتدوين الأدبي

لأن لكليهما غايات متباينة بالرغم من تداخلهما في البدايات، غير أن الهدف من تدوين اللغة يهدف أساساً إلى الضبط والتقعيد، ويعود السبب إلى الخوف من ضياع لغة القرآن، و"سبب وضعه كان هو حفظ الدين فبعد انتشار اللحن بين العجم والعرب خاف المسلمون من ضياع معاني القرآن وألفاظه فشمروا لوضع شيء يحفظ كتاب ربهم"² وهذا يؤكد أن الغاية كانت دينية ولغوية بحتة، قصد حماية النص القرآني.

¹ تاريخ الكتابة والتأليف عند العرب، بوطاهر بوسدر، موقع شبكة الألوكة، تاريخ النشر: 2017/12/10م

² من تاريخ النحو العربي، سعيد الأفغاني (ت 1417هـ)، مكتبة الفلاح، ص: 29.

وبالمقابل، اختلف تدوين "الأدب" في غاياته، حيث أن العناية بالشعر والنثر انتقلت من كونها أداة لغوية إلى غاية فنية خالصة، وفي بداهة المعلوم أن العرب اعتنوا بالشعر بوصفه ديوانهم، إلا أن منهجية التدوين تطورت، فتحول جمع الشعر في البداية للاستشهاد به في تفسير القرآن ووضع قواعد اللغة، لكنه سرعان ما بدأ يجمع لذاته¹، كما اتجه تدوين الأدب إلى العناية بالذوق والنقد، وهو ما يظهر بجلاء في تصنيفات الكتب الأدبية الخالصة مثل كتاب "البيان والتبيين" الذي يُعد واحداً من أشهر كتب الأدب العربي الذي يعلم الذوق ويصقل الفكر وينبه الخاطر ويوسع المدارك²، ومن خلاله برز دور النقد الأدبي المتخصص في تدوين المادة الأدبية، إذ ميّز النقاد بين علوم اللغة وصناعة الأدب، مما ترتب عن ذلك وضوح الهدف من تدوين الأدب إذ ارتبط بالنقد الفني وتاريخ الثقافة وصقل الأذواق، بينما انحصر تدوين اللغة في الضبط اللساني والقواعد.

ثانياً: مناهج التصنيف الأدبي عند القدماء:

سلك العلماء في تدوين الأدب مسالك شتى، تجلت في مناهج أبرزها:

1. منهج الطبقات والبيئة:

هذا المنهج يُعنى بتصنيف الشعراء استناداً إلى الجودة الفنية والبيئة، وهو أول المناهج النقدية والتاريخية، ويركز على تصنيف الشعراء حسب الجودة الفنية والبيئة المكانية، ويمثل كتاب "طبقات فحول الشعراء" الانطلاقة الفعلية لهذا المضمار، وأما الطبقات فقد بدأ التأليف فيها مع محمد ابن سلام الجمحي (ت 232هـ) فهو الذي جمع ونظّم كلام من سبقوه في طبقات الشعراء، ولاشك أن تصنيف الشعراء في طبقات هو في جوهره عمل نقدي، ولم يقتصر منهجه على الجمع فقط، بل تجاوزه إلى النقد والفرز، حيث حفظت لنا هذه المؤلفات الإبداع الشعري³.

2. منهج التراجم والأخبار

ويرتكز هذا المسار على ربط نتاج الشاعر بحياته وأخباره، ومن الكتب المترجمة لهذا المنهج كتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة الدينوري، وتميز ابن قتيبة بمنهجية محكمة تبتعد عن الحشو، كما أسس لتقييم نقدي يربط بين الصياغة والمعنى، لذا "نجد ابن قتيبة في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء" يسوي بين اللفظ والمعنى"⁴.

¹ ينظر: تاريخ الكتابة والتأليف عند العرب، بوطاهر بوسدر.

² مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 171

³ ينظر: تاريخ الكتابة والتأليف عند العرب، بوطاهر بوسدر.

⁴ علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع: القاهرة، ط 4، عام 1436هـ - 2015م، ص: 38.

3. منهج الموسوعات الشاملة

ويبرز منهج الموسوعات الشاملة كخاتمة لسير تدوين الأدب العربي، وهو الاتجاه الذي دمج الأدب بالتاريخ وأخبار المجتمع والمغنين، ومن أبرز معالمه كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، وهذا النمط من التأليف نجد أنه قد استوعب جوانب متعددة من حياة العرب؛ "منها القصص الاجتماعية والغرامية والبطولية ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني"¹ هذا وإن هذا السفر الجامع يُعد وثيقة أدبية زاخرة.

ثالثاً: منهج التدوين الأدبي الحديث

إن الكتابة التاريخية للأدب في العصر الحديث قد شهدت تحولات عميقة، وهذا راجع إلى التمازج المعرفي، وانتشار المنهج الأكاديمي المعاصر، فكتابة الأدب قد شهدت نقلة نوعية في زمننا المعاصر من حيث الأسس والآفاق، وهذا يرجع بالأساس إلى الحملات الاستعمارية على البلدان العربية، والاستعانة بالمستشرقين في التدوين.

1. بين المستشرقين والمحدثين عن القدماء في التأريخ للأدب.

التساؤل الذي يطرح في هذا الباب: كيف اختلف المستشرقون والمحدثون عن القدماء في التأريخ للأدب؟ إذ من المؤكد أن المستشرقين أسسوا لمنهجيات متكاملة؛ أملت عليها الظروف الاجتماعية التي تعاقبت على بلدانهم فعلى سبيل المثال، برز المنهج التاريخي الذي يعتمد على مبدأ أساسي مفاده أن الأدب لا يفهم إلا من خلال ظروفه التاريخية والاجتماعية والسياسية، أي أن النص الأدبي مرآة لبيئته، يُعبّر عن ذهنية العصر الذي ولد فيه، ومن هذا المنطلق، درس المستشرقون الأدب العربي باعتباره ظاهرة زمنية لا جمالية خالصة، مما جعل تركيزهم موجهاً نحو رصد المراحل والتطورات أكثر من تحليل المعاني الفنية، ومن مخرجات هذا المنهج برزت جهود بعض المستشرقين أمثال "كارل بروكلمان" في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، حيث وقد برع في تطبيق هذا المنهج في مؤلفه الضخم تاريخ الأدب العربي، الذي يُعد حتى اليوم من أهم المراجع الببليوغرافية في الدراسات العربية، وفيه قام بجمع آلاف المؤلفات العربية وتصنيفها، محدداً مؤلفيها ومواطنها والعصور التي تنتمي إليها، مع تقديم نبذة تاريخية عن كل مرحلة من مراحل تطور الأدب العربي منذ العصر الجاهلي إلى العصور الحديثة².

¹ الأدب العربي عبر العصور (الشعراء والأدباء: الخصائص والميزات)، محمد محمود كالو، جامعة أديامان: كلية التربية - تركيا، (د.ط)، عام 2017-2018م، ص 22.

² ينظر: مناهج المستشرقين، نور الهدى غرابية، مطبوعة بيداغوجية ضمن مقياس: الأدب العربي والاستشراق، جامعة محمد خيضر - بسكرة: كلية الآداب واللغات (قسم الآداب واللغة العربية)، السنة الثالثة ليسانس، عام 2025-2026م.

في الجانب الآخر نجد أن المحدثون العرب تأثروا بهذه الرؤية الاستشراقية الأكاديمية ونقلوها إلى الجامعات، ومرد ذلك إلى الانفتاح على مناهج البحث الغربية، ويعد الدكتور طه حسين يُعد رائد هذا المضمار بعد دراسته على أيدي المستشرقين في الجامعة المصرية، حيث "تعرف" طه حسين "على المنهج التاريخي بعد التحاقه بالجامعة المصرية سنة 1908 - التي استعانت ببعض المستشرقين الذين ادخلوا المنهج التاريخي إلى الفكر النقدي العربي الحديث : أمثال (نلينو، جويدي، فييت)" ، ثم ازداد تعمقا بهذا المنهج بسفره إلى فرنسا وتأثره بنقاد أمثال "هيبوليت تين" و"غوستاف لانسون"¹، وتأثرا بهذا فإن المحدثين اصطنعوا الشك الديكارتى وربطوا الأدب بالبيئة والزمان والجنس، مفارقين بذلك منهج التراجم والطبقات القديم الذي كان يعنى بالصنعة اللفظية والأخبار المفردة.

2. المنهج التاريخي وتقسيم الأدب العربي إلى عصور سياسية/تاريخية

برزت فعالية المنهج التاريخي لدى المستشرقين، وصار واضحا دورهم في التوثيق الشامل للتراث العربي؛ إذ ساهموا بفعالية في حفظ عدد هائل من المخطوطات التي كادت تضيع، وذلك عبر بوابات التحقيق والفهرسة والترجمة. كما أدى مسلكهم إلى تأسيس علم تاريخ الأدب العربي وفق رؤية علمية لتطور الأدب عبر مراحل المختلفة، الأمر الذي مهد الطريق لاحقاً أمام النقاد العرب لوضع مصنفاتهم، وبالموازاة مع ذلك نجح هذا المنهج أيضا في إبراز العلاقة الوطيدة بين الأدب والمجتمع، كاشفاً عن تفاعل النص مع ظروف بيئته السياسية والدينية والفكرية، ولا مناص من القول إن إتاحة المصادر العلمية الرصينة، كفهارس بروكلمان، قد شكلت مرجعاً لا غنى عنه للباحثين العرب في سبر أغوار تراثهم وتوثيق حلقاته.

وعلى النقيض من ذلك فإن المتعمق في هذا المنهج يدرك سلبياته خاصة في اقتصره غالباً على الجانب التوثيقي؛ حيث يعزى الأمر في قصور بعض الدراسات إلى التركيز على جمع النصوص دون تحليلها فنياً، مما صيرها أقرب إلى الفهارس منها إلى النقد الأدبي الأصيل، ومن القرائن الكاشفة عن هيمنة الرؤية الاستشراقية إخضاع الأدب العربي أحياناً لمعايير أوروبية محضة في الحكم على القيمة، مما أدى إلى تهميش الخصوصية الثقافية العربية وإغفال الأبعاد الجمالية والرمزية للنصوص؛ إذ ساد اعتقاد لدى بعضهم بافتقار هذا الأدب إلى الابتكار وحصره في دائرة محاكاة الماضي، وفي الاتجاه نفسه، وقعت بعض الدراسات في خلط منهجي بين التاريخ والأيدولوجيا، متخذة من المنهج التاريخي وسيلة لإثبات تفوق الفكر الغربي، وهو ما تجلّى بوضوح في طروحات بعض الكتاب الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر².

¹ ينظر: المنهج التاريخي عند طه حسين بين التأسيس النظري والممارسة التطبيقية، عماد شارف، مجلة آفاق علمية: المركز الجامعي

لتامنغست - الجزائر، ع 10، جوان 2015م، ص: 55

² مناهج المستشرقين، نور الهدى غرابة. مرجع سابق

ورغم تلك المآخذ المنهجية، فإن الأدوات والأطر التنظيمية التي أرساها المستشرقون قد تركت أثراً عميقاً في الوعي النقدي العربي الحديث؛ إذ استلهم الباحثون العرب من تلك الجهود فكرة الحقب الزمنية، ليتبلور بذلك المنهج التاريخي (الزماني) العربي القائم على تقسيم الأدب وفق عصور سياسية، والمعروف أن هذا المنهج الذي يُعرف بـ"النظرية المدرسية أو التقليدية"، التزم بربط الأدب بالتاريخ السياسي للأمة، فاصطلحوا على أن يقسموه على حسب العصور التاريخية والانقلابات الاجتماعية، واتفق أكثر كتابنا على أن يقسموا تاريخ أدبنا إلى خمسة أعصر: عصر الجاهلية - عصر ابتداء الإسلام - عصر الدولة الأموية - عصر الدولة العباسية والأندلسية - عصر الدول المتتابعة إلى هذا العهد¹، وقد تبني هذا التقسيم أقطاب النهضة أمثال حسن توفيق العدل، وجرجي زيدان، وأحمد حسن الزيات، وأحمد أمين، فصار تقسيماً مدرسياً شبه مقدس.

¹ نظريات في دراسة المنهج الأدبي، السيد عبد الحليم محمد حسين، شبكة الألوكة: قسم حضارة الكلمة (أدبنا - دراسات ومقالات نقدية)، تاريخ النشر: 15 جانفي 2012م.

المحاضرة الخامسة عشرة: أمهات كتب الأدب (1) دراسة في كتاب "البيان والتبيين" و"الأمل"

ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى استجلاء المقصود من "أمهات المصادر الأدبية" بوصفها الأصول التأسيسية التي قامت على مبدأ الشمول المعرفي والأخذ من كل شيء بطرف، سنشرع في استعراض عبقرية أشهر كتاب العرب، ونقف عند دوافع تأليفه لكتبهم، ونتنقل بين مختلف محطات حياتهم العلمية والتاريخية، لنذكر أن هذه الدواوين شكلت أركاناً جليلة استوعبت الثقافة العربية في أزهى عصورها، وصارت مرجعاً لا غنى عنه لصقل الأذواق وتوثيق شوارد اللغة وأخبار العرب، فهل يكمن سر تسميتها بالأمهات في شموليتها المعرفية أم في ريادتها المنهجية؟

تمهيد

عرفت حركة التأليف والتدوين نشاطاً كبيراً في، توالى المؤلفات في شتى ضروب الثقافة والأدب، وبرز في هذه الساحة أعلام في فن الكتابة الأدبية، ولم تتوقف إسهاماتهم الأدبية عند حدود الدولة العربية، وإنما ترجمت آثارهم إلى لغات العالم، وكان لها تأثير كبير في إثراء الأدب العالمي، عدت لاحقاً هذه الكتب أمهات المصادر الأدبية، ونعني بها الأصول التأسيسية التي تعتمد على مبدأ الشمول المعرفي في نقل التراث والعربي لغة وأدباً، إذ "جمعت بين دفتيها قدراً هائلاً من المعارف العربية؛ في حدود ما كان مفهوماً من الأدب من أنه الأخذ من كل شيء بطرف"¹، ومفهوم الأدب هو "حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف"²، وقد تحدت أركان فن الأدب في أربعة مصنفات جليلة؛ يوردها ابن خلدون بقوله: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرّد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"³، وإنما سُميت هذه الكتب بـ "الأمهات"، لأنها تعتبر هذه بمنزلة الأمهات التي تفرعت منها جميع المؤلفات الأدبية اللاحقة، وبالرغم من أن بعض هذه المصنفات قد يغلب عليه الاهتمام بفرع بعينه، بيد أن الطابع العام فيها بقي خاضعاً لمبدأ الأخذ من كل شيء بطرف؛ مما رسخ مكانتها وريادتها كأمهات حاويات لشتى فنون الثقافة والأدب.

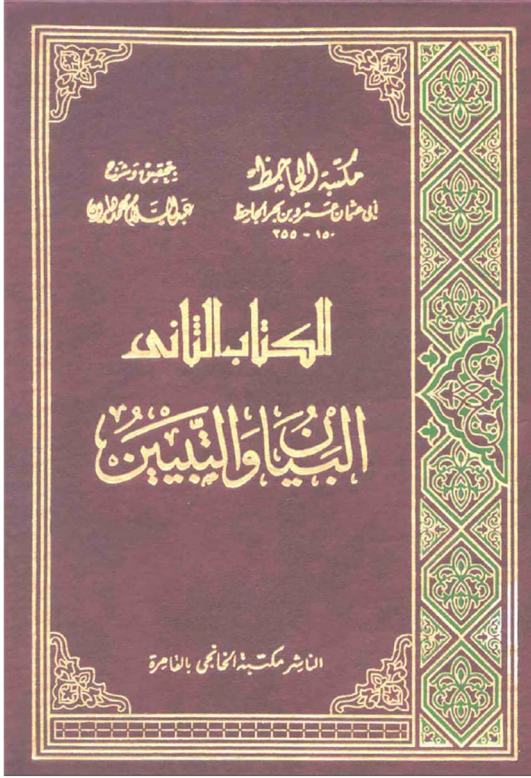
¹ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب: القاهرة، ص: 131.

² حركة التأليف عند العرب، أحمد الطرابلسي، مطبعة الجامعة السورية: دمشق، ط1، عام 1956م، ص: 115.

³ المصدر نفسه، ص: 116.

الكتاب الأول: البيان والتبيين للجاحظ

1. ترجمته:



بل أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني اللبني البصري المتكلم المعتزلي، اشتهر بالجاحظ الجحوظ كان في عينيه، أديبٌ كبيرٌ وُلِدَ في البصرة ونشأ وتعلّم فيها. قال عنه الذهبي: "كان واسع النقل كثير الاطلاع، من أذكيا بني آدم وأفرادهم وشياطينهم"¹، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ مولده، فمنهم من قال إنه وُلِدَ عام 150هـ كما ذكر الحموي، ومن هم غير ذلك، فإنهم اتفقوا على تاريخ وفاته، وهو سنة 255هـ²

ولد الجاحظ بالبصرة حاضرة العلم والأدب في ذلك العصر الموسوعي عصر تمازج الثقافات واتساع حركة النقل والترجمة والتأليف³، وامتدّ به العمر حوالي 96 سنة، عايش فيها عددا من الخلفاء بدءاً من الخليفة المهدي مروّراً بالخليفة المأمون، حيث شهد خلاله ما وصل إليه المعتزلة من مكانة سياسية وثقافية مرموقة، كما شهد زوال عزّهم في عصر الخليفة المأمون، وتوفي في عصر الخليفة المهدي بالله، بعد أن مرض بالفالج والنقرس في عصر المستنصر والمستعين بالله⁴.

لم يكن الجاحظ رجلاً عادياً كعامة الناس بل كان يتمتع بمقدرة عقلية تستوعب كل أنواع العلم والمعرفة، كما أنه كان من أوفر علماء المسلمين تأليفاً فقد بلغت مؤلفاته ثلاثمائة وستون، وكتبه من أرفع الكتابات قدراً وأعلاها مكانة، فهي لا تعد تصانيف بل ابتكارات وخلق وإبداع، ومن كتبه كتاب البخلاء، المعرفة، النبي

¹ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي: بيروت، ط2، عام 1413هـ - 1993م، ج: 18، ص: 372.

² مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 163

³ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، ص: 137

⁴ أبو عثمان الجاحظ: حياته، بيئته، ثقافة أدبه وفنه، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني: بيروت / دار الكتاب المصري: القاهرة، ط1، عام 1402هـ - 1982م، ص: 33.

والمتنبي، مسائل القرآن، فضيلة المعتزلة، اللصوص، المعلمين، الجواري، العرجان والبرصان، النساء، أمهات الأولاد، المغنيين، الكيمياء، أحداثوثة العالم، نقص الطب، البلدان ... إلخ.

تنوعت المصادر التي استقى منها الجاحظ ثقافته الموسوعية، كما أن تكوينه المعرفي ارتكز على ثلاثة أبعاد أساسية: التلمذ المباشر على أيدي الفحول، والاطلاع الواسع على المصنفات، والمراقبة الدقيقة لأحوال الناس وسلوكهم، وهذا عرض لأبرز مشاربه العلمية وفق الآتي:

فأما العلوم العربية واللغوية: يعزى الأمر في براعة الجاحظ اللغوية إلى أخذه عن أساطين هذا الفن؛ حيث تلقى علوم العربية وآدابها عن الأصمعي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي زيد الأنصاري، والأخفش الأوسط، مع حرصه الشديد على مشافهة الأعراب في "مربد البصرة" استقاءً للغة من منابعها الفطرية الصافية¹.

وأما علم الكلام والعلوم الشرعية: فلم يغيب البعد العقدي والفقيه عن تكوينه؛ إذ أخذ علم الكلام عن الحنابلة، وأبي الهذيل العلاف، وثمانية بن أشرس، كما نهل من مدرسة الفقهاء كالقاضي أبي يوسف، وتعلم لعلماء ومحدثين من أمثال يزيد بن هارون، وصالح بن جناح، والحجاج بن محمد.

وأما انفتاحه على الثقافات الوافدة، فقد تجلت عبقريته في قدرته على استيعاب الفكر الإنساني؛ حيث تعرف على الثقافة اليونانية عبر تراجم حنين بن إسحاق، واتصل بالثقافة الفارسية من خلال قراءاته المعمقة لابن المقفع²، إن هذا المزيج الفريد بين المشافهة والتدوين، وبين الأصالة العربية والانفتاح العالمي، هو الذي صاغ شخصية الجاحظ الأدبية، وجعل من كتاباته مرآة كاشفة للعالم الداخلي للإنسان بجميع تفاصيله وتقلباته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر، رحمه الله:

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلف لما لا نجس كما نعوذ بك من العجب بما نجس، ونعوذ بك من السلطنة والتهذر^(١)، كما نعوذ بك من العي والحصر. وقد بدأنا مانعواً بالله من شرهما، وتضرعوا^(٢) إلى الله في السلامة منهما.

وقد قال الثمر بن توبل^(٣):

أعذني رب من حصن وعي ومن نفس أعالجها علاجاً وقال الهذلي^(٤):

ولا حصن بخطيبي إذا ما غررت الخطب^(٥) وقال مكي بن سودة^(٦):

(١) السلطنة: حدة اللسان، والصخب. والفذر: كثرة الكلام في خطأ.

(٢) كتب إزاهة في ل: «ورغبوا» إشارة إلى أنها كذلك في نسخة.

(٣) الثمر بن توبل: شاعر مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه، ووفد إلى النبي ﷺ وكتب له كتاباً، وروى عنه حديثاً. وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفساهم. الإصابة ٧٨٠: ١٥ والشعر والشعراء لأن قبيصة. والحزنة (١: ٢٩١). ويقال: «المرء بكسر الميم. وصحح ابن ديد في الاشتقاق ١١٣ أنه يفتح الهمزة وسكون الميم.

(٤) هو أبو الهذيل الهذلي، أحد الشعراء المخضرمين، عمر وعاش إلى خلافة معلقة، وكان هو وبشر بن عامر يسكنان مصر، خرجا إليها في خلافة عمر بن الخطاب، الأعشى (٢٠: ١٦٧) والإصابة ٨٥٣ من باب الكنى.

(٥) البيت من أبيات في الأعشى. والقصة في شرح أشعار الهذليين للسكري ١٢٧، ومخطوطة الشنقيطي من الهذليين ٩٥. وفي شرح السكري: «عزت: غلبت وقت، عند ملك أو في جمع».

(٦) مكي بن سودة البرقي البصري، ذكره الرهازي في معجمه ٢٧١.

¹ فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتب: (التربيع والتدوير) و(البخلاء) و(الحيوان)، رابح العوي، ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، ط1، عام 1409هـ - 1989م، ص 71.

² ينظر: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، ص: 138.

كما اهتم بالرسائل والوصايا والمحاورات، وكل هذه موفورة كثيرة في حنايا الكتاب، بعضها رسائل رسمية متعلقة بشئون الدولة وهي ما اصطلح على تسميتها بالرسائل الديوانية، وبعضها الآخر رسائل اجتماعية جرت بين أصدقاء وهي التي يطلق عليها الرسائل الإخوانية، ويهتم الجاحظ بالمحاورات، والطريف منها بشكل خاص¹، وتحررت كتابات الجاحظ من الغموض، وتنميق اللفظ، مع المحافظة على جزالته، ويعد كتابا الحيوان، والبيان والتبيين من أواخر مؤلفات الجاحظ بعد أن أصابه الفالج.

2. عن الكتاب:

تصحيح تسمية الكتاب فقد اشتهر هذا الاسم (البيان والتبيين) بين أوساط العلماء والأدباء إلى عصرنا هذا، إلا أن المحقق عبد السلام هارون - وذلك بعد إخراجه للكتاب - وجد أن هذه التسمية للكتاب غير صحيحة، والصحيح هو (البيان والتبيين)؛ لأن البيان هو التبيين، وتعهد بتصحيحه في الطبعة المقبلة للكتاب، ولكن الأجل سبقه، فظل الكتاب على اسمه (البيان والتبيين) بياعين اثنتين فقال: "والدارس لهذا الكتاب يرى أنه ذو شقين متداخلين:

الشق الأول: هو ما اختاره الجاحظ من النصوص والأخبار والأحاديث والخطب والوصايا، وكلام الأعراب والزهاد ونحو ذلك، وهو ما يعنيه الجاحظ بكلمة "البيان".

والشق الثاني: هو النقد الأدبي في صورته المبكرة، فللجاحظ في هذا الكتاب نظرات فاحصة في نصوصه، وفي الكلام بصفة عامة، تسمى بعد ذلك بفن "النقد"، فهذه النظرات والقواعد التي ساقها الجاحظ هو ما عناه بكلمة "التبيين" [...] وسأعيد هذه الكلمة الصحيحة إلى نصابها في الطبعة الخامسة إن شاء الله²

3. سبب تأليف الكتاب:

تعود أسباب تأليف الجاحظ لكتابه الفذ "البيان والتبيين" ودوافعه إلى مسارين متكاملين صاغا جوهر هذا السفر العظيم:

الأول: يتمثل في غياب دراسة استيعابية - حتى عصره - تتقصى طاقات اللسان العربي في حقول التعبير والإقناع، ولا سيما في فني الخطابة والمناظرة اللذين شمخا في بيئة البصرة العلمية، فكان لزاماً على المعتزلة إتقان أدوات الحجاج فتبوأ الجاحظ بوصفه لسان حالهم وأديبهم الأول زمام كشف أسرار هذه الصناعة وإرساء قواعدها المنهجية، مستنداً إلى ملكته اللغوية الفائقة.

¹ مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 172

² قطوف أدبية: دراسات نقدية في التراث العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط1، عام 1409هـ - 1988م،

كما برز الدافع الثاني متمثلاً في المجابهة الفكرية مع "الشعوبية" الذين استنقصوا سنن العرب في الخطاب وتقاليدهم، كالإمسك بالعصا. ومما لا غرو فيه أن الجاحظ نصب نفسه حامياً لدمار الفصاحة العربية، داحضاً مطاعن خصومها في مواضع شتى من كتابه. بالموازاة مع ذلك، لا يُستبعد أن يكون هذا الرد قد تبلور وتنامى في ذهن الجاحظ عبر آلية "الاستطراد" التي ميزت أسلوبه؛ لتتحول من غرض عارض إلى ركيزة منهجية مهيمنة على مفصل الكتاب¹.

قال الجاحظ: "أهديت إلى محمد بن عبد الملك كتاب "الحيوان"، فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب "البيان والتبيين" إلى أحمد بن أبي دؤاد، فأعطاني كذلك، وأهديت كتاب "الزرع والنخل" إلى إبراهيم الصولي، فأعطاني مثلها فرجعت إلى البصرة ومعني ضيعة، لا تحتاج إلى تحديد ولا إلى تسميد"².

4. مضمون الكتاب

إن النسيج المعرفي لكتاب "البيان والتبيين" يتشكل من مادة أدبية ثرية قوامها "الشعر والخطب والرسائل والوصايا والنوادر، ولئن جاءت المادة النظرية المتصلة بالشعر هامة في ذلك الوقت، فإنّ ما جاء في الأنواع النثرية متواضع بالنسبة إلى كمّ النصوص المضمنة في الكتاب، ولا سيما بعض تلك الأنواع، ونجد أن الجاحظ أثبت في كتابه حوالي خمسين خطبة بين قصار وطوال، وست وثلاثين رسالة، منها ست طوال، وعددا من الوصايا والنوادر"³.

ثم إن عبد السلام هارون قد أجمل مباحث وقضايا التي اشتمل عليها الكتاب بقوله: "1- البيان والبلاغة 2- القواعد البلاغية 3- القول في مذهب الوسط 4-

كتاب الزهد

بسم الله الرحمن الرحيم

١٥٩

نبدأ على اسم الله وعونه^(١) بشيء من كلام الشُّكَّك في الزُّهد، وبشيء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم.

- عوف^(٢)، عن الحسن قال: « لا تزول قدما ابن آدم حتى يُسأل عن ثلاث: شيا به فيما^(٣) أهلاه، وعمره فيما أفناه، وماله من أين كسبه، وفيما أنفقه ».
- قالوا: وقال يونس بن عبيد^(٤): سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهنّ. قول حُصَّان بن أبي سنان^(٥): ما شيء أهُونَ من ورع، إذا رابك شيء فدعّه. وقول ابن سيرين: ما حسدت أحداً على شيء قطّ. وقول مُؤَرِّق العجلاني^(٦): لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة، ما قضاها ولا يمسّ منها. فقيل لمؤرّق: ما هي؟ قال: تزكّ ما لا يعنيني^(٧).

- (١) ما عدل: « نبدأ باسم الله وعونه ».
- (٢) هو عوف بن أبي جميلة المصري المترجم في (٢: ٣٧).
- (٣) ما عدل: « فم » في المواضع الثلاثة. وهي اللغة العالية. وبغيرها قرأ عكرمة وعيسى: (عما يتسألون). وقال حسان:
- على ما قام يشتتنى لئيم كخزير تفرغ في رمد
- الغنى والخزاة (٢: ٥٣٧).
- (٤) سبقت ترجمته في (٢: ٢٢٠).
- (٥) هو حسان بن أبي سنان البصري، كان صلوقاً عابداً، ترجم له في تهذيب التهذيب. وانظر صفة الصفوة (٣: ٢٥٤ - ٢٥٧). وآخر في تهذيب التهذيب ومجالس تعقب ٣١٢، ٤٧٨ وصفة الصفوة (٣: ١٧٤). على أن هذا القول روى في عيون الأخبار (٢: ٣٧٤) منسوباً إلى ابن سيرين.
- (٦) ترجم في (١: ٣٥٣).
- (٧) في صفة الصفوة: « أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه، ولست ببارك طلبه أبداً. قالوا: وما هو يا أبا المحتر؟ قال: الصمت عما لا يعنيني ».

¹ ينظر: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، ص: 126.

² سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط3، عام 1405هـ - 1985م، ج: 11، ص: 529.

³ بلاغة الهزل وقضية الأجناس الأدبية عند الجاحظ، حمادي صمود، دار شوقي للنشر: أريانة (تونس)، ط1، عام 2002م، ص 41.

الخطابة 5 - الشعر 6 - الأسجاع 7 - نماذج من الوصايا والرسائل 8 - طائفة من كلام النساك والقصاص وأخبارهم 9 - عرض لبعض كلام النوكى والحمقى ونوادرهم 10 - ضروب من الاختيارات البلاغية¹.

وعلى صعيد آخر، يذهب العمري إلى أن مادة الكتاب لا تخرج عن ثلاثة محاور رئيسة؛ أولها: وظيفة البيان وقيمتها، وثانيها: العملية البيانية وأدواتها، أما الثالثة: فخاصة بالبيان العربي؛ قيمته وتاريخه؛ ثم فصل القول في كل مادة حين جعل الحديث "في الأول يرتبط بطبيعة البيان وقيمتها من خلال تعريفه وربطه بالفهم والإفهام والدفاع والخطابة وما يتصل بها².

وذهب طائفة من الباحثين إلى تبويب موضوعات هذا السفر العظيم ضمن ثلاثة أجزاء رئيسة؛ حيث عُني الجزء الأول بمفهوم البيان وأنماطه، متطرقاً إلى آفات اللسان وماهية البلاغة والفصاحة، وحُصص الجزء الثاني لتناول فنون الخطابة واستقصاء طبقات الشعراء، في حين أن الجزء الثالث سار إلى استجلاء البحث في أصل اللغة وتقدير القيمة الفنية للشعر ومكانته.

يقول أبو هلال العسكري في الصناعتين، عند الكلام على كتب البلاغة: "وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة، ونعوته المستحسنة، إلا أن الابانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة، ماثورة في تضاعيفه، ومنتثرة في أثنائها، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير³.

الكتاب الثاني: الأمالي لأبي علي القالي

1. ترجمته:

إسماعيل بن القاسم بن عيذون، أبو علي القالي: أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب، ولد ونشأ في منازل جرد (على الفرات الشرقي بقرب بحيرة وان) سنة 288هـ⁴، ورحل إلى العراق، فتعلم في بغداد وأقام 25 سنة، ثم رحل

¹ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط7، عام 1418هـ - 1998م، ج: 01، ص: 07

² ينظر: البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق: الدار البيضاء (المغرب)، ط1، عام 1999م، ص 193.

³ كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري (ت نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: بيروت، عام 1419هـ، ص: 04-05.

⁴ الأعلام، خير الدين الزركلي (ت 1396هـ)، دار العلم للملايين: بيروت، ط15، عام 2002م، ج: 01، ص: 321.

إلى المغرب سنة 328هـ فدخل قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر واستوطنها، وتوفي بها سنة (356هـ)¹، أما نسبة القالي فيالي (قالي قلا) بلد من أعمال أرمينية بين طرابزون ومنازجرد، ولم يكن منها، وإنما صحبه بعض أهلها إلى بغداد، فنسب إليها، وكان أهل المغرب يلقبونه بالبغدادي لمجيئه إليهم من بغداد².

مال أبو علي القالي بطبعه إلى اللغة وعلوم الأدب، فبرع فيها واستكثر منها؛ ونبغ نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه، وعده المؤرخون إماماً ثبّتاً، وحجة ثقة، فوصفه الضبي في كتابه "بغية الملتبس" بقوله: "كان إماماً في علم اللغة، متقدماً فيها، متقناً لها، فاستفاد الناس منه وعولوا عليه، واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه في غاية التقيد والضبط والإتقان. وقد ألفت في علمه الذي اختص به تأليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته"³.

وفي بغداد اجتهد أبو علي في تلقى العلم على أيدي كبار علماء اللغة والراوية وعلماء الحديث، فسمع الحديث على مشاهير علماء ذلك الزمان، منهم المحدث الشهير أبا القاسم البغوي، وأبا بكر السجستاني محدث العراق، وابن صاعد، وكذلك يوسف القاضي من أهل الفقه والعلم والإتقان ومن كبار حفاظ الحديث، وفي بغداد أيضاً قرأ أبو علي النحو والعربية والأدب على مشاهير النحاة، منهم ابن درستويه، وأبو إسحاق الزجاج، أحد تلامذة المبرد، والأخفش الصغير، ونفطويه، وابن دُرَيْد صاحب (الجمهرة في اللغة)، وابن السراج، وأبو بكر الأنباري، ودرس الأدب على الشاعر والأديب جحظة البرمكي، وعلى القاضي ابن قتيبة، وعلى آخرين غيرهم⁴.

كتاب الأمالي

تأليف

أبو علي القالي البغدادي

الجزء الأول
والثاني

وبلغه "الذيل والنسب" لأؤلف وكتاب "التبسيط" لأبي عبد البكري.
وفهارس بأسماء الأعلام والقبائل والأماكن وفوق الآيات وغير ذلك.

دارالكتاب العربي
مطبعة لبنان

¹ معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت 626هـ)، دار صادر: بيروت، ط2، عام 1995م، ج: 04، ص: 300

² الأعلام، خير الدين الزركلي، ج: 01، ص: 321

³ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي (ت 599هـ)، دار الكاتب العربي: القاهرة، عام 1967م، ص: 232.

⁴ طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي (ت 379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف: القاهرة، ط2، عام 1984م، ص: 188.

ويعود السبب إلى مكانته العلمية الفذة هو أن "الخليفة الأموي العظيم عبد الرحمن بن محمد حمل أن يستدعيه من بغداد إلى عاصمة ملكه قرطبة ليشرف على تأديب ولده وولي عهده الحكم، وليذيع في حاضرة الأندلس ما كان يعيه في صدره من علم وأدب".¹

وُصفت مؤلفات القالي بأنها كانت في غاية التقييد والضبط والإتقان، ومن أبرزها: كتاب "المقصود والممدود"، حيث رتبته على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق، وكتاب "حلى الإنسان والخيال وشياتها"، وكتاب "الإبل" ونتاجها وما تصرف معها، وكتاب "مقاتل الفرسان"، وكتاب "فعلتُ وأفعلتُ"، وكتاب "الأمثال"، وكتاب "البارع" في اللغة على حرف المعجم، جمع فيه كتب اللغة²، والذي قال فيه الزبيدي: "ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله"³، على أن أشهر مصنفات القالي هو كتاب (الأمالي).

2. سبب تأليف الكتاب

أشار القالي في مقدمة كتابه إلى الحالة أو الظرف الذي أملى فيه كتاب الأمالي فقال: "لما رأيت العلم أنفس بضاعة، أيقنت أن طلبه أفضل تجارة، فاغتربت للرواية، ولزمت العلماء للدراسة، ثم أعملت نفسي في جمعه، وشغلت ذهني بحفظه، حتى حوت خطيره، وأحرزت رفيعه، ورويت جليله، وعرفت دقيقه، وعقلت شارد، ورويت نادره..."⁴، إذن يفهم من تلك المقدمة أن أبا علي القالي ظل طوال إقامته الطويلة في بغداد، يرتاد مواطن العلم، ولكنه لم يشرع في الإملاء بقصد تأليف الكتاب إلا في الأندلس؛ وذلك لعدم توفر البيئة المناسبة، أو الشخص الذي يستحق تلك الجوهرة النفيسة، فيهديه كتابه، وعلى الرغم من أن بغداد كانت بيئة ثقافية تعج بالعلماء وطالبي العلم في إخلاص ورغبة صادقة، إلا أنه كان ينتظر أكبر عطاء يمكن أن يقدم إليه على كتابه وسائر كتبه، وهو ما حصل له في الأندلس.

وتتمثل أهمية الكتاب في كونه مصدراً في اللغة لا غنى عنه؛ ذلك لأن صاحبه متفقه في اللغة إلى أبعد الحدود، فهو يأتي بالنصوص الطريفة والأشعار الجميلة، ولا بد أن يكون أصحاب المعاجم التي ألقت فيما بعد قد أفادوا منه كثيراً، كما أفادوا من غيره، حيث يتميز القالي في الإسناد والرواية بالدقة المتناهية، إذ لا يكاد

¹ حركة التأليف عند العرب، أمجد الطرابلسي، ص: 152.

² بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: صيدا (لبنان)، ج: 01، ص: 453.

³ الأمالي، أبو علي القالي (ت 356هـ)، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط2، عام 1344هـ - 1926م، ج: 01، ص: 06.

⁴ الأمالي، أبو علي القالي، ج: 01، ص: 14.

يذكر نصاً إلا وقد وصل إسناده إلى صاحبه عن طريق الرواية الدقيقة. واهتم كذلك بالأمثال العربية وأورد الكثير منها في مواطن عديدة في كتابه مع شرحها وبيان نشأتها والمناسبة التي تقال فيها¹.

3. محتوى الكتاب ومنهجه

يعتبر كتاب الأمالي أحد الكتب الأربعة التي نوه بها ابن خلدون كما مر سابقاً، وذكر أنه لا غنى عنها للدارس، فيعد هذا الكتاب من الكتب الحافلة بالفوائد اللغوية والأدبية القيمة التي ربما لا توجد في أي كتاب آخر، ويخلو كتاب "الأمالي" من منهج محدد المعالم في التأليف، فالقالي كان يميل على طلابه في شكل محاضرات في اللغة والأدب، أمامهم المحابر وبأيديهم الدفاتر يحسنون الاستماع، ويقيدون ما يجري على لسان القالي، فكان يجلس القالي كل خميس ليملي على طلابه دروساً ممتعة في الأدب، طافحة بالأخبار والأشعار والأمثال والبحوث اللغوية الممتعة²، فإذا جمعت هذه الأمالي لكي تصدر في شكل كتاب، كانت إما تعرض على القالي نفسه، أو يقوم على مراجعتها بعض الطلاب النابهين الذين يقومون بدورهم بروايتها منسوبة إليه، وبهذا يمكن القول أن الطابع أو المنهج الإملائي هو الذي

يتحكم في رسم الكتاب المذكور، وفي كل قطعة من أجزائه؛ وعلى هذا سمي القالي كتابه بالأمالي، ويحوي كتاب الأمالي على روايات أدبية متنوعة، فيها الشعر الأخبار والخطب والأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، وهو كتاب من كتب اللغة لا كتاب أدب فهو لا يورد النصوص المختارة إلا بقصد شرح ما بها من ألفاظ غريبة، والإشارة إلى اشتقاقاتها³.

من كتاب الأمالي
وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قُرَيْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَدْعُو اللَّهَ وَهُوَ يَقُولُ : هَرَبْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي يَا مُلْجَأَ الْهَارِبِينَ بِأَنْتَ الْغُثُّوْبُ أَجْرُهَا عَلَى ظَهْرِي ، لَا أَجِدُ شَاغَا إِلَيْكَ إِلَّا مَعْرُوفِي بِأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِ الْمُضْطَرُّونَ ، وَأُمِّلُ فِيمَا لَدَيْهِ الرَّابِغُونَ ، يَا مَنْ فَتَحَ الْعُقُولَ بِمَعْرِفِهِ ، وَأَطْلَقَ الْأَلْسُنَ بِحِسْدهِ ، وَجَعَلَ مَا أَمْتَنَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ كَفَاءً لِنَادِيَةِ حَقِّهِ ، لَا تَجْعَلْ لِلْهَوَى عَلَى عَقْلِ سَيْلًا ، وَلَا لِلْبَاطِلِ عَلَى عَمَلِي دَلِيلًا .
وَالْمِلَّةُ : الذي يُولِّهُ سَالِكُهُ ، أَيْ يُجَيِّدُهُ .

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قُرَيْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَدْعُو اللَّهَ وَهُوَ يَقُولُ : هَرَبْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي يَا مُلْجَأَ الْهَارِبِينَ بِأَنْتَ الْغُثُّوْبُ أَجْرُهَا عَلَى ظَهْرِي ، لَا أَجِدُ شَاغَا إِلَيْكَ إِلَّا مَعْرُوفِي بِأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِ الْمُضْطَرُّونَ ، وَأُمِّلُ فِيمَا لَدَيْهِ الرَّابِغُونَ ، يَا مَنْ فَتَحَ الْعُقُولَ بِمَعْرِفِهِ ، وَأَطْلَقَ الْأَلْسُنَ بِحِسْدهِ ، وَجَعَلَ مَا أَمْتَنَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ كَفَاءً لِنَادِيَةِ حَقِّهِ ، لَا تَجْعَلْ لِلْهَوَى عَلَى عَقْلِ سَيْلًا ، وَلَا لِلْبَاطِلِ عَلَى عَمَلِي دَلِيلًا .

[مغلف الكلام على خطبة عبد الملك لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير]

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ قَالَ أَخْبَرَنَا الشُّكْنُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي الْكَاسِبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ دَخَلَ الْكُوفَةَ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَمَدَّ اللَّهُ وَأَمْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْحَرْبَ صَعِيَّةٌ مُرَّةٌ ، وَإِنْ السَّلَامُ أَمْنٌ وَمُسَرَّةٌ ، وَقَدْ زَيْنَتْنَا الْحَرْبَ وَزَيْنَتُهَا ، فَعَرَفْتُمَا وَأَفْهَمْتُمَا ، فَتَحْنِ بَنُوها وَهِيَ أُمْنَا . أَيُّهَا النَّاسُ ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى ، وَدَعُوا الْأَهْوَاءَ الْمُرْدِيَّةَ ، وَتَجَنَّبُوا فِرَاقَ جَمَاعَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تُكَلِّفُوا أَعْمَالُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ أَعْمَالَهُمْ ، وَلَا تُحْكِمُونَ تَزَادُونَ بَعْدَ الْمَوْعِظَةِ إِلَّا شَرًّا ، وَلَنْ تَزِدَادَ بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْكُمْ وَالْجَمْعَةِ عَلَيْكُمْ إِلَّا عِقَابًا ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَبُودَ بَعْدَ لِمَاطِهَا فَيُيَبِّدْ ، فَوَيْلًا مَنِي وَمَتَلَكِّمْ كَمَا قَالَ قَبَسُ بْنُ رِفَاعَةَ مَن يَصُلِّ نَارِي بِلَا ذَنْبٍ وَلَا تَرَةً * يَصُلِّ بِنَارٍ كَرِيمٍ غَيْرَ غَدَارٍ أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مَنِي بِجَاهِرَةٍ * كَيْ لَا أَلَامَ عَلَى نَهْيِي وَإِنْذَارِي فَإِنْ عَصَيْتُمْ مَقَالِي الْيَوْمَ فَأَتَرَفُوا * أَنْ سَوْفَ تَلْقَوْنَ نَارِيَا ظَاهِرَ الْعَارِ لَتَرْجِعُنَّ أَحَادِيثَ مُلْعَنَةً * فَهَوِ الْقَدِيمَ وَهُوَ الْمُدْجِلُ السَّارِي

(١) الزيادة عن بعض النسخ . (٢) حرايج مع خروج وهي النافذة المشددة .

¹ ينظر: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، ص: 220.

² حركة التأليف عند العرب، أمجد الطرابلسي، ص: 152

³ ينظر: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، ص: 219.

يمكن إجمال المعالم المنهجية والمعرفية للكتاب في النقاط الآتية¹:

- إيراد غريب القرآن الكريم؛ والمقصود بذلك تلاوة الآية ثم تفكيك ألفاظها بتركيز لغوي دقيق.
- الاستئناس بالأحاديث النبوية الشريفة مشفوعة بالشرح، بالرغم من قلة إيراده لها إجمالاً.
- تضمين كلام الحكماء ووصايا البلغاء؛ بالموازاة مع مسلك علماء المشاركة في التأليف.
- التفرد بذكر أحاديث ابن دريد المشهورة، والغرض من ذلك هو اتخاذها وسيلة ناجعة لحفظ شوارد الألفاظ وصعابها.
- غزارة الشواهد الشعرية وتنوعها (لمشاهير الشعراء ومغموريهم)، مع العناية الفائقة بحسن الانتقاء والشرح.
- الاحتفاء بأراجيز العرب، ولا سيما "المرقصات" منها.
- إيراد الأمثال العربية مع التبيان الدقيق لشرحها وسياقات نشأتها.
- إيلاء المباحث اللغوية والصوتية جهداً استثنائياً، ولا غرو في ذلك فالطابع اللغوي هو السمة المهيمنة على الأمالي، وقد سلك في هذا الأمر أربعة مناهج:
- أ- استنباط المفردات الغريبة من خلال إيراد أحاديث ونصوص بأعيانها جرت على ألسنة الأعراب (كوصف الخيل أو النساء).
- ب- المعالجة المباشرة للموضوعات (كأسماء أسنان الإبل)، مع الإطناب في السرد والشرح وذكر الشواهد.
- ج- التحليل المعجمي الدقيق لمواد لغوية بعينها (نحو: خلف، حسس، وتر).
- هـ- تقديم دراسات صوتية متخصصة في الإدغام، والإبدال، والحروف المتقاربة مخرجاً ورسمياً (كالسين والزاي، أو النون والميم).
- استعراض خطب العرب ومغامراتهم، إلى جانب محاورات أعلام المشاركة البليغة.
- استهداف الثقافة العامة والخاصة معاً؛ ومن القرائن الكاشفة عن ذلك تضمينه وقائع تاريخية كبرى لأخبار بني أمية وعما لهم، وتجاوزه أحياناً إلى تاريخ الفرس والهند.
- إيراد الطرف والملح ترويحاً عن القارئ ودفعاً للسأم؛ وهو بذلك يحقق غاية مزدوجة تتمثل في التخفيف عن المتلقي، وإمداده برصيد فكه يُستملح في المحافل.

¹ ينظر تفصيل ذلك في: مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 299-301

المحاضرة الثانية عشرة: أمهات كتب الأدب (2) دراسة في كتاب "الكامل للمبرد" و"أدب الكاتب" لابن قتيبة و"خزانة الأدب" للبغدادي

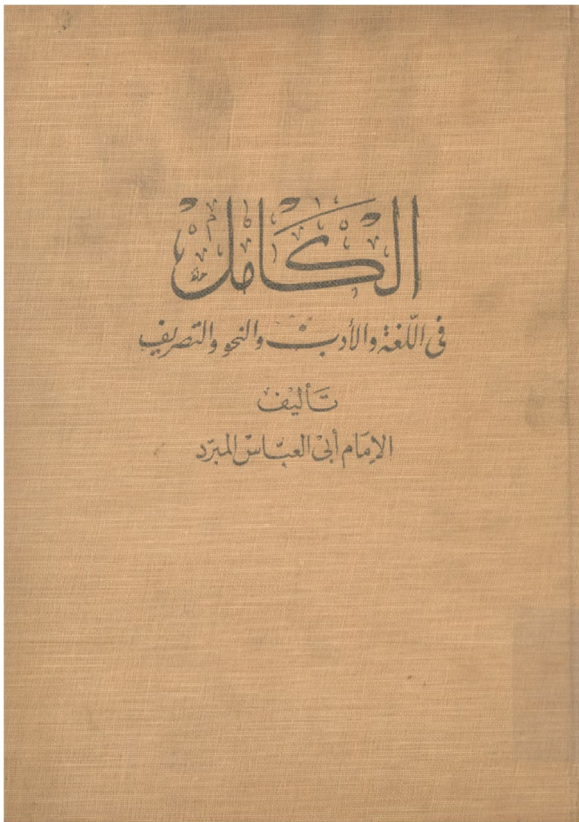
ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى استجلاء المقصود من "أمهات المصادر الأدبية" بوصفها الأصول التأسيسية التي قامت على مبدأ الشمول المعرفي والأخذ من كل شيء بطرف، سنشرع في استعراض عبقرية أشهر كتاب العرب، ونقف عند دوافع تأليفه لكتبهم، ونتنقل بين مختلف محطات حياتهم العلمية والتاريخية، لنذكر أن هذه الدواوين شكلت أركاناً جلييلة استوعبت الثقافة العربية في أزهى عصورها، وصارت مرجعاً لا غنى عنه لصقل الأذواق وتوثيق شوارد اللغة وأخبار العرب، فهل يكمن سر تسميتها بالأمهات في شموليتها المعرفية أم في ريادتها المنهجية؟

الكتاب الثالث: الكامل للمبرد

1. ترجمته:

هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي الشامي البصري النحوي الأخباري¹، شيخ أهل النحو وحافظ العربية²، ولد عام 210 هـ وقيل سنة 207 هـ، وتوفي عام 285 هـ، اختلف المؤرخون في سبب تسميته بـ "المبرد"؛ فمنهم من أرجعها لحسن وجهه، ومنهم من رأى أنها لقب أطلقه عليه الكوفيون تهكماً به، وقيل بل ارتبطت بمحادثة اختبائه في "مزملة" (إناء تبريد كبير) هرباً من منادمة أحد الولاة، ويُعد المبرد إمام النحويين البصريين في عصره بعد موت أبي عثمان المازني، وقد وُصف بغزارة العلم، وفصاحة اللسان، وحلاوة المخاطبة، ووضوح الشرح، وقد تتلمذ على يد الجاحظ وروى عنه، كما أخذ اللغة والنحو عن الجري،



¹ السير، الذهبي، ج: 13، ص: 576.

² تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها (تاريخ بغداد)، الخطيب البغدادي (ت 463 هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1، عام 1422 هـ - 2002 م، ج: 04، ص: 603.

وأبي عثمان المازني، وأبي إسحق الزيادي، وأشهر تلامذته: الزجاج، وابن السراج، والأخفش الصغير، وأبو جعفر النحاس¹.

كان رحمه الله عالماً فاضلاً، إماماً في اللغة والعربية، وسيماً، فصيحاً، بليغاً مفوهاً، حسن المحاضرة، مليح الأخبار، ثقة فيما يرويه، كثير النوارد في ظرف ولباقة، مجراً في العربية وفنونها؛ حتى كان الناس بالبصرة يقولون: (ما رأى المبرد مثل نفسه!)، وكان لكثرة وعظم علمه باللغة يتهم من البعض بالوضع والكذب فيها؛ قال المفجع البصري: (كان المبرد -لعظم حفظه اللغة واتساعه فيها- يتهم بالكذب والوضع في اللغة) وقد كان واسع الاطلاع على الكتب، حريصاً على اقتنائها، وذوقاً للشعر يحفظ منه الكثير²، كما خلف ثروة من الكتب، أشهرها كتاب "الكامل"، بالإضافة إلى "المقتضب"، و"الفاضل"، وشرح لامية العرب، وكتاب "المذكر والمؤنث".

2. سبب تأليف الكتاب ومنهجه

وضّح المبرد منهجه في كتاب "الكامل" في المقدمة القصيرة التي تصدّرها كتابه حيث يقول: "هذا الكتاب ألّفناه يجمع ضرورياً من الأدب ما بين كلام منشور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنية أن نفسّر كلّ ما وقع فيه من الإعراب شرحاً شافياً حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره"³، وقد جمع المبرد في كتابه ضرورياً من الآداب ما بين شعر، ونثر، مثل سائر، موعظة، خطب، ورسائل بليغة... إلخ؛ وذلك من أجل خدمة غرض نحوي أو لغوي.

ويمكن توضيح معالم منهجه في الكتاب في العناصر الآتية⁴:

- تضمين الكتاب قدراً وفيراً من الآيات القرآنية المنتقاة من مائة واثنى عشرة سورة؛ والمقصود بذلك اتخاذها شواهد لغوية ونحوية مع إيضاح تفسيرها بجلاء.
- إيراد طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة صحيحة الإسناد؛ ويعزى الأمر في ذلك إلى توظيفها الدقيق في مقامات الاستشهاد.
- الاحتفاء بأمثال العرب التي ناهزت خمسة وسبعين مثلاً، بالموازاة مع بيان أصولها والمناسبات التي تُضرب فيها.

¹ ينظر: مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 154.

² ينظر: السير، الذهبي، ج: 13، ص: 577/ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج: 04، ص: 604.

³ الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي: القاهرة، ط3، عام 1417هـ - 1997م، ج: 01، ص: 01-02.

⁴ ينظر: مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 174-176.

- ١٢٠ -

باب

قال أبو العباس: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يُرْهَدَنَّكَ في المعروف
كُفْرٌ مِنْ كُفْرِهِ، فَإِنَّهُ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ تَصْطَلِبْهُ إِلَيْهِ^(١)؛
وَأَشِيدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

إِنَّ الصَّيِّئَةَ لَا تَكُونُ صَيِّئَةً حَتَّى تُغَيِّبَ بِهَا طَرِيقَ الْمَنْتَعِ
فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ يَرِيدُ أَنْ يُبْخَلَ النَّاسُ، أَمْطَرَ الْمَعْرُوفَ مَطَرًا، فَإِنْ صَادَفَ
مَوْضِعًا فَهُوَ الَّذِي قَصَدْتَ لَهُ، وَإِلَّا كُنْتَ أَخْقَ بِهِ.

(قال أبو الحسن الأخفش: حدثنا المبرد في غير الكامل قال: قال
الحسن والحسين رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر: إنك قد أشرقت في
بَدَلِ الْمَالِ. قال: بأبي أئتما وأئني، إن الله عودني أن يُفْضِلَ عَلَيَّ، وَعَوْدُهُ أَنْ
أُفْضِلَ عَلَى عِبَادِهِ، فَأَخَافُ أَنْ أَقْطَعَ الْمَادَّةَ فَيَقْطَعَ عَنِّي).

وَمَرَّ يَزِيدُ بْنُ الْهَلَبِ بِأَعْرَابِيَةٍ فِي خُرُوجِهِ مِنْ سِجْنِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
يُرِيدُ الْبَصْرَةَ، فَقَرَنَتْهُ عَنَرًا، فَقَبِلَهَا، وَقَالَ لِأَبْنَةِ مَعَاوِيَةَ: مَامَعَكَ مِنَ النَّفَقَةِ؟
فَقَالَ: ثَمَانِي مَائَةِ دِينَارٍ، قَالَ: فَادْفَعِي إِلَيْهَا، قَالَ لَهُ ابْنُهُ: إِنَّكَ تَرِيدُ الرِّجَالَ، وَلَا
يَكُونُ الرِّجَالُ إِلَّا بِالْمَالِ، وَهَذِهِ يُرْضِيهَا الْبَصِيرُ، وَهِيَ بَعْدُ لَا تَعْرِفُكَ.
فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانَتْ تَرْضَى بِالْبَصِيرِ، فَأَنَا لَا أَرْضَى إِلَّا بِالْكَثِيرِ، وَإِنْ كَانَتْ
لَا تَعْرِفِي فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي، أَدْفَعُهَا إِلَيْهَا.

(١) وهو الله عز شأنه.

- إيراد نماذج وافية من خطب العرب عبر مختلف
العصور (الجاهلي، النبوي، الراشدي، الأموي،
العباسي، وخطب الخوارج)، ولا مناص من القول
إنه قارب في هذا المسلك الشمولي منهج الجاحظ.

- الإكثار من "أخبار الحكماء" وأقوالهم، كالحسن
البصري والأحنف بن قيس؛ إذ حري بنا التطرق إلى
حرصه على تكرار هذا الباب في ثانيا أجزاء
الكتاب.

- العناية الفائقة بالشعر والشعراء، سواء من حيث
الأغراض (كالمدح، والثناء، والخمر) أو الأعلام
والمولدين (كالفرزدق، وبشار، والشواعر كالخنساء)؛
ومن القرائن الكاشفة عن براعته هنا، وقوفه موقف
الناقد البصير الذي يقرن الشواهد بالاستحسان أو
الاستهجان.

- إيلاء المباحث البلاغية اهتماماً بالغاً؛ وفي هذا
الإطار عقد دراسات مستفيضة لأساليب التشبيه، وعالج المجاز القرآني مدعوماً بالشواهد قديماً
وحديثاً.

- تصدر المباحث النحوية صدارة الكتاب؛ إذ يعزى الأمر في ذلك لكونه إمام المدرسة البصرية، فعالج
الإعراب وقضايا نحوية متخصصة (كلام الاستغاثة، وباب النسب) في جل صفحات مصنفه.

- حشد الأخبار التاريخية والوثائق الأدبية؛ وعلى صعيد آخر، أفرد حيزاً رحباً لأخبار الصحابة، وتاريخ
الخوارج وحروبهم، ورسائل الخلفاء (كدستور عمر القضاي، ورسائل المنصور)، مما يوسع آفاق المعرفة
الإسلامية.

- كثافة تناول اللغوي تحليلاً وشرحاً للنصوص نثراً وشعراً؛ ومما لا غرو فيه أن دقة الشرح والتفريع
وإظهار محاسن الكلام ومقابحه جعلت السمة اللغوية المهيمنة ماثلة بقوة في ذهن المتلقي.

- توشيح الكتاب بالنوادر والملح؛ والمقصود بذلك الترويح عن القارئ ودفع سأم المباحث الجادة عنه،
متشبهاً في خفة روحه وسرعة عارضته بالجاحظ.

الكتاب الرابع: أدب الكاتب لابن قتيبة

1. ترجمته

أَدَبُ الْكَاتِبِ

تصنيف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، السكوني، الأديب، المروزي.
الولود بالسكونية في سنة ٢١٣ هـ، والقوف ببغداد في سنة ٢٧٦ هـ من الهجرة

حققه، وضبط غريبه، وشرح آياته، والمهم من مفرداته

عبد الله بن قتيبة

علاء الله تعالى عنه

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي النحوي اللغوي، وقد ولد ببغداد، وقيل بالكوفة، وكانت ولادته في مستهل رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين (213هـ)، وأقام بالدينور (مدينة تقع في إقليم كردستان) مدة قاضيا فنسب إليها فيقال له الدِّينُورِي (بكسر الدال المهملة وبسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون والواو وبعدها راء)، توفي في ذي القعدة وقيل أول ليلة في رجب، وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين (276هـ)، كان ابن قتيبة عالما فذا لغويا نحويا ثقة، وقد أثنى عليه جلة من العلماء لعلمه الواسع ولمصنفاته القيمة، يعتبر خطيب أهل السنة، عالم في التفسير واللغة، والنحو والأدب، والتاريخ والحديث، وقد أشاد به القفطي حين قال: ابن قتيبة صاحب التصانيف الحسان في فنون العلوم¹، قال عنه

ابن كثير: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضيهما، النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة المحتوية على علوم جمّة نافعة².

هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمّة وعلوم مهمة، وكان يلقب بأديب الفقهاء ومحدث الأدباء. أما شيوخه حدّث عن جِلّة من الشيوخ أبرزهم إسحاق بن راهويه وأبو حاتم السجستاني. ومحمد بن زياد الزيادي وأبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني.

أما شيوخه حدّث عن جِلّة من الشيوخ أبرزهم إسحاق بن راهويه وأبو حاتم السجستاني. ومحمد بن زياد الزيادي وأبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني، وأما تلاميذه: فقد أقرأ ابن قتيبة كتبه ببغداد إلى حين وفاته، وكان من تلامذته ابنه أبو جعفر أحمد، كان فقيها وروى عن أبيه كتبه المصنفة كلها. وعبيد الله بن عبد الرحمن

¹ ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (ت 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر: بيروت، ج: 03، ص: 42/ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج: 02، ص: 126/ السير، الذهبي، ج: 13، ص: 297.

² البداية والنهاية، ابن كثير (ت 774هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر: القاهرة، ط1، عام 1417هـ- 1420هـ، ج: 14، ص: 596.

السكري، وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ وعبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي، وعبيد الله بن أحمد بن بكر التميمي، وأبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي الأديب.

تعتبر جل تصانيفه مفيدة منها: غريب القرآن، وغريب الحديث، وعيون الأخبار، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، وطبقات الشعراء، والأشربة، وإصلاح الغلط، وكتاب التقفية، وكتاب الخيل¹.

2. تسمية الكتاب وأهميته

للكتاب ثلاثة أسماء وردت في دواوين اللغة والأدب والتراجم:

- الأول: أدب الكاتب وهو الأشهر والأكثر، وقد ذكره القفطي في «إنباه الرواة 145/2»، وذكره السمعاني في «الأنساب 452/4»، وابن خلكان في «وفيات الأعيان 42/3».

- الثاني: أدب الكتاب وقد ذكره به الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد 411/11»، والبطلوسي في شرحه المسمى «الاقتضاب في المقدمة، ص 3»، والأمير أسامة بن منقذ في «البدیع في نقد الشعر، 162/1».

- الثالث: ما قاله الأزهري في «تهذيب اللغة 27/1» عند ذكر المصنف في طبقات الذين بنى معجمه عليهم من أئمة اللغة وصنف كتابا في آداب الكتبة.

وللكتاب شروح كثيرة².

يعد كتاب أدب الكاتب أحد أركان الأدب العربي الأربعة بعد كتاب البيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، والأماشي لأبي علي القالي، كما مر معنا كلام ابن خلدون رحمه الله في مقدمته عن ذلك، ومن المعلوم أن

باب الحروف^(١) التي تتقارب ألفاظها

وتختلف معانيها

«الزُبَّة» الحاجة، و«الأزْبَةُ» المُقَدَّةُ.
و«الْحَدَاءُ» الفأسُ ذات الرأسين، وجمعها حَدَا، [وَالْحَدَاةُ الطائر، وجمعها حَدَا^(٢)].
و«الْأُمَّةُ» القامة [٣٤٨] و«الْإِمَّةُ» النُّعْمَةُ، والدينُ «إِمَّةٌ» و«أُمَّةٌ».
و«الْقُوَّةُ» المُعْقَبُ - بكسر اللام وفتحها -، و«الْقُوَّةُ» داء في الوجه، بالفتح.
و«الرُّمَّةُ» القطعة من الخنبل، و«الرُّمَّةُ» العظام البالية.
و«شِمَارُ الْقَوْمِ» في الْحَرْبِ «بِالسَّكْرِ»، و«الشَّمَارُ» مَا وَلِيَ الْجِلْدَ مِنَ الثِّيَابِ [بِالسَّكْرِ أَيْضًا]، و«أَرْضُ كَثِيرَةِ الشَّمَارِ» أَى: كَثِيرَةِ الشَّجَرِ، بفتح الشين.
و«تَحْجِرُ التَّيْنِ» - بكسر الجيم -، وَالتَّحْجَرُ بفتحها من الْحَجَرِ، وهو الحرام.
و«لَلنَّيْرِ» جماعة من الخيل، و«لِلنَّيْرِ» - بكسر النيم - مِنْتَرُ الطائر.
و«الْمِخَابُ» الْإِنَاءُ يُخْتَلَبُ فِيهِ، و«الْمِخَابُ» - بالفتح - من العليب.
و«الْوَقْرُ» - بفتح الواو - الثَّقَلُ فِي الْأُذُنِ، و«الْوَقْرُ» الْخَنْدَلُ.

(١) هذا الباب وما فيه من بابه سابقه، وقد أعاد المؤلف في هذا الباب ألفاظا تقدمت في سابقه، والنويب موجود في مائة النسخ (وانظر ص ٢٤٣ مثلا).
(٢) هكذا في ب وفي أصل ١، وفي نسخة عند «حداء» وجمعها حداء.

¹ ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج: 03، ص: 43/ السير، الذهبي، ج: 13، ص: 299/ بغية الوعاة، السيوطي، ج: 02، ص: 63

² ابن قتيبة الدينوري وكتابه: «أدب الكاتب» (2)، هاجر الفتوح، بوابة الرابطة المحمدية للعلماء: المغرب، تاريخ النشر: 28 جوان 2016م.

ابن قتيبة أهدى كتابه إلى الوزير أبي الحسن عبد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل، وكان ذلك سببا في تقديم ابن قتيبة إلى المتوكل والاستعانة به في بعض الأعمال¹.

وأما سبب تأليفه الكتاب فيقول ابن قتيبة في مقدمته: "فإني رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيرين، ولأهله كارهين، أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم، والشادي تارك للزيادة، والمتأدب في عنفوان الشباب ناس أو متناس..²".

فمن خلال هذا النقل لكلام ابن قتيبة في مقدمة كتابته يظهر أن الدافع الجوهرى لتأليف كتابه تجلّى في تقديم كتاب منهجي وعلمي للمشتغلين بصناعة الكتابة؛ ويرجع سبب ذلك أيضا إلى ما لمسّه من حاجة ماسة لمؤلفات تُقوِّم السنة العامة في النطق وأيديهم في التدوين، ولا سيما بعد أن لاحظ ركود "سوق الأدب" وانشغال السلطان عنه، ومنه سعى سعيا حثيثا لإحياء هذه المعارف عبر اشتراطه حفظ "عيون الحديث" ليدمجها الكاتب في ثنايا سطورهِ، فتكسب محاوراته حجة قاطعة ورشاقة في اللفظ، كما قرر أن يكتب هذا السفر ليكون تبصرة لأهل العلم واستراحة للملوك؛ وهذا ما أدى إلى تعميم نفعه ليفيد طالبي الدنيا والآخرة، ويجمع مادة خصبة تنهل منها العامة والخاصة على حد سواء.

3. محتوى الكتاب:

وأما محتوى الكتاب فقد قسمه ابن قتيبة إلى أربعة كتب أي أربعة أقسام هي: كتاب المعرفة، وكتاب تقويم اليد، وكتاب تقويم اللسان، وكتاب الأبنية.

وهو في كتاب المعرفة يحاول أن يفقه القارئ الذي ينشد أن يكون كاتبًا ثقافة عامة، ويجعل من هذا الكتاب أبوابًا مثل باب ما يضعه الناس في غير موضعه، أو باب أصول أسماء الناس ويفرغ من ذلك إلى "المسمون بأسماء النبات" [...] ويذكر في كتاب المعرفة أيضًا، أي القسم الأول من كتاب أدب الكاتب، بابًا للنخل...

وإذا انتقلنا إلى "كتاب تقويم اليد" وهو القسم الثاني من أدب الكاتب، وجدناه دروسًا دقيقة في علم النحو مثل باب ألف الوصل في الأسماء، أو باب دخول ألف الاستفهام على ألف الوصل...

والكتاب الثالث - أي القسم الثالث - هو "كتاب تقويم اللسان" ويتصل بتقارب الحروف ومخارجها وحركاتها مثل ما جاء ساكنًا والعامة تحركه....

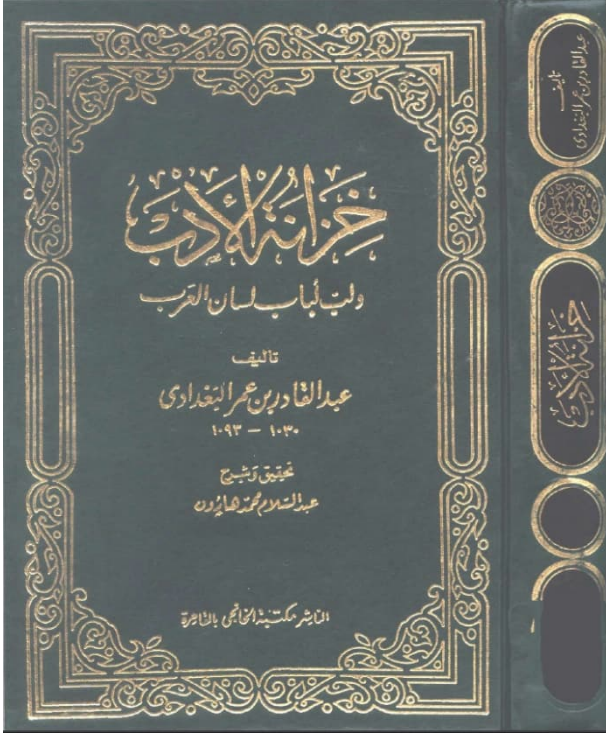
¹ ينظر: مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 154-155.

² أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ص: 05

وأما الباب الرابع والأخير وهو ما أسماه ابن قتيبة باب الأبنية فهو خاص بالصرف وفقه اللغة وتطبيق واسع ثري عميق على أبنية الأفعال وأبنية الأسماء من صيغ واشتقاقات¹.

الكتاب الخامس: خزانة الأدب للبغدادي

1. ترجمته:



عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي سنة 1030 هـ، علامة بالأدب والتاريخ والأخبار، ولد وتأدب ببغداد، وأولع بالأسفار، فرحل إلى دمشق ومصر وأدرنة، وجمع مكتبة نفيسة، وتوفي في القاهرة، كان يتقن آداب التركية²، ولد في الوقت الذي كانت خاضعة فيه لحكم الدولة الصفوية التي كان يرأسها عباس الصفوي، وكان معروفاً بقسوته ومشهوراً بفظاظته، وقد كان الصفويون هؤلاء أعداء تقليديين للدولة العثمانية، التي كان لجنودها من الشراسة والصرامة ما يثير فزع الناس ورعبهم؛ لذا فقد اتخذ الفريقان من العاصمة العربية هذه

مسرحاً لتراعيهم وتطاحنهم، واستمرت المعارك حامية الوطيس بينهم، حتى سقطت في أيدي جيوش السلطان العثماني مراد الرابع، الذي استولى عليها وانتزعها من قبضة الصفويين نهائياً³.

يقول المحبي في كتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: "وهو (أي البغدادي) أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة، مع الثبوت في النقل وزيادة الفضل والانتقاد الحسن، ومناسبة إيراد كل شيء منها في موضعه، مع اللطافة وقوة المذاكرة وحسن المندامة، وحفظ اللغة الفارسية والتركية وإتقانها كل الإتيان، ومعرفة الأشعار الحسنة منهما وأخبار الفرس"⁴ وقال "أما عن مكانته العلمية فيقول أيضاً: "نزىل القاهرة الأديب المصنّف الرحال الباهر الطريقة في الإحاطة بالمعارف والتضلع من الذخائر العلمية، وكان فاضلاً

¹ : مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 158-160 -بتصرف-

² الأعلام، الزركلي، ج: 04، ص: 41.

³ منهج عبد القادر البغدادي في «خزانة الأدب»: دراسة منهجية، جمال عبد الحميد عبد العظيم حسن، مجلة مجمع (جامعة المدينة العالمية)، العدد 39، أكتوبر 2021م، ص: 269.

⁴ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي (ت 1111هـ)، دار صادر: بيروت، ج: 02، ص: 451.

بارعاً، مطلعاً على أقسام كلام العرب النظم والنثر، راوياً لوقائعها وحروبها وأيامها، وكان يحفظ مقامات الحريري وكثيراً من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم¹

أما أشهر شيوخه، الشيخ يس الحمصي الشافعي نزيل مصر شيخ العربية وقدوة أرباب المعاني والبيان، والشيخ شهاب الدين الخفاجي قاضي القضاة المصري الحنفي، والشيخ برهان الدين الميموني المصري الشافعي الذي كان يعد آية في علوم التفسير واللغة²، توفي رحمه الله سنة (1093 هـ).

2. اسم الكتاب ومنهجه

أما اسم الكتاب فهو: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، وهو كتاب موسوعي في علوم العربية وآدابها، ألفه شرحاً لشواهد الرضي الإستراباذي على الكافية التي ألفها ابن الحاجب في علم النحو، وقد بلغت: تسعمائة وسبعة وخمسين (957) شاهداً من شواهد العربية، وقد أتمه في ست سنوات، وامتاز البغدادي في تحقيق المسائل النحوية باستقلال الرأي وحرية الفكر.

ويمكن إجمال معالم منهجه فيما يلي³:

- عنايته بذكر الشواهد النحوية والصرفية واللغوية وتوجيهها.
- اعتماده على المصادر المعتمدة، كالمحتسب لابن جني، والكتاب لسيبويه، وجميع كتب اللغة والنحو الأصلية.

- اتباعه لمنهج مميز في التأليف التزمه في معظم تصانيفه، ك (شرح أبيات مغني اللبيب).
- مناقشة مسائل الخلاف النحوي بين نخبة المدرستين البصريّة والكوفيّة، من خلال الكتب المؤلفة في هذا الصدد ككتاب: (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري)، و(مسائل خلافة في النحو، لأبي البقاء العكبري).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحروف العاطفة

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثانون بعد الثمانمائة (١) :

٨٨٦ (أَوْ جَوْنَةٌ قُدِّحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا)

على أَنَّ الوَاوَ لا تَدُلُّ على تَرْتيب ، بل قد تدخل على متقدّم على ما قبله كما هنا ، فَإِنَّ فَضَّ الخِتَامِ قبل القُدْحِ .

وهذا المصراع عجَزٌ ، وصدره :

(أَغْلَى السِّبَاءَ بِكُلِّ أَدَكْنٍ عَاتِقٍ)

يقال : أَغْلَيْتُ الشَّيْءَ : اشترَيْتُهُ غَالِيًا . والسِّبَاءُ ، بكسر السين المهملة بعدها موحدة : اشتراء الخمر ، ولا يقال في غيرها . يقال سبأت الخمر بالخمر أسبؤها سبَاءً بفتح عين الماضي والمضارع ، فيكون في الأوّل تجريد ، أي أدفع الثمن الغالي في اشتراء الخمر . والباء في بكّل ظرفية متعلقة بحال محذوفة ، إذ المراد : أَغْلَى سبَاءَ الخمر كائنةً في أدكن ، بالدال المهملة ، وهو الرُّقْ .

قال الجوهري : الدُّكْنَةُ : لَوْنٌ يضرب إلى السَّوَادِ . وقد ذُكِرَ الثَّوْبُ من باب فرح ، والشَّيْءُ أدكن . وأُنشد البيت وقال : يعني رِقًا قد صلّح وجاد في لونه ورأحته لِعَتْفِهِ . والرُّقُّ كما قال صاحب المصباح : هو بالكسر : الظُّرْفُ ، وبعضهم يقول : ظُرف زِفِّفَ أو قِر . و (عَاتِقٍ) بمعنى عتيق ، صفة أدكن . قال الدُّبْتُورِيُّ (في كتاب النبات) عند إنشاده هذا البيت : ذهب بعضهم إلى أَنَّ

(١) البيت من معلقة لبيد . وانظر ابن يعيش ٨ : ٩٢ ووصف المائق ١٤١ والعيني ٤ : ١٢٥ .

¹ المرجع نفسه.

² منهج عبد القادر البغدادي، جمال عبد الحميد عبد العظيم حسن، ص: 271-273 -بتصرف-

³ ينظر: المصدر نفسه، ص: 277-279 -بتصرف-

- إطلاق الأحكام التَّقديّة؛ فهو لا يكتفي بنقل الآراء وعرضها فقط، بل يحرص في أغلب الأحيان على نقدها وبيان الأجود منها، مستندًا في ذلك على اطلاعه الواسع على ما أنتجته قرائح العلماء عبر قرون عدة، وما أبدوه من آراء واجتهادات: "مع غربلة وتمحيص، وموازنة وترجيح، دون تعصّب فيما يرويه عنهم"
- إمام عبد القادر البغدادي بالنحو ومذاهب العلماء فيه، ولا غرو فقد حفظ عبد القادر البغدادي في صدر شبابه مقامات الحريري، وطائفة من دواوين الشعراء على اختلاف طبقاتهم، فاكسب بذلك حذقًا في نقد الأصوص ومقارنتها.
- الاستدراك على الرضي فيما غفل عن ذكره، لا لأجل التّنديد بالرّضي، والغض منه، وإنّما إظهار للصواب، وبيان للحقيقة.
- بيان أثر اختلاف الرواية في تعدد الوجوه الإعرابيّة وذكر الروايات المختلفة للبيت الشعري، مع بيان الوجوه الإعرابيّة المتعددة.

الماضرة الثالثة عشرة: مصادر النقد والأخبار: "عيون الأخبار" لابن قتيبة و"عيار الشعر" لابن كلاب

ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى رصد التحول المنهجي في تدوين الأدب من الجمع التراكمي إلى التأليف النقدي والتعليمي المنظم، وسنشرح في الكشف عن ريادة ابن قتيبة بكتابه "عيون الأخبار" الذي صاغه كموسوعة شاملة، ثم ننتقل إلى "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي، الذي وضعه كمعيار دقيق وإجابة منهجية لمن أراد حذق صناعة النظم، لتشكّل هذه المصنفات صرحاً ثقافياً متكاملاً نقل النقد من هوامش الدواوين إلى استقلالية الرؤية والمنهج الأكاديمي الرصين.

أولاً: نشأة التأليف النقدي وتطوره

إن الحديث عن الفروق الدقيقة والمراحل التأسيسية التي أرست دعائم التأليف الموسوعي والنقدي في تراثنا؛ يجرنا إلى الإقرار بوجود تباين جلي بين الأدب بوصفه إنتاجاً فنياً إبداعياً خالصاً، وبين الأدب التعليمي النقدي الذي ينهض بمهمة التقييم والتصنيف، وفي هذا الصدد نجد أن «النقد جزء لا يتجزأ من الأدب لأن الأدب يوجد أولاً، ثم يوجد نقده لسبب بسيط، وهو أن الأدب موضوعه الطبيعة والحياة الإنسانية، والنقد موضوعه الأدب، فهو فن مشتق من غيره، إذ لا يوجد بدون أدب يسلط عليه مقاييسه، ويصور فيه رضاه وسخطه»¹

لذا فإن الغاية النقدية قد استدعت بزوغ مصنفات متخصصة؛ فقد أوضح عز الدين إسماعيل ضمن سياق الحديث عن تصنيف حركة التأليف الأدبي، أنه إلى جانب الكتب التي جمعت معارف متنوعة (موسوعية)، ظهرت مصنفات أخرى متميزة بمنهج وهدف محدد، حيث قال «إلى جانب هذه الكتب ذات الطابع الموسوعي في مجال الأدب ظهرت مصنفات أخرى لها طابع متميز، ولها - إلى حد بعيد - منهج واضح وهدف محدد»²، هذا الأمر أدى إلى تحول بعض الدواوين والمختارات من مجرد كتب تهتم بالحفظ التراكمي العشوائي إلى كتب تأصيلية ذات هيكلية بنيوية دقيقة، وهذا راجع إلى نضوج العقلية المنهجية لأصحابها؛ حتى ظهرت مناهجهم على صفحات كتبهم إذ انقسمت مجاميعهم إلى قسمين رئيسيين: «قسماً يعتمد الجودة للاختيار دون الالتزام بأي

¹ النقد، شوقي ضيف، دار المعارف: القاهرة، ط 05، عام 1978م، ص: 09

² المصادر الأدبية واللغوية، عز الدين إسماعيل، ص: 132

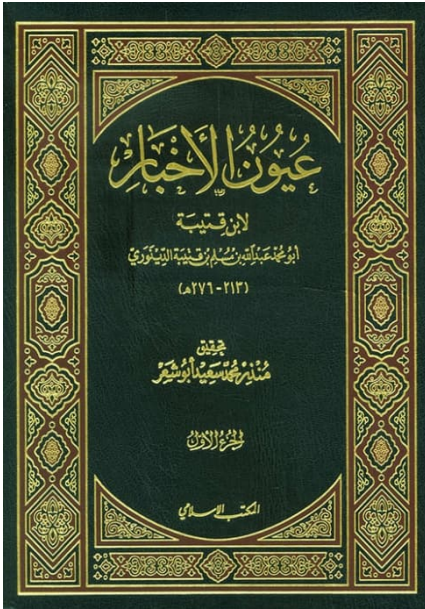
تصنيف موضوعي، وقسماً يلتزم منهجاً بعينه في التصنيف، ويتخذ من الموضوع الشعري دليلاً إلى هذا التصنيف¹

وقد اتخذت هذه المنهجية أبعاداً قيمية ونقدية تجلت بوضوح في كتب الطبقات، بينما تبلور منهجها بقوة على يد ابن قتيبة، حتى بات المتلقي «يشعر بأن كتب المختارات الأدبية قد خطت خطوات واسعة نحو الكمال على يد ابن قتيبة، وذلك أنه رتب المختارات وبوبها، وجمع ما تشابه منها تحت عنوان واحد»²، واتسمت هذه التبويبات بمرونة استوعبت مستجدات المجتمع؛ وارتقى هذا الجهد ليؤسس لنقد فني رصين يواجه الأثر الأدبي بالتحليل الدقيق، وتدرج بذلك حركة التأليف بوعي عميق من محض استيعاب للمادة اللغوية الخام إلى إرساء صرح ثقافي متكامل يجمع بين الإبداع وتنظيره في نسق أكاديمي محكم.

ثانياً: كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة

1. تسمية الكتاب وأهميته:

يُعد كتاب "عيون الأخبار" من أبرز مصنفات ابن قتيبة وأجلّها؛ ولا غرو في ذلك فالكتاب يقدم مادة معرفية دسمة تصقل الأذهان وتثري المعارف، وقد ألفه ليحقق غاية شمولية تتمثل في إفادة الخاصة والعامة، ومنفعة طلاب الدنيا والآخرة على حد سواء؛ حيث وضح ذلك في مقدمته بيقين قائلاً: «ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طلاب الدنيا دون طلاب الآخرة، ولا على خواص الناس دون عوامهم، ولا على ملوكهم دون ساقاتهم، فوفيت كل فريق منهم قسمه، ووفرت عليه سهمه»³



كما برر منهجياً أسباب إirاده أبواباً تتعلق بالترويح والفكاهة، إذ يقول: «وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة، وما روي عن الأشراف والأئمة فيهما، فإذا مرّ بك أيها المتزمت حديث تستخفه، أو تستحسنه، أو تعجب منه، أو تضحك له فاعرف المذهب فيه، وما أردنا به، واعلم أنك إن كنت مستغنياً عنه بتنسكك،

¹ المصدر السابق، ص: 68.

² مراجعة كتب ابن قتيبة: قراءة في موقفه الثقافي، نايف محمد العجمي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد 5، العدد 2، ديسمبر 2014م، ص: 261.

³ عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، عام 1418هـ، ص: 43.

فإن غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج إليه، وإن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك»¹، وفي الوقت ذاته يصوّر لنا تنوع مادته بدقة متناهية بقوله: «وإن مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين»²

وعلى صعيد آخر، يتجاوز هذا السّفر كونه مجرد سرد للروايات والأخبار؛ فهو مصنف أدبي جامع، انتقى فيه مؤلفه أجود عيون الشعر والنثر، ونوادير الاجتماع والسياسة والأخلاق من مصادر شتى، ولا أدل على بيان قيمته الكبرى ومقاصده، إلا ما سطره ابن قتيبة نفسه مبيناً معاملة: «وهذه عيون الأخبار نظمها لمغفل التأدب تبصرة

، ولأهل العلم تذكرةً ، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدبا ، وللملوك مستراحا من كدّ الجِد والتعب ، وصنفتها أبوابا ، وقرنت الباب بشكله ، والخبر بمثله ، والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها ، وعلى الدارس حفظها ، وهي لقاح عقول العلماء ، ونتاج أفكار الحكماء ، وحلية الأدب ، وأثمار طول النظر ، والمتخير من كلام البلغاء ، وفطن الشعراء ، وسير الملوك ، وآثار السلف ، جمعت لك منها ما جمعت في هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها، وتُقَوِّمَهَا بثقافتها، وتخلصها من مساوئ الأخلاق كما تخلص الفضة من خبثها»³.

هذا وقد كفانا ابن قتيبة مؤونة البحث عن الدافع الذي دفعه إلى تأليف كتابه، ذلك أنه قدم له بمقدمة ذكر فيها هذا الدافع، وهذه المقدمة في الحقيقة تستحق وقفة من الباحث المتخصص، لأنها مسهبة وتفصيلية

من ناحية، وهذا ما لم نألفه في كتب الأدب من قبل⁴، فقال: "وإني كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكتاب كتابا من المعرفة وفي تقويم اللسان واليد حين تبيّنت شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن إقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الإمام أبو محمد بن مسلم بن قتيبة الدُّبُورِي رضي الله عنه : الحمد لله الذي يُعْجِزُ بِلَاؤُهُ صفة الواصفين وتُفَوِّتُ آلَاؤُهُ عدَدَ العاذين وتَسَعُّ رحمته ذنوبَ المُسْرِفينَ ، والحمد لله الذي لا تُحْجَبُ عنه دعوة ولا تُخِيبُ لديه طَلْبة ولا يَضِلُّ عنده سعي ، الذي رضي عن عظيم النِّعم بقليل الشكر وغفر بغُفْدِ الندم كبيرَ الذنوب ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين ، والحمد لله الذي أبغث فينا البشير النذير السراج المنير هادياً إلى رضاه وداعياً إلى محابته ودالاً على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب سخطه . صلى الله وملائكته المقربون عليه وعلى آله وصحبه أبداً ما ظمأ بحرٌ وذُرَّ شارقٌ وعلى جميع النبيين والمرسلين .

أما بعد ، فإنَّ الله في كل نعمة أنعم بها حقاً وعلى كل بلاء أبلاء زكاة : فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذلُّه ، وزكاة العلم نشره ، وخير العلوم أنفعها ، وأنفعها أحدها مُعَبَّةٌ ، وأحدها مغبة ما تُعَلَّمُ وعُلِّمَ الله وأريد به وجه الله تعالى .

وتحَنُّ نَسألُ الله تعالى ، جُلَّ وعلا ، أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونُفِيدُ ومريدين ولحسن بلائه عندنا

¹ المصدر نفسه، ص: 44.

² المصدر نفسه، ص: 45.

³ المصدر السابق، ص: 43.

⁴ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، ص: 166.

سوق الأدب حتى عفا ودرس، بلغت به فيه همّة النفس وثلج الفؤاد وقيدت عليه به ما أطرفني الاله ليوم الإدالة، وشرطت عليه مع تعلّم ذلك تحفّظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطورها متمثلاً إذا كاتب، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور. ولما تقلّدت له القيام ببعض آله دعيتني الهمة إلى كفايته وخشيت إن وكلته فيما بقي إلى نفسه وعوّلت له على اختياره أن تستمرّ مريرته على التهاون ويستوطىء مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأوّل، أوزاؤل ذلك بضعف من النية وكلال من الحدّ فيلحقه خور الطباع وسامة الكلفة. فأكملت له ما ابتدأت وشيّدت ما أسست¹

2. مادة الكتاب ومنهجه

قسم أبو محمد عبد الله بن قتيبة كتابه «عيون الأخبار» إلى عشرة كتب، وقد جاءت مادتها غزيرة ومحكمة، يمكن إجمال مباحثها على النحو الآتي:

الأول: كتاب السلطان: وتناول فيه سيرة السلطان وسياسته، وآداب صحبته ومخاطبته، وأحكام القضاء وخيانات العمال، وما يتصل بالمشاورة وكتمان السر.

الثاني: كتاب الحرب: وخصه لآداب الحرب ومكائدها وأوقاتها، متطرقاً لصفات الشجعان والجبّاء، وآداب الفروسية والسلاح، وما يتصل بذلك من عيافة وطيرة وذكر للخيل والركاب.

الثالث: كتاب السؤدد: وأسهب فيه ببيان أسباب السؤدد ومكارم الأخلاق كالهمة والحلم والمروءة، مفصلاً القول في الغنى والفقر، وآداب المجالس واللباس، مع الحظ على التوسط والاقتصاد في الأمور.

الرابع: كتاب الطبائع: وعرض فيه لطبائع الناس وما يعترئهم من حسد وسوء خلق، مع ذكر الأمثال المضروبة فيها، متجاوزاً ذلك إلى استعراض طبائع الحيوان والطيور وخواص النبات.

الخامس: كتاب العلم والبيان: وتكلم فيه عن مصادر العلم من قرآن وحديث، وما يتصل بالإعراب والبيان وتجويد الشعر، مورداً طائفة من خطب الخلفاء الراشدين ومشاهير الإسلام.

عُيُونُ الْأَخْبَارِ

تأليف
أبي محمد عبد الله بن مسلمة بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

الجزء الأول

كتاب السلطان - كتاب الحرب - كتاب السؤدد

شرحه وضبطه وعلق عليه وقّده له ورّب فهارسه
الدكتور يوسف علي طوبل
أستاذ الأدب الأندلسي في الجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية

¹ عيون الأخبار، ابن قتيبة، ص: 43.

السادس: كتاب الزهد: وأفرده لذكر الدعاء والمناجاة، والتذكير بالموت ومشيب الإنسان، مع إيراد مواظب الزهاد وصفاتهم في الترفع عن الدنيا.

السابع: كتاب الإخوان: وفصل فيه القول في آداب الصحبة واختيار الإخوان، وما يجب من الإنصاف والتزاور والتهادي، إلى جانب معاتبتهم والتحذير من شرارهم.

الثامن: كتاب الحوائج: وعالج فيه سبل استنجاح الحوائج والترغيب في قضائها، واصطناع المعروف، مبيناً حال السائل والمسؤول، ومواضع الشكر والقناعة.

التاسع: كتاب الطعام: وتطرق فيه لصنوف الطعام وآداب الأكل والضيافة وأخبار البخل، جامعاً إلى ذلك سياسة الأبدان بالحمية، وبيان منافع الأطعمة والأشربة والنبات.

العاشر: كتاب النساء: وختمه ببيان أخلاق النساء وصفاتهم، مرغباً في النكاح ومفصلاً أحكامه من مهور وخطب، مع ذكر وصايا الأولياء وسياسة حسن المعاشرة.

وأما معالم منهجه فقد عرض ابن قتيبة مختاراته في اللغة والأدب والتاريخ في عيون الأخبار بطريقة الرواية أو الإسناد على نمط كتب الحديث، والكتاب - في مجموعه - من اختيار المؤلف، ومما التقطه من العلماء، والأدباء، بمعنى أننا لا نجد فيه شخصية مؤلفه، أو أسلوبه الخاص إلا في مقدمته؛ فهي من إنشائه، وهي التي تظهر خصائص أسلوبه¹، ففي أبواب الكتاب نجد النقل والرواية واضحين، فمن الكتاب الثالث وهو كتاب السؤود، يقول عن السيد وهو يتحدث عن السيادة: "قال عمر بن الخطاب عن السيّد: إنه الجواد حين يسأل، الحليم حين يُستجمل، البار بمن يعاشره، وقال عدي بن حاتم: السيّد الذليل في نفسه، الأحق في ماله، المُطْرَحُ لحقده، المعنيُّ بأمر عامته، وسئل خالد بن صفوان عن الأحنف بن قيس بم ساد؟ فقال: ببذل القرى، وترك المِرّاء، ونصرة المولى."²

يقول الدكتور شوقي ضيف - رحمه الله - عن أسلوب ابن قتيبة: "ولا نغلو إذا قلنا إن من أهم الأسباب في أن كتاب عيون الأخبار أخذ هذه المكنة الممتازة أسلوب ابن قتيبة فيه، فإن كل هذه المواد الثقافية التي نسّقها سكبها في أسلوب أدبي رائع، أسلوب يمتاز بوضوحه، واصطفاء ألفاظه، والمزاوجة بينها على طريقة الجاحظ أحياناً، وأحياناً يسترسل دون محاولة الازدواج، ولكن مع العناية باختيار الكلمات، والملاءمة بينها بحيث لا تجد فيها أي نشاز، ولا أي اضطراب، أو انحراف، فقد كانت اللغة مرنة في يده، وكان لا يتأبى عليه

¹ ينظر: أدب المرأة في عيون الأخبار لابن قتيبة: دراسة موضوعية وفنية، خلود بنت راشد بن زيد، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص: 22.

² عيون الأخبار، ابن قتيبة، ج: 01، ص: 327.

أي لفظ ، ولا تستعصي- عليه أي كلمة ، وبهذا الأسلوب المتناسق ، وما يجري فيه من استواء صنف كتابه عيون الأخبار جميعه ، بحيث غدا كأنه مصبوب في قوالب متماثلة تستريح لها الأذن ، وتجد فيها القلوب متاعاً لا ينفذ¹.

ويمكن وصف طريقة التأليف عند ابن قتيبة بأنها التصنيف الدقيق وهو ما التزمه به، إذ كان يستقصي البحث في الموضوع الواحد من شتى جوانبه، ويستشهد له بالنصوص التي تؤيد ما يبحثه من نقاط حول هذا الموضوع، وتجاوز سعة اطلاعه إلى المصادر غير العربية، يقول الدكتور عز الدين إسماعيل بعد أن عقد مقارنة بين منهج ابن قتيبة ومنهج الجاحظ في التأليف: "على أنه إذا كان ابن قتيبة قد برز الجاحظ في التنظيم والتبويب والتصنيف، وإذا كان قد بزه في اطلاعه على الكتب الأعجمية..."²، وقال أيضاً: "ومهما يكن من أمر فإن كتاب عيون الأخبار، يعد خطوة في طريق التأليف المنهجي عند العرب القدماء، وهو بما فيه من معلومات ضافية عن الثقافة العربية وغير العربية، يعد مصدراً لا غنى عنه للباحث في التراث العربي ، شأنه في ذلك شأن كتابي البيان والتبيين والكامل"³.

الكتاب الثاني: عيار الشعر لابن طباطبا

1. ترجمته:

أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن طباطبا العلوي، يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، و"طباطبا الصفة التي لحقت إبراهيم بن إسماعيل العلوي إذ كان يلثغ بالقاف فيجعلها "طاء"، ولد بأصبهان ونشأ وتأدب فيها ولم يغادرها إلى غيرها كما يقول ياقوت في معجم الأدباء عنه، وأصبهان هذه بلدة جميلة فاتنة من أعلام المدن وتشتهر بمناخها وهدوئها وصفائها⁴.

أما تاريخ ولادته فلم يعرف بالتحديد إذ لم تشر إليه المراجع التي ترجمت له، ولكن يرجح أنها كانت قبل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وذلك لما يرويه ياقوت من أن ابن المعتز "الخليفة العباسي راسله، وكان كلا منهما مشتاقاً إلى رؤية صاحبه، هذا من جهة، ولما دونه ابن المعتز من شعر ابن طباطبا من جهة أخرى،

¹ تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، شوقي ضيف، دار المعارف: القاهرة، ج4، ص 619.

² المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، ص: 170.

³ المصدر نفسه، ص: 171.

⁴ عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي (ت 322هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط2، عام 2005م، ص: 07.

ونحن نعرف أن ابن المعتز قتل سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة، وعليه فلا بد أن يكون ابن طباطبا قبل ذلك في سن تؤهله لأن يعني به ابن المعتز ويروي شعره ويصاحبه¹.

كان ابن طباطبا شيعيا، وهذا معتنق كل العلويين، وقد ذكر في أعيان الشيعة وبين من تشيع وشعر².

2. اسم الكتاب وسبب تأليفه:

أجمع الذين ترجموا لابن طباطبا، وتحدثوا عن مؤلفاته، على أن اسم الكتاب عيار الشعر، إلا أن ابن النديم سماه عيار الشعر مرة ومعايير الشعر مرة أخرى، وقد سمي المؤلف كتابه بهذا الاسم، لأنه وضعه معيارا وميزانا يقاس به الشعر، فالكتاب بما اشتمل عليه من قواعد ما هو إلا معيار يميز بواسطته جيد الشعر من رديئه، وميزان يحكم به للشعر أو عليه، أما ابن طباطبا فيقول: "وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب، فما قيله واصطفاه فهو واف، وما محه ونفاه فهو ناقص"³.

كما عبر ابن طباطبا بنفسه عن الحافز على تأليف عيار الشعر، فقد ألفه كما ظهر على الصفحة الأولى من الكتاب، إجابة عن سؤال وجهه إليه أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن، وكان قد سأل عن علم

الشعر، وكيف يتوصل إلى نظمه، فجاء كتاب عيار "الشعر" ردا على سؤال وإجابة على استفسار، يقول ابن طباطبا: "فهمت أحاطك الله - ما سألت أن أصفه لك من علم الشعر، والسبب الذي يتوصل به إلى نظمه، وتقريب ذلك إلى فهمك، والتأني لتيسير ما عسر منه عليك، وأنا مبين ما سألت عنه، وفتح ما يستغلغلك عليك منه"⁴.

3. أقسامه:

عيار الشعر

تأليف

محمد أحمد بن طباطبا العلوي

شرح وتحقيق

عباس عبد الساتر

ماجستير في الأدب العربي

مراجعة

نسيم ذرور

دبلوم دراسات عليا في اللغة العربية وآدابها

مكتبات
مركز بحوث
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

¹ المصدر نفسه

² نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال، دار الفكر العربي: القاهرة، عام 1978م، ص 38.

³ قضايا النقد الأدبي والبلاغة في كتاب عيار الشعر، شريف راغب علاوة، المكتب العربي للمعارف: القاهرة، ط1، عام 2015م، ص 13.

⁴ المصدر نفسه، ص 14.

يمكننا تقسيم عيار الشعر إلى قسمين:

- أ- القسم الأول: المقدمة، وتناول فيها ابن طباطبا موضوعات نقدية، منها: تعريف الشعر، وأدواته، ثم الحديث عن صناعة القصيدة، ثم عيار الشعر أو الوسائل التي يمكن التعرف بها إلى جوده ورديته.
- ب- القسم الثاني: وهو الجانب التطبيقي، وهذا الجانب يزخر بالشواهد الشعرية الكثيرة التي ساقها ابن طباطبا تطبيقاً على نظرياته في الشعر وقضاياه المختلفة، كما أنه تناول في هذا القسم قضايا نقدية وبلاغية.

وقد قارن الدكتور محمد زغلول سلام بين كتاب "عيار الشعر" وغيره من الكتب النقدية التي كان يقدم لها مؤلفوها بمقدمات تشتمل على آرائهم ونظرياتهم من مثل كتاب: " الشعر والشعراء " لابن قتيبة، وكتاب " شرح ديوان الحماسة " للمرزوق، والحقيقة أن هذه المقارنة غير دقيقة، ذلك أن مقدمة ابن قتيبة لكتابه إنما هي مقدمة مستقلة قائمة بذاتها أوضح فيها ابن قتيبة آراءه قبل أن يشرع في تراجم الشعراء، كما أن مقدمة المرزوقي مستقلة أيضاً منفصلة عن متن الكتاب، أوضح فيها المرزوقي آراءه قبل أن يبدأ بشرح أبيات الحماسة، في حين أنه من الصعب أن نضع في " عيار الشعر " حداً فاصلاً بين قسميه: المقدمة والمتن، فالكتاب أشبه ما يكون برسالة مترابطة في نظم الشعر، والأسباب التي تيسر هذا النظم¹.

4. منهجه:

يمكن القول بأن ابن طباطبا قد جانب الترتيب المنطقي المبوب في مصنفه على عادة كتب النقد؛ وجعل تنقله المستمر بين الأغراض، فتراه يطرق الموضوع ثم يغادره ليعاوده في موضع آخر، متأرجحاً بين المحاسن والمساوئ بلا تسلسل وتنسيق محكم، وقد شخص الدكتور إحسان عباس هذا الأمر فيه حين وصف الكتاب بكونه: «مقالة استطرادية في النقد معتمدة على صفاء الذوق الفني دون سواه»²، ومن الدلائل على هذا استطراده

الآيات التي أغرق قائلوها في معانيها

فأما الآيات التي أغرق قائلوها في معانيها فكقول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء نجدد وتكرماً وإننا لنرجو فوق ذلك مظهراً⁽¹⁾
وكقول الطرماح⁽²⁾ :

لو كان يُخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد
قوم أقسام بدار الذل أو لهم كما أقامت عليه جزمة الودد⁽³⁾
وقوله :

ولو أن حرقوساً يزق مكة إذا نهلت منه تميم وعلت⁽⁴⁾
ولو أن برغوثاً على ظهر نملة يكر على صفى تميم لوئت
ولو جمعت علياً تميم جموعها على ذرة معقولة لاستفتت⁽⁵⁾
ولو أن أم العنكبوت بنت لهم مقلتها يوم السدى لاستقلت

(1) قال ابن قتيبة إن النابغة الجعدي جاء رسول الله (ص) والشدة هذا البيت فقال رسول الله (ص) إن شاء الله .
(2) الطرماح بن حكيم من شعراء الدولة الأموية عاش بالشام ، وانتقل إلى الكوفة ، اعتن مذهب الأزارقة وكان يكثر من الغريب في شعره . (الشعر والشعراء ، الأتاني ، خزنة الأدب) .
(3) جزمة الودد : أصلة .
(4) علّت : شربت .

¹ المصدر السابق، ص: 17-18.

² تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس (ت 2003م)، دار الأمانة: بيروت، ط1، عام 1971م، ص 133

في تناثر قضايا الموضوع الواحد في مواطن شتى؛ كحديثه عن حسن التخلص في الشعر، وتقسيماته المتفرقة لأنواع النظم، حيث يتناول الأشعار المحكمة، ثم متفاوتة النسج، ليعود مجدداً إلى المحكمة، ثم يعرج على الغثة المتكلفة، فالبارعة.

وعلى سعيد آخر، نبّه المؤلف إلى جنوحه المنهجي نحو الاختصار والاكتفاء بالجزء للدلالة على الكل، مصرحاً ومبرراً ذلك بقوله: «وَكُلُّ ما أودعناه في هذا الكتاب فأمثلة يقاس عليها أشكالها، وفيها مقنع لمن دقّ نظره ولطف فهمه، ولو ذهبنا نستقصي كلّ باب من الأبواب التي أودعناها كتابنا لطال، وطال النظر فيه، فاستشهدنا بالجزء على الكل، وآثرنا الاختصار على التطويل»¹.

إن هذا المسلك قد أفضى إلى طغيان الشواهد التطبيقية على التنظير، حتى غدت الأمثلة هي الأصل المعتمد، والقواعد فرعاً تابعاً لها².

¹ عيار الشعر، ابن طباطبا، ص: 83.

² ينظر: قضايا النقد الأدبي والبلاغة في كتاب عيار الشعر، شريف راغب علاوة، ص: 18-19. -بتصرف-

المحاضرة الرابعة عشرة: كتب الاختيارات الشعرية *المفضليات، والضبيات، الأصمعيات، والعماسة*

ملخص

تهدف هذه المحاضرة إلى استكشاف منهجية الاختيارات الشعرية بوصفها أشبه بالمصفاة النقدية التي استخلصت عيون الإبداع العربي من غث الروايات وسمينها، وسنشرع في التحليل المنهجي لاختيار المفضليات، ثم الأصمعيات، مع الوقوف عند المعلقات، كما سنتعرض لدواوين الحماسة التي أحدثت نقلة نوعية باعتماد التبويب الغرضي، لنصل إلى أن هذه المدونات مثلت خزائن لسانية ووثائق اجتماعية حفظت قيم الكرم والشجاعة، وصانت لغة العرب من عوارض التحريف والضياع عبر العصور، فما الفرق المنهجي بين جمع المفضليات ونهج الأصمعيات؟

1. مفهوم الاختيارات ودوافع التأليف فيها

لقد أدرك الرواة والعلماء أن تدوين الدواوين الكاملة قد يشتمل على الغث والسمين، فتوجهت همهم نحو استخلاص عيون الشعر، فإلى جانب دواوين الشعراء ودواوين القبائل ظهر نوع من تصنيف الشعر يختلف من حيث المنهج والغاية عن هذه الدواوين جميعاً، ونعني بها الأشعار المختارة (مختارات)، أو ما يسمى بالطبقات والمنتخبات، فقد اتجه الجيل الثاني في عملية التدوين والتصنيف إلى تأليف دواوين الشعر من الجاهليين والإسلاميين وتصنيف دواوين القبائل، ثم اختيار أجود ما تضمنه الشعر الجاهلي والإسلامي، وترتيبها في هذه المختارات¹، وكان الدافع لكتابة هذه الاختيارات أسباب كثيرة نجل أهمها فيما يلي:

أ- الغاية التعليمية والتربوية:

مر معنا في كثير من محطات التأليف القديم، أن الغاية التي يرومها المؤلف في تأليف كتابه هي التعليم، وخاصة إذا تعلق الأمر بالبلاط الملكي، وأدنى منه دور الدراسة، وليس ببعيد عنها ما تعلق بالاختيارات الشعرية، إذ ارتبطت بداياتها بأروقة الخلفاء ومجالس التأديب؛ وكان الغرض الأساس منها كان توجيهياً بحتاً، ويضاف إلى ذلك أن بعض الأمراء والملوك ينتقون الأحسن لتأديب أولادهم وهذا شائع في تراجم العلماء والشعراء، فنشأت المفضليات والأصمعيات تأديباً لأبناء الملوك، فالخليفة العباسي أبو جعفر المنصور انتقى المفضل الضبي مؤدبا لابنه وولي عهده المهدي، وسار الأصمعي في "الأصمعيات" على منوال التعليم أيضاً فقصائده

¹ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، ص: 65.

لم تُجمع لمجرد الرواية، بل "إنه استهدف تعليم الشعر العربي، بما هو سهل منه، وشائع وحسين، وتركيزه على الجوانب اللغوية والنحوية"

ب- إبراز مكارم الأخلاق والواقع الاجتماعي:

إن من الأمور التي تنم عن المقاصد الحسنة لهؤلاء الأعلام؛ سعيهم لترسيخ الهوية العربية الأصيلة وقيمها العليا من خلال المنتقى من الشعر؛ فالمفضليات -مثلاً- تعد "بمثابة مرآة لحياة العرب انعكست عليها عاداتهم وأخلاقهم وشيمهم العربية"¹، فمثلاً تكمن الأهمية التاريخية والأدبية للأصمعيات في كونها مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي والثقافي للعرب في الجاهلية وصدر الإسلام؛ إذ وثقت قصائدها تفاصيل البيئة الطبيعية، وطبيعة الحياة القبلية، فضلاً عن تجسيدها للقيم الأخلاقية العليا كالكرم والشجاعة.

ج- حفظ لغة العرب والاحتجاج بها:

إن هذا الاصطفاء مثل الخزائن اللغوية التي لا يُستغنى عنها حوّلها إلى متون يُحتج بها في ضبط العلوم الإسلامية والعربية، فاكتمت هذه المختارات الشعرية قيمتها العلمية من كونها المظان الأساسية التي استقى منها علماء النحو واللغة والتفسير شواهدهم لإرساء قواعد علومهم.

أولاً: المفضليات للمفضل الضبي

1. التعريف بالمفضليات وصاحبها:

تقف المفضليات شامخة في طليعة الاختيارات التي حفظت ديوان العرب، ممثلة نقلة نوعية في منهجية الجمع والتوثيق، ومؤسسة لتقاليد الاختيار الشعري، وتعد من أقدم ما وصل إلينا من مختارات الشعر العربي، اختارها راوية الكوفة المفضل الضبي (ت: 168هـ)، ويعد أوثق من روى الشعر القديم من جيل الرواة العلماء الأول، وهو رأس مدرسة الكوفة، ولكنه ورد كذلك على البصرة فأخذ عنه علماءها، وروي في اختيار الضبي لهذه المجموعة الشعرية أن الخليفة أبا جعفر المنصور طلب من المفضل الضبي القيام بتأديب ولده المهدي، وأن يختار له أشعاراً يؤدبه بها، فاختار هذه المجموعة من الأشعار في حدود سنة 150هـ، بيد أنه لم يسمها بهذا الاسم، وإنما سماها باسم يدل على الأشعار المختارة².

¹ شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظور شُرّاحها: دراسة نقدية، أحلام عبد العالي غالي الصاعدي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية وآدابها: جامعة أم القرى (مكة المكرمة)، عام 1433هـ - 2011م، ص: 36.

² ينظر: المفضليات، المفضل الضبي (ت 168هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف: القاهرة، ص: 09، 10، 13، 24.

ديوان العرب
مجموعات من عيون الشعر

المفضليات

تمتق وشرح
أحمد محمد شاكر
عبدالله بن محمد بن داود

الطبعة السادسة



أما المفضليات، فهي تضم 128 قصيدة، قد تزيد وقد تنقص، ومعظم شعراء هذه المجموعة جاهليون، وقليل منهم مخضرمون، وأقل منهم إسلاميون، وهناك ستة وعشرون شاعرا لا تضم المجموعة لكل منهم سوى قصيدة واحدة، وبعضهم أورد لهم قصيدتان، وبعضهم ثلاثة قصائد، وشاعر واحد وردت له أربع قصائد، أطول القصائد التي ضمها الضبي بلغ عدد أبياتها 105 بيتا، وأقل ما ضمها مجموعة قصائد ب 11 بيتا، وأقل قصيدة لديه ضمت بيتان فقط¹.

2. المنهجية العلمية في المفضليات:

تأسست المنهجية العلمية للمفضليات على صرامة في النقل، ورؤية نقدية فاحصة، ويمكننا استقراء معالم هذه المنهجية عبر المحاور الآتية:

أ- نبذ التبويب الصارم

تتجلى أولى خصائص صنيع المفضل في تجرده من قيود التصنيف الهيكلي؛ فلم يرتبها المفضل على أبواب خاصة، ولا قصد أن يجمع الشعر الذي يتناول أغراضا معينة، والمفضليات - باعتبارها مقصداً - تعرض أمورا مختلفة من حياة العرب²، وهذا يدل على أن نصوصه لم يخضع لتبويب موضوعي أو تاريخي، فلم يلتزم المفضل منهجا محددًا بل سرده سردا عشوائيا دون أن تخضع لترتيب زمني وحسب، ولا بحسب موضوعات القصائد ولا أهمية الشعراء، وكتابه يخلو من المقدمة، وقد افتتح كتابه بقصيدة تأبط شرا³،

ب- العناية بالمُقَصِّدات مع عدم إغفال المقطعات⁴:

ومن المعالم البارزة في منهجيته، حرصه الشديد على إيراد القصائد بتمامها، محافظاً على وحدتها العضوية دون بتر، وقد تواتر ثناء أقطاب النقد على هذه المزية؛ يقول أبو علي المرزوقي في مقدمة كتابه شرح ديوان

¹ المصدر السابق، ص: 10، 11، 22.

² لغة الشعر في المفضليات، ميساء صلاح وداي السلامي، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات: جامعة الكوفة (العراق)، عام 2006م، ص:

17

³ المفضليات، المفضل الضبي، ص: 17.

⁴ المقصداً أو القصائد: هي المطولات من الشعر، وتبدأ من سبعة أبيات فما فوق، وأما المقطعات هي المقطوعات الشعرية القصيرة، وتكون أبياتها قليلة (عادة ما دون السبعة أبيات، وقيل ما دون العشرة).

الحماسة: "وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيارات المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام، ولا في اختيارات المقصّصات أوفى مما دونه المفضّل ونقده"¹، غير أنه عند استقراء كتابه نجد ما يثبت أن طول النص أو قصره لم يكن شرطاً حدياً يقيده؛ وتفسيراً لذلك، فقد "اختار مقطوعات كما اختار قصائد، فاختر للمرقش الأصغر بيتين من الشعر... في حين اختار لسويد بن أبي كلهل قصيدته الطويلة التي بلغت (108) بيتاً... وهذا يدل على أن الطول أو القصر لم يكن معياراً المفضل في اختياراته"²

ج- الشمولية القبلية والزمانية

لقد تسامى المفضل بمدونته عن النزعات الضيقة التي طبعت بعض أعمال عصره؛ فلم يقتصر على حقبة دون أخرى، إذ لم يكن المفضل في اختياراته منطلقاً من جاهلية الشاعر أو إسلاميته أو خضرته، فقد اختار لهم جميعاً وعلى النسق ذاته، تجرد أيضاً من العصبية القبلية؛ فـ "المفضل لم ينطلق من النزعة القبلية للشعراء، فقد اختار لشعراء بني أسد... وشعراء تغلب، وعلاوة على ذلك، جمع في وعاء واحد بين نتاج الطبقات الاجتماعية المتباينة؛ فاختر من الصعاليك تأبط شراً والشنفري، واختار من الشعراء المشهورين الحارث بن حلزة"³.

د- إحياء التراث المغمور

إن رواية أشعار المقلين تعد من أجل ما تميزت به هذه المنهجية، فصاحب المفضليات توجه إلى إنقاذ نتاج الشعراء المقلين من غياهب الضياع؛ فحوت المفضليات مجموعة من أعمال أولئك الشعراء الذين لم تكن لديهم قصائد كافية في عددها أيام المفضل لكي تجمع في دواوين مستقلة.

٢٠ الشنفرى الأزدى

١٠٨

٢٠

وقال الشنفرى الأزدى^٤

- ١ أَلَا أَمْ عَمْرُو أَجْمَعْتُ فَاسْتَقَلْتُ وما وَدَّعْتُ حِجْرَانَهَا إِذْ تَوَلَّيْتُ
- ٢ وقد سَبَقْتَنَا أَمْ عَمْرُو بِأَمْرِهَا وكانت بأشواقِ المَطِيِّ أَظَلَّتْ
- ٣ بِحَيْثِي مَا أُنْسْتُ فَبَاتَتْ فَأَصْبَحْتُ فَقَضْتُ أُمُوراً فَاسْتَقَلْتُ فَوَلَّيْتُ
- ٤ فَوَاكِدًا عَلَى أُمَيْمَةٍ بَعْدَ مَا طَبِغْتُ، فَهَيْهَاتِي نِعْمَةُ الْعَيْشِ زَلَّتْ

«رُبَّمَا» الشنفرى شاعر جاهلي من بني الحارث بن دبيعة بن الإراس بن الحجر بن الهزء بن الأزد بن النوث. والشنفرى اسمه، وقيل لقب له، ومعناه عظيم الشفة. وهو ابن أخت تأبط شراً. وكان أحد الثلاثة المدائين، كما مضى في ترجمة تأبط شراً، وضرب الخيل في العدو به، وقيل «أعزى من الشنفرى». و «الإراس» و «الحجر» يفتح أولها وكسره. و «الحن» بكسر الحاء وسكون الدال وآخره حمزة، وقيل «الحن» بالواو، وقيل «الحني» بالتصغير.

بوالقصيدة: أخذ الشنفرى أسير فداه في بني سلمان بن مفرج، وهو غلام صغير، فقتلهم، فلما أسارا إليه وعمل بأمره غضب، وتوهم أن يقتل مائة رجل منهم، فقتل ثمانية وتسعين، وكان من قتل منهم رجل يقال له سرام بن جابر، قتله بين حين وآخر أنه قاتل أبيه، وأشار إلى مقتله في البيت ٢٨. وقد بدأ القصيدة بالغزل والتهنئة، وأبدع في وصف شدة صاحبه والتوبيخ بحاسنها. ثم نعت قوته وشدة يأمنه، وذو بصيدته تأبط شراً، ونعت السيف. ثم أشار إلى ثأره من قاتل أبيه، ونخر باستنائه بالحياة، وجزائره الثير والشر بطلها.

تجزئة: منسب الطلب ٢٠٥٠٣ - ٢٠٧ ما عدا الأبيات ٥، ٢٦، ٢٨ وفيه بيتان زائدان على ما في الأثاري، أثبتناهما هنا بقرينة ٢١، ٢٣ وفي روايته اختلاف قليل في اللفظ والترتيب والألفاظي ٢١: ٩٠ - ٩١ ما عدا الأبيات ٣، ٥، ١١، ١٥، ١٨ وفيه بيت زائد، وفي روايته خلاف كثير في الترتيب. والبيت ٩ في الفصول والغايات ٤٢٧، والمختص ١٤: ٢٧، والبيت ١٢ في الجيوان ١٠٨: ٣٢ والبيت ٢٢ في اللسان ١٧: ٤١٤. والبيت ٢٨ في الخزائن ٣: ١٨. وانظر الشرح ١٩٤ - ٢٠٧.

(١) أجمعت: عزمت أمراً. استقلت: ارتسلت. (٢) سبقتنا بأمرها: استبدت واستأثرت به. وكانت: أي قبلتنا بالإيل سحاً أظلتنا بها. (٣) بحتي: بأش، أن يرى دحيلها ولا حيلة له. (٤) زلت: ذهبت، من قولهم زل خمره: ذهب.

¹ شرح ديوان الحماسة (لأبي تمام)، المرزوقي (ت 421هـ)، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية: بيروت، عام 1424هـ - 2003م، ص: 06.

² لغة الشعر في المفضليات، ميساء صلاح وداي السلاحي، ص: 179.

³ المصدر نفسه، ص: 13. -بتصرف-

ثانيا: الأصمعيّات

1. التعريف بالأصمعيّات وصاحبها

ينسب هذا الكتاب إلى الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قُريب، البصري، اللغوي، الأخباري، أحد الأعلام، وقد ولد سنة 122 وُقيل 123هـ، وتوفي بالبصرة في سنة 216هـ على الأرجح¹، وهو من الرعيل الأول من الرواة العلماء بالبصرة، فقد سمع من أبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية وحماد بن زيد وغيرهم من الرواة العلماء، وكان من الطبقة الأولى من الرواة العلماء الذين ينتهي عندهم الإسناد في كثير من الأحيان.

والمؤلفات التي تروى عن الأصمعي فضلا عن الأصمعيّات كثيرة، وقد طبع منها: كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الإبل، كتاب الخيل، كتاب الشاء، كتاب الوحوش، كتاب الأضداد، كتاب القلب والإبدال، كتاب فحول الشعراء.

وإذا كانت مجموعة اختيار المفضل سميت بالمفضليات لشهرته باسمه دون لقبه، فإن مجموعة عبد الملك الأصمعي سميت بالأصمعيّات لشهرته بلقبه دون اسمه... والحق أن للكتب جدودًا سعيدة، وحظوظًا كما أن للبشر

جدودًا سعيدة وحظوظًا، فإن المفضليات من الشهرة والجريان على الألسنة والشفاه بحيث تتضاءل أمامها الأصمعيّات²، والأصمعيّات مجموعة شعرية تضمّ مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي، تبلغ اثنين وتسعين قصيدة ومقطعة لواحد وسبعين شاعرا، منهم أربعة وأربعون شاعرا جاهليا وهم الأغلبية، وأربعة عشر شاعرا مخضرمًا، وستة شعراء إسلاميين، وسبعة مجهولون، ومن مجموع هؤلاء الشعراء أربعة وخمسون شاعرا أورد الأصمعي لكلّ منهم نموذجًا واحدًا، وأربعة عشر شاعرا أورد لكلّ منهم نموذجين، وشاعران أورد لكلّ منهما ثلاث قصائد، والأصمعيّات تلتقي مع المفضليات في تسع عشر قصيدة³.

¹ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج: 10، ص: 176-177.

² منهاج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص: 392.

³ ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث: القاهرة، ط1، عام 1412هـ - 1991م، ص: 160.

ديوان العرب
مجموعات من عيون الشعر
٢

الأصمعيّات

اختيار الأصمعي

أبي سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك

١٢٢ - ٢١٦

تقيق وشرح

عبد السلام حازون

أحمد محمد شاكر

الطبعة الخامسة

بيروت - لبنان

وتتباين الأصمعيّات عن المفضليّات تبايناً كميّاً ونوعياً ظاهراً؛ فمن حيث الحجم نجد أنها "تشتمل على اثنتين وتسعين قصيدة ومقطوعة لواحد وسبعين شاعراً، بإجمالي 1439 بيتاً، في حين تحتوي "المفضليّات" على مئة وثلاثين قصيدة، يصل مجموع أبياتها إلى 2727 بيتاً¹، ويعود هذا التفاوت إلى منهجية الانتقاء التي اعتمدها الأصمعي؛ فبينما مالت المفضليّات إلى القصائد الطوال (المقصّصات)، نجد أن عدد المقطعات في الأصمعيّات كبير جداً، كما أن أطول قصائدها لم تتجاوز أربعة وأربعين بيتاً، بينما تجاوزت قصيدة في المفضليّات جاوزت المئة بيت².

2. منهج الأصمعيّات³:

اتفق المحققون أن الأصمعي استهدف بالأصمعيّات حراسة اللغة بجمع الشعر لضبط قواعدها؛ وهذا ما يفسر المسلك الصارم الذي اعتمده إذ "اعتمد الأصمعي منهجاً عمليّاً فريداً في جمع اللغة والشعر، حيث كان يؤمن بأهمية استقاء اللغة من مصادرها الأصيلة. اشتهر بقوله: "خذوا اللغة من أفواه العرب البدو"، كما سعى سعياً حثيثاً لتحقيق هذه الوثوقية عبر النأي عن تزويد الرواة وحشو القصائد الطوال، وبالرغم من أن هذا الانضباط دفع بعض القدماء لانتقاد اختياراته بغير بصيرة، كابن النديم حين وصفها بأنها «ليست بالمرصيّة عند العلماء؛ لقلّة غريبها واختصار روايتها؛ إلا أن هذه النظرة تغفل بعده المقاصدي؛ إذ الواقع يؤكد أن الأصمعيّات لم تحظ بما حظيت به المفضليّات من الاهتمام والثناء والانتشار والقبول، ربما لأنها أقلّ اشتمالاً على الغريب اللغوي، ولأن أسلوبها ينجح أكثر إلى اختصار الروايات التي يتطلبها عمل الشعر عند جمعه وتمحيصه، ومما لا شك فيه أن هذا الاختصار كان تصفية علمية مقصودة لا نقصاً فيها، لأن الاتهامات

¹ شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام، أحلام الصاعدي، ص: 32

² ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ص: 161.

³ ينظر: الأصمعيّات: تحفة شعرية خالدة ومنهج إبداعي في حفظ التراث العربي، منيب محمد مراد، موقع باحثو اللغة العربية/ المجمع الشعرية القديمة (المفضليّات، الأصمعيّات، جمهرة أشعار العرب)، د. قبائلي، محاضرات ضمن مقياس (مصادر اللغة والأدب والنقد)، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات: جامعة محمد لمين دباغين (سطيّف 2)، السنة الجامعية 2020/2021م،

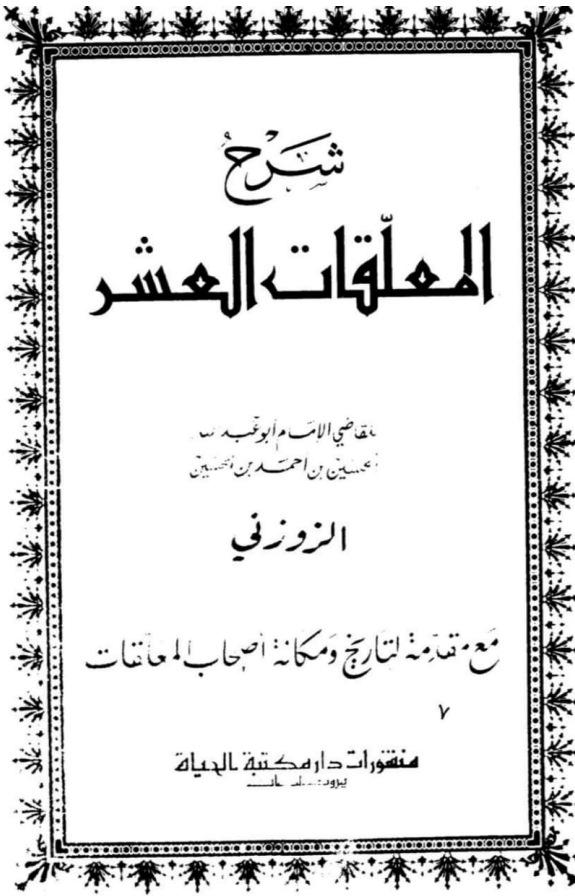
المتعلقة باختصار الرواية أو قلة الغريب لم تكن بالضرورة عيوباً في العمل، بل كانت نتيجة لنهج الأصمعي الذي استهدف "تعليم الشعر العربي، بما هو سهل منه، وشائع وحصين"، وتركيزه على الجوانب اللغوية والنحوية. ومن الدلائل على ثمره هذه المدرسة اللسانية الصارمة الإقرار بأن الأصمعيات قد تكون أقل أدبية بالمعنى التقليدي للقوائد الطويلة التي تتطلب دراسة معمقة للغريب، لكنها في المقابل أكثر لغوية وتعليمية وحافزة للتراث الشعري الأساسي والسهل، فقد اتجه الأصمعي في اختياراته إلى الرؤية اللغوية، مع التركيز على الجانب اللغوي والنحوي في النص، وهو ما أضفى عليها موثوقية لا تُبارى في محافل النحاة وعلماء اللسان.

ثالثاً: المعلقات

1. التعريف بها:

المعلقات قصائد وصلت إلينا عن طريق مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، مفردتها "معلقة"، وهي قصيدة طويلة لشاعر جاهلي شهير، ربما لم تكن خير ما نظم، وقد تكون القصيدة الوحيدة التي تميز صاحبها، وأُطلق على هذه القصائد أسماء شتى منها: "المعلقات"، "المذهبات"، "السموط"، وهي الأشهر، وقد سميت المعلقات والمسمّطات وكانوا يسمون قصائدهم الطويلة الجيدة بهذين الاسمين وما يشبههما وقد نفى ابن النحاس أسطورة تعليقها في الكعبة فقال: لم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة¹، كما أن ما كتبت عليه من القماش القبطي المصري بماء الذهب كان يعلق على أستار الكعبة، كما هو

شائع الزعم عند العامة، وقد جمعها راوي الكوفة المشهور حماد الراوية² 156 هـ.



¹ تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، ج: 01، ص: 140-141.

اختلف الرواة في عدد هذه القصائد. فمنهم من أقصرها على سبع وهو الأشهر، وأوصلها بعضهم إلى عشر، وهم: امرؤ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمى، لبيد بن ربيعة، عمرو بن كلثوم، عنتر بن شداد، الحارث بن حلزة، وأضاف القائلون بأنها عشرة: النابغة الذبياني، الأعشى، عبيد بن الأبرص¹.

2. بناء القصيدة الجاهلية وتماسك أجزائها²:

يمكن إجمال الحديث عن البناء الفني للقصيدة الجاهلية وقضية الوحدة فيها وفق المحاور الآتية:

أ- التسلسل المنطقي والافتتاحيات

كان الشاعر الجاهلي يستهل قصيدته بافتتاحية تمهد لما يعقبها من أفكار؛ كالبكاء على الأطلال، وارتحال الحبيبة، أو ذكر الصبا والشيب. ولا شك أن هذه الافتتاحية لم تكن منفصلة عن جو القصيدة، بل ترتبط ربطاً وثيقاً مع الفكرة الأساسية والشعور العام الذي استولى على وجدانه، بحيث تتوالى أفكاره في تسلسل منطقي محكم، يربط كل فكرة بسابقتها برباط عقلي خفي أو ظاهر.

ب- التزام الوزن والقافية

يُعد اتحاد الوزن والقافية من أظهر سمات الشعر العربي. وقد توهم البعض أن هذا الالتزام قيد يحد من حرية الإبداع، غير أن الواقع يؤكد أن الشعر صنعة فنية رفيعة تتطلب كفاءة واستعداداً؛ فالصعود إلى القمة لا يتأتى بطفرة بل بمكابدة وموهبة، وبناءً على جودة هذه الموهبة، صُنّف الشعراء مراتب متباينة:

- شاعر خنذيد: يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره.
- شاعر مفلق: لا رواية له، لكنه مجيد مبدع.
- شاعر فقط: وهو فوق الرديء بدرجة.

¹ ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث: القاهرة، ط1، عام 1412هـ - 1991م، ص: 154/ وينظر تفصيل عددها وأصحابهم في: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي (ت 1356هـ)، دار الكتاب العربي: بيروت، ج: 03، ص: 121-122.

² ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ص: 289/286 - بتصرف -

- شعور: وهو لا شيء.

ج- المقاصد الفنية لوحدة الوزن والقافية

ذهب بعض المستشرقين إلى أن اتحاد القافية كان بدافع إعانة الذاكرة في عصر المشافهة، وبالرغم من صحة كونها مساعدة للحفظ، إلا أن الغاية الجوهرية للعرب تمثلت في السمو بالشعر والاحتفاظ له بدرجة عليا لا يرتقي إليها إلا أولو المواهب الفذة؛ إذ يتطلب ذلك ثروة لغوية هائلة، ومقدرة فائقة على التنوع في التعبير والتصوير.

د- وحدة البيت والترابط العضوي

أما "وحدة البيت" القائمة على استقلاله، فليست عاملاً مساعداً للحفظ، بل لعلها أفضت إلى خلط في الترتيب من قبل الرواة، ويجدر التنبيه إلى أن التماسك العضوي للقصيدة وترابط أبياتها يجعلها كالسلسلة المحكمة، مما ييسر حفظها ويضبط روايتها، وما قد يعتري بعض القصائد من اضطراب في الترتيب يُعزى الأمر فيه غالباً إلى وهن ذاكرة الرواة، لا إلى الشاعر؛ فالشعراء الممتازون أصحاب عقول ناضجة تقتضي بطبعها تسلسلاً منطقياً دقيقاً.

رابعا: دواوين الحماسات

أ- التعريف بها:

ومعنى لفظ "الحماسة" إلى اشتقاقه اللغوي من (حَمَسَ) بمعنى اشتد وقوي¹؛ وانعكس المعنى اللغوي على أسلوب هذه القصائد ليدل في فن الشعر على الأسلوب قوة العاطفة الشديد الذي يستمد طاقته الانفعال النفسي. تُمثل دواوين "الحماسة" مرحلة تأليفية جديدة تعتمد نظاماً أكثر دقة ومنهجاً ملتزماً؛ إذ لم تقتصر على مجرد الاختيار، بل راعت تحكيم الذوق للاكتفاء بالمقطوعة القصيرة من النص الشعري الطويل دون إيراده كاملاً، بالموازاة مع تبويب هذه النصوص المختارة على حسب الأغراض والمعاني.

يذكر أن هذه المختارات المتعددة تُنسب في العادة لأصحابها، ولعلها جميعاً قد تبعت في التسمية أول ديوان التزم بهذا المنهج، وهو "حماسة أبي تمام" (ت 231 هـ)، الذي يضم (881) قصيدة ومقطوعة موزعة على مئات من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والقليل من المحدثين، ولأنه جعل أول أبواب مصنفه أشعار الحماسة، لذلك

¹ لسان العرب، ابن منظور، ج: 06، ص: 56.

سمي الكتاب باسم هذا الباب، وعدد هذه الأبواب عشرة: باب الحماسة، باب المراثي، باب الأدب، باب النسب، باب الهجاء، باب الأضياف والمديح، باب الصفات، باب السير والنعاس، باب الملح، باب مذمة النساء¹.

ب- أشهر دواوين الحماسة

- ديوان الحماسة لأبي تمام: جمعه أبو تمام (ت 231هـ) في عشرة أبواب متفاوتة، تصدرها "باب الحماسة" الذي كاد يستغرق نصف الكتاب بمفرده؛ فغلب اسمه على المجموعة بأسرها، وانسحب على ما تلاها من المصنفات الماثلة على سبيل المجازة.

- حماسة البحري: صنفها البحري (ت 284هـ) إجابة لطلب الفتح بن خاقان، وقسمها على مائة وأربعة وستين باباً، تغلب عليها النزعات الخلقية والقطع القصيرة جداً. وعلى صعيد آخر، لم تنل هذه الحماسة ذبوع سابقتها واستحسانها، مما يفسر عزوف القدماء عن العناية بشرحها.

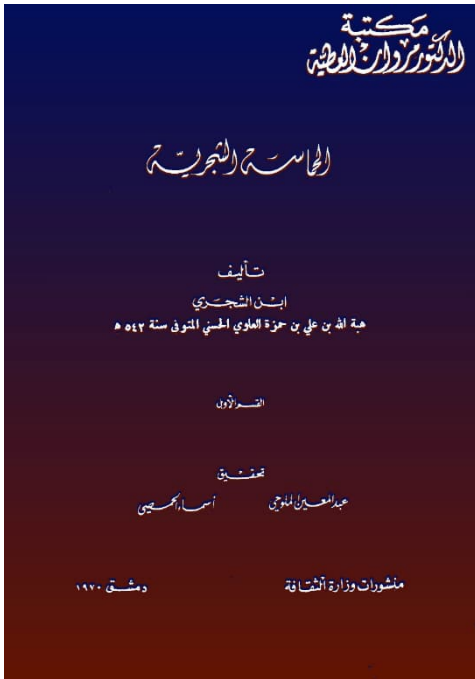
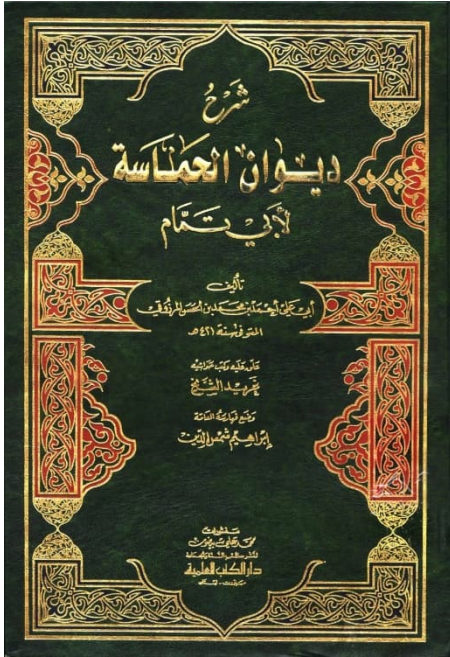
- حماسة الخالدين: وهي مجموعة للأخوين أبي عثمان سعيد (ت 350هـ)، وأبي بكر محمد (ت 380هـ) الخالدين.

- حماسة ابن الشجري: لصاحبها هبة الله بن الشجري (ت 542هـ).
- الحماسة المغربية: جمعها يوسف بن محمد البياسي بتونس (سنة 646هـ).

- الحماسة البصرية: لجامعها صدر الدين علي بن الفرغ البصري (سنة 467هـ).

ج- الخصائص المنهجية العامة لدواوين الحماسة:

ومن القرائن الكاشفة عن المنهج المشترك لهذه الدواوين، ميلها الجلي إلى إيراد المقطعات القصيرة لشعراء مغمورين أو مجهولين، وأما تسميتها بهذا الاسم فهو محض مجازة صنيع أبي تمام، رغم شمولها لأغراض أدبية وخلقية وفكاهة تخرج عن غرض الحماسة المباشر، وتجدر أأهم جامعوها جانب الإسناد والتوثيق، فكانت قيمتها أدبية ذوقية تفوق قيمتها التاريخية.



¹ ينظر: تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ص: 164.

الخلاصة

وبعد هذا العرض والتطواف حول موائد من عوالم الأدب والكتب، وبعد رحلة استقصائية في مظانّ تراثنا اللغوي والأدبي، يمكننا تلخيص أهم النتائج التي خلصت إليها المحاضرات في النقاط الآتية:

أولاً: النتائج المستخلصة

- يُعد التدوين اللغوي ضرورة حضارية ودينية قصوى لحماية النص القرآني، وليس مجرد توثيق لسان، مما يجعله حجر الزاوية في حفظ الهوية الإسلامية.
- استعارت الرواية اللغوية صرامتها المنهجية من علوم الحديث النبوي، مما أضفى طابعاً قدسياً وعلمياً على أسانيد اللغة ومصادرها.
- شكل التنوع اللهجي للقبائل العربية الرافد الأساسي لإثراء القراءات القرآنية، مما جعل العربية الفصحى لغة استيعابية جامعة لا إقصائية.
- كشفت كتب الظواهر الدلالية عن عبقرية العقل العربي في رصد الفروق اللغوية الدقيقة، وهو ما يمثل الأداة المنهجية الأهم للمفسر والأصولي.
- سبقت الصناعة المعجمية العربية المناهج اللسانية الحديثة في استخدام نظرية الاحتمالات الرياضية والترتيب الصوتي لحصر المتن اللغوي.
- يمثل الشاهد الشعري في المصادر النحوية الدليل القطعي لبناء القواعد.
- تحول تدوين الأدب العربي من مجرد جمع للأخبار إلى منهجية نقدية تاريخية تعكس التطور الحضاري والسياسي للأمة.
- رسمت أمهات كتب الأدب جسراً ثقافياً متيناً بين مشرق الإسلام ومغربيه، داخجة بين العقل والبيان والرواية الموثقة.
- تجاوزت الموسوعات الأدبية المتأخرة وظيفة الجمع إلى الوظيفة الإصلاحية والتربوية، مما جعل الأدب مشروعاً لبناء الشخصية المثقفة.

ثانياً: التوصيات

- يستوجب التكوين الأكاديمي المحكم تجاوز التلقي المباشر للمصادر نحو التحليل النقدي لمناهج العلماء وفهم الخلفيات المعرفية التي وجهت اختياراتهم العلمية الدقيقة.

- ينبغي التحول من التعريف النظري بالمصادر إلى التدريب التطبيقي على استخراج الشواهد والأمثال وإسقاطها على النص القرآني لتعميق الملكة البيانية لدى الطالب.
- يُعد تفعيل استخدام المنصات الرقمية والبحثية ضرورة حتمية لربط عيون التراث بالدراسات الأكاديمية المعاصرة ومواكبة مستجدات البحث العلمي العالمي.
- يستلزم التكوين الرصين ربط الطالب بمعين المصادر الورقية والكتب التراثية، لتعزيز التفاعل المباشر مع أمّات الكتب، وتنمية مهارات البحث في منابعها الأصيلة بعيدا عن الاكتفاء بالنسخ الرقمية المصورة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك
وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع

1. المصادر الأصلية:

- الإتيان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1394هـ - 1974م.
- أدب الكاتب: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.
- الأمالي: أبو علي القالي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1344هـ - 1926م.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صديقي محمد جميل العطار وآخرون، دار الفكر، 1420هـ - 2000م.
- البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1417هـ - 1420هـ.
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان.
- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ - 1998م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1385 - 1422هـ / 1965 - 2001م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413هـ - 1993م.
- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها (تاريخ بغداد): الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ - 2002م.
- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1405هـ - 1985م.

- **جمهرة اللغة:** أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:** عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.
- **الخصائص:** أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر:** محمد أمين المحبي، دار صادر، بيروت.
- **در المصون في علوم الكتاب المكنون:** السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- **دلائل الإعجاز في علم المعاني:** عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ودار المدني، ط3، 1413هـ - 1992م.
- **سير أعلام النبلاء:** شمس الدين الذهبي، بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ - 1985م.
- **شرح ديوان الحماسة (لأبي تمام):** المرزوقي، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ - 2003م.
- **الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية:** أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:** أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ - 1997م.
- **كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر):** أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ.
- **طبقات النحويين واللغويين:** أبو بكر الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م.
- **عيار الشعر:** ابن طباطبا العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.
- **عيون الأخبار:** ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.
- **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي:** شمس الدين السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، ط1، 1424هـ / 2003م.
- **القاموس المحيط:** الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ - 2005م.

- الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م.
 - الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، 1408هـ - 1988م.
 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، تحقيق: إكمال الدين إحسان أوغلي وبشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط1، 1443هـ - 2021م.
 - لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ
 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ - 1998م.
 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
 - معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
 - معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
 - المفضليات: المفضل الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة.
 - المقدمة: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1418هـ - 1997م.
 - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.
 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
2. المراجع الحديثة:
- أبو عثمان الجاحظ (حياته، بيئته، ثقافة أدبه وفنه): محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت / دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1402هـ - 1982م.
 - أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره: مصطفى شريقن، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430هـ - 2009م.
 - الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية: محمد الأمين الخضري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1420هـ - 1999م.
 - الاقتراح في أصول النحو وجدله: جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح: محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط1، 1409هـ - 1989م.

- الأدب العربي عبر العصور (الشعراء والأدباء الخصائص والميزات): محمد محمود كمالو، كلية التربية جامعة أديامان، تركيا، 2017-2018م.
- البحث العلمي حقيقته ومصادره: عبد العزيز الربيع، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط2، 1420هـ/2000م.
- البحث اللغوي عند العرب: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003م.
- البحوث الأدبية (مناهجها ومصادرها): محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1987م.
- البلاغة العربية (أصولها وامتداداتها): محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1999م.
- بلاغة الهزل وقضية الأجناس الأدبية عند الجاحظ: حمادي صمود، دار شوقي للنشر، تونس، ط1، 2002م.
- تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، ط1، 2026م.
- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي/العصر العباسي الثاني): شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس، دار الأمانة، بيروت، ط1، 1971م.
- توصيف مقرر الأدب في العصر الجاهلي: عبد الله بن حمد الطلحي، جامعة أم القرى.
- حركة التأليف عند العرب: أمجد الطرابلسي، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ط1، 1956م.
- دراسات في فقه اللغة: صبحي إبراهيم الصالح، دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ - 1960م.
- رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث: محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1408هـ - 1988م.
- الشاهد القرآني بين سيبويه والمبرد: حسين أحمد بو عباس، منشورات جامعة الكويت، الكويت.
- علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع): بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1436هـ - 2015م.
- علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1419هـ - 1998م.
- فاعلية الاشتقاق اللغوي في وضع المصطلح (الاشتقاق الإبدالي نموذجاً): ممدوح محمد خسارة، مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1425هـ - 2004م.
- الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة: حاتم صالح الضامن، دار ابن كثير، بيروت/دمشق، ط1، 2016م.
- فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، دار الفكر، ط6، 1401هـ - 1981م.
- فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياها: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط2، 1430هـ - 2009م.
- فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

- فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتب (التربيع والتدوير) و(البخلاء) و(الحيوان): رابح العوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1409هـ - 1989م.
- في اللهجات العربية القديمة: إبراهيم السامرائي، دار الحداثة، ط1، 1994م.
- في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، 1992م.
- في تاريخ الأدب الجاهلي: علي الجندي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1412هـ - 1991م.
- قضايا النقد الأدبي والبلاغة في كتاب عيار الشعر: شريف راغب علاوة، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ط1، 2015م.
- قطوف أدبية (دراسات نقدية في التراث العربي): عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1409هـ - 1988م.
- كتاب التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط1، 1422هـ.
- اللسانيات التطبيقية وتعلم اللغة العربية: بنيونس عليوي، شبكة الألوكة، 1439هـ - 2017م.
- اللغة العربية في عصر العولمة: أحمد بن محمد الضبيب، مكتبة العبيكان، السعودية، 2001م.
- محاضرات ضمن مقياس (مصادر اللغة والأدب والنقد): د. قبالي، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد لمين دباغين، السنة الجامعية 2020/2021م.
- المدخل إلى مصادر اللغة العربية: سعيد حسن بحيري السيد، دار زهراء الشرق، 1425هـ - 2005م.
- المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي: عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، القاهرة.
- مصادر الشعر الجاهلي: ناصر الدين الأسد، دار الجيل، ط7، 1988م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2007م.
- المعجم المفصل في علوم اللغة: محمد التونجي وراجي الأسمر، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- معجمات المعاني والألفاظ: علي حلو حواس، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة بغداد، 2021م.
- مقدمة الدكتور محمود محمد الطناحي على الأمالي الشجرية: القاهرة، ط1، 1413هـ - 1992م.
- من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1975م.
- من تاريخ النحو العربي: سعيد الأفغاني، مكتبة الفلاح.
- من مقدمة أبنية الصرف في كتاب سيبويه: خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، 1965م.
- مناهج التأليف عند العلماء العرب: مصطفى الشكعة.
- مناهج التأليف المعجمي عند العرب (معاجم المعاني والمفردات): عبد الكريم مجاهد مرداوي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010م.

- مناهج المستشرقين: نور الهدى غرابة، مطبوعة بيداغوجية، جامعة محمد خيضر (بسكرة)، 2025-2026م.
- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب: ر. ه. روبنز، ترجمة: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1418هـ - 1997م.
- النقد: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1978م.
- نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي: عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978م.
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: سليمان بن صالح القرعاوي، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1410هـ.

ثالثا: الرسائل والأطروحات الجامعية

- أدب المرأة في عيون الأخبار لابن قتيبة (دراسة موضوعية وفنية): خلود بنت راشد بن زيد، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- جهود أبي علي القالي اللغوية من خلال كتابه الأمالي: رشيدة مصطفى أحمد محمد، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، 1422هـ - 2002م.
- شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظور شراحها (دراسة نقدية): أحلام عبد العالي غالي الصاعدي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، 1433هـ - 2011م.
- لغة الشعر في المفضلديات: ميساء صلاح وداي السلامي، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، 2006م.

رابعا: المقالات والمجلات المحكمة والدوريات

- أثر اللغة العربية في نشر الثقافة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط: بن سعيد بن ميرة، مجلة أفانين الخطاب، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، مج 2، ع 1، 2022م.
- الاستشهاد النحوي في شرح ابن زكور الفاسي لحماسة أبي تمام: بوطاهر بوسدر وياسين سحنوني ومحمد لحياي، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات (IJRSP)، مج 4، ع 43، 2023م.
- أساليب الكلام العربي بين الدرس التراثي وعلم اللغة الحديث: عمر محمد صديق وسليم تكين، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مج 4، ع 12، 2023م.
- الأضداد في اللغة العربية: نصر الدين البحرة، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، ع 79، 1421هـ - 2000م.

- بناء المعاجم القديمة دراسة تطبيقية في مدرسة التقليبات الصوتية: بوشوشة إيمان، مجلة دراسات، جامعة عمار ثلجي بالأغواط، مج 8، ع 1، 2019م.
- الترادف في القرآن الكريم بين المثبتين والمنكرين وأثره في التفسير: عثمان محمد غريب، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة بغداد، ع 12، 2015م.
- تشكل علم المعاني بين تنظير الجرجاني وتطبيق الزمخشري: حمرا العين عبد الهادي، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي ميله، مج 17، ع 2، 2025م.
- الحديث النبوي الشريف في تفعيد النحو العربي: إيكازال، مجلة فؤادنا، معهد بوكيتنجي الإسلامي الحكومي، مج 1، ع 1، 2017م.
- دراسة الاشتقاق الأكبر في اللغة العربية: سائر كل وحفصه بيكم، مجلة تهذيب الأفكار، جامعة عبد الولي خان مردان، باكستان، مج 3، ع 1، 2016م.
- دراسة معجمية (نشأتها ونظرياتها ومدارسها): ر. توفيق الرحمن، مجلة الاتجاه، إندونيسيا، مج 1، ع 2، 2009م.
- دور الشعر الجاهلي في كتابة تاريخ الجزيرة العربية والتعريف بالعرب: دغبار رضا، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 10، ع 4، 2022م.
- الرواية اللغوية في كتاب العين: منى البشير محمد علي، مجلة العلوم الشرعية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، مج 7، ع 7، 2020م.
- الشاهد القرآني في شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب لابن الحاجب: فكر الدين سيد، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية (HNSI)، مج 3، ع 12، 2022م.
- الشاهد القرآني في المعاجم المتخصصة وأثره في التنوع الدلالي معجم ألفاظ القرآن الكريم نموذجاً: بوججو عمر، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي، مج 7، ع 3، 2021م.
- الشواهد الشعرية في شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه جمعاً ودراسة: منيرة نايف حواس الشمري، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية (HNSI)، مج 3، ع 7، 2022م.
- الشواهد في الدرس اللغوي العربي أهميتها أنواعها ووظيفتها: مليكة بن عطاء الله، مجلة الذاكرة، الأغواط، ع 6، 2018م.
- صناعة المعجم اللغوي (دراسة وتأليفاً): جيهان رفيق قاسم، مجلة أوراق ثقافية، ع 18، 2023م.
- الصناعة المعجمية في الدرس اللساني الحديث: عبد الرحيم بن داود، مجلة العلامة، المركز الجامعي لميله، مج 3، ع 1، 2018م.

- الضوابط اللغوية في التعامل مع النصوص الشرعية: عبد الرحمن عبد الله رجو، مجلة رواء، ع 2، 1441هـ - 2020م.
- ظاهرة التضاد في اللغة العربية وأثرها في المعنى: فيان رمضان عدي السليفاني، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، ع 50، 2020م.
- قراءة في فكر ابن جني من خلال الخصائص على ضوء علم اللغة الحديث: محمد وليد حافظ، مجلة التراث العربي، دمشق، ع 25-26، 1986م.
- قضية المعرب في القرآن الكريم: كساوي عبد القادر، مجلة البدر، جامعة بشار، مج 11، ع 8، 2018م.
- خصائص اللغة العربية وسنن العرب: خالد بن محمد بن سعيد الشيباني، مجلة اللغة، ع 1، 2020م.
- اللغة العربية وأصالتها كأقدم اللغات السامية: محمد سعود الأعظمي، مجلة المجتمع، 2026م.
- مراجعة كتب ابن قتيبة (قراءة في موقفه الثقافي): نايف محمد العجمي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مج 5، ع 2، 2014م.
- مكانة النثر العربي في الاحتجاج اللغوي ومقارنته بالشعر: محمد رضا عياض وأحمد جلايلي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع 22، 2015م.
- المنهج التاريخي عند طه حسين بين التأسيس النظري والممارسة التطبيقية: عماد شارف، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي لتامنغست، ع 10، 2015م.
- منهج ابن الأثير في تناول الشاهد الشعري المثل السائر أنموذجاً: عبد الرحمن رجاء الله السلمي، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع 19، 2016م.
- منهج عبد القادر البغدادي في «خزانة الأدب»: جمال عبد الحميد عبد العظيم حسن، مجلة مجمع، جامعة المدينة العالمية، ع 39، 2021م.
- نشأة المعجم العربي الحديث ومراحل تطوره: إمكراز عويشة، مجلة التعليمية، جامعة سيدي بلعباس، مج 13، ع 1، 2023م.

خامساً: المواقع الإلكترونية

- ابن قتيبة الدينوري وكتابه: «أدب الكاتب»: هاجر الفتوح، بوابة الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، تاريخ النشر: 28 جوان 2016م.
- الأصمعيات: تحفة شعرية خالدة ومنهج إبداعي في حفظ التراث العربي: منيب محمد مراد، موقع باحثو اللغة العربية.
- الترادف وعلاقته بتوجيه مشكل القرآن: ياسر بن حامد المطيري، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية.

- تاريخ الكتابة والتأليف عند العرب: بوطاهر بوسدر، شبكة الألوكة، تاريخ النشر: 2017/12/10م.
- حول تاريخ اللغة العربية: مقابلة أجرتها سلام دياب مع الدكتور جمال كولغلي، المدرسة العليا لتكوين المعلمين بليون، 2007/11/14م.
- الشاهد الشعري ومكانته في علوم اللغة العربية: موقع أكاديمية الشنقيطي.
- ظاهرة التضاد في القرآن الكريم (دراسة إحصائية): محمد الفراح، بوابة الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب.
- عصور الاحتجاج عند اللغويين (رأي مختلف): عبد الرزاق الصاعدي، صحيفة الجزيرة، ع 17925، 4 فبراير 2022م.
- القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية: علي البودخاني، الرابطة المحمدية للعلماء.
- نظريات في دراسة المنهج الأدبي: السيد عبد الحليم محمد حسين، شبكة الألوكة، 15 جانفي 2012م.

المحتويات

أ.....	مقدمة
أ.....	أولاً: إشكالية المقياس
ب.....	ثانياً: أهمية المقياس
ب.....	ثالثاً: الأهداف العامة للمقياس:
ب.....	رابعاً: الدراسات السابقة
ج.....	خامساً: المنهجية المتبعة
د.....	سادساً: المنهج المتبع
د.....	سابعاً: خطة البحث
6.....	المحاضرة الأولى: نشأة اللغة العربية وحركة التدوين اللغوي
6.....	أولاً: تعريف المصدر والمرجع في الدراسات اللغوية
8.....	ثانياً: أصل اللغة العربية وجذورها التاريخية
10.....	ثالثاً: الشفاهية قبل التدوين، وتدوين القرآن الكريم
12.....	المحاضرة الثانية: بنية الرواية اللغوية
12.....	أولاً: مفهوم الرواية اللغوية:
14.....	ثانياً: أسباب رواية اللغة ودوافعها:
15.....	ثالثاً: مصادر الرواية اللغوية
18.....	المحاضرة الثالثة: مصادر لغات القبائل واللهجات العربية ورسائلها
18.....	أولاً: مفهوم اللغة واللهجة في المنهج اللساني
18.....	ثانياً: مظاهر اللغات عند المتقدمين وشواهدا
20.....	ثالثاً: مفهوم الفصحى بين اللغة النموذجية ولغة من ترضى عربيتهم
20.....	رابعاً: مصادر دراسة لغات القبائل

22	المحاضرة الرابعة: مصادر الظواهر اللغوية: كتب النظائر، الفرائد، والأمالى.
22	أولا: الوجوه والنظائر
25	ثانيا: الفرائد
27	ثالثا: مجالس الإملاء وكتب الأمالى
30	المحاضرة الخامسة: مصادر الظواهر اللغوية: كتب التضاد والمترادف، والمعرب
30	أولا: الأضداد فى العربية
32	ثانيا: المترادف
35	ثالثا: المعرب
38	المحاضرة السادسة: التأليف المعجمى ومدارسه
38	أولا تعريف المعجم والقاموس لغة واصطلاحاً:
40	ثانيا: دواعى التأليف المعجمى
41	ثالثا: أنواع المعاجم العربية ومدارسهم
45	المحاضرة السابعة: مصادر عادات العرب وسننها فى الكلام
45	أولا تحرير مصطلح عادات العرب وسنن العرب:
46	ثانيا الدافع الشرعى لتدوين سنن العرب وعاداتهم
47	ثالثا: أبرز عادات العرب وسننهم فى الكلام
51	رابعا: أبرز المصادر والمصنفات فى الباب
52	المحاضرة الثامنة: كتب الشواهد اللغوية ودورها فى بناء علوم النحو والصرف
53	أولا: تعريف الشاهد اللغوى
55	ثانيا: الحدود الزمانية والمكانية للاحتجاج
57	ثانيا: مراتب الشواهد اللغوية والنحوية
60	ثالثا: تصنيف الشواهد

- 61 رابعا: أبرز المصادر والمصنفات في الشواهد
- 63 المحاضرة التاسعة: مصادر أسرار اللغة وخصائصها
- 63 أولا: أسرار اللغة
- 64 ثانياً: الفرق الدقيق بين التأليف في النحو والصرف والتأليف في خصائص العربية وأسرارها
- 64 ثانيا: أبرز المباحث في كتب أسرار اللغة
- 66 ثالثا: أمهات المصادر التي قعّدت لأسرار اللغة العربية
- 68 المحاضرة العاشرة: مصادر تدوين تاريخ الأدب العربي
- 68 أولا: تحرير المصطلحات وتطورها
- 69 ثانيا: مناهج التصنيف الأدبي عند القدماء:
- 70 ثالثا: منهج التدوين الأدبي الحديث
- 73 المحاضرة الحادية عشرة: أمهات كتب الأدب (1) دراسة في كتاب "البيان والتبيين" و"الأمل"
- 74 الكتاب الأول: البيان والتبيين للجاحظ
- 78 الكتاب الثاني: الأمل لأبي علي القالي
- المحاضرة الثانية عشرة: أمهات كتب الأدب (2) دراسة في كتاب "الكامل" للمبرد و"أدب الكاتب" لابن قتيبة
- 83 و"خزانة الأدب" للبغدادي
- 83 الكتاب الثالث: الكامل للمبرد
- 86 الكتاب الرابع: أدب الكاتب لابن قتيبة
- 89 الكتاب الخامس: خزانة الأدب للبغدادي
- المحاضرة الثالثة عشرة: مصادر النقد والأخبار: "عيون الأخبار" لابن قتيبة و"عيار الشعر" لابن طباطبا
- 92
- 92 أولا: نشأة التأليف النقدي وتطوره
- 97 الكتاب الثاني: عيار الشعر لابن طباطبا
- المحاضرة الرابعة عشرة: كتب الاختيارات الشعرية (المفضليات، والضيبيات، الأصمعيات، والحماسة). 101

102	أولا: المفضليات للمفضل الضبي
105	ثانيا: الأصمعيات
107	ثالثا: المعلقات
109	رابعا: دواوين الحماسات
111	الخاتمة
111	أولا: النتائج المستخلصة
111	ثانيا: التوصيات
113	قائمة المصادر والمراجع
113	أولا: القرآن الكريم
113	ثانيا: المصادر والمراجع
118	ثالثا: الرسائل والأطروحات الجامعية
118	رابعا: المقالات والمجلات المحكمة والدوريات
120	خامسا: المواقع الإلكترونية
122	المحتويات